obeikan.com

المستبصر

المستبصر
علي عبد الله علي
الطبعة الأولي .... يونيو ٢٠١٣

الغلاف : يحي عبد المنعم
المراجعة اللغوية : محمد عبد الغفار
تحرير وإشراف عام : د/ اسلام فتحي
اخراج داخلي : إبداع للدعاية والاعلان
رقم الإيداع : ٢٠١٣/٧٦٨٩
الترقيم الدولي : 978-977-6412-24-8

الحـلم للنشر والتوزيع
الإدارة : ١٧ شارع مجلس الشعب - ميدان لاظوغلي - القاهرة

محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

obeikan.com

المستبصر

رواية

علي عبد اللَّه علي

obeikan.com

obeikan.com

قد يكون الطريق إلى حماية الأرواح هو إزهاق أرواح أخرى، وقد يكون الحل الوحيد لمنع إراقة الدماء هو إراقة دماء أخرى.. وقد تضطر في النهاية إلى أن تريق دم ألف شخص آخر حتى تمنع إراقة دمك أنت.

obeikan.com

obeikan.com

تقديم

للأستاذ على عبد الله قلم ذو طابع خاص ومختلف
إنه قلم يخلو من كثير من التكلف الذي عانت منه الرواية المصرية في أحقاب ماضية لكنه في نفس الوقت قلم يستعلي بشكل لافت للنظر على ظاهرة الإسفاف و السطحية البذيئة التي طالت الرواية المصرية في السنين الأخيرة
هو قلم سلس تنساب منه الكلمات و تنهال منه العبارات في سهولة ويسر لتتكامل في تناغم بديع وترسم بريشة من الحروف صورة دقيقة و تفصيلية للمشهد الروائي الذي تتلاحق الأنفاس لمتابعة سيله المتسارع .. والحقيقة أن الجمع بين دقة التصوير و الوصف المفصل لكل صغيرة و كبيرة وكل شاردة وواردة وبين سخونة الأحداث وتدافعها لهو أمر في غاية الصعوبة لكن على ما يبدو أن الأديب الصاعد لم يعان كثيرا من ذلك الجمع العسر بموهبة فطرية تصرخ سطور روايته معلنة عنها للجميع
إن رواية المستبصر التي شرفني الأستاذ على بالاطلاع عليها قبل خروجها للنور وأتاح لي فرصة التعليق عليها والتقديم لها تعد في نظري تجربة مشوقة لمن قرر أن يخوض غمار سطورها وهي كباكورة لإنتاجه الأدبي - الذي أتوقع بإذن الله أن يكون غزيرا - تعد في نظري مدهشة ... وكفى فبخلاف السلاسة التصويرية المبهرة
وبخلاف خفة الظل الواضحة والتي تتقافز بين سطور الرواية لتجبرك على الابتسام في كثير من مواضعها و أحيانا القهقهة بصوت مرتفع .. وبخلاف الحبكة الدرامية المثيرة و المشوقة
فإن رواية المستبصر لم تخل من لمسات إنسانية وإسقاطات فكرية وفلسفية عميقة لا تخطئها العين .
إن رواية المستبصر رغم امتلاكها لمقومات الرواية التجارية من توفر لعنصر التسلية والجذب وخفة الظل المنبثقة من خفة ظل كاتبها و التي يدركها كل من يعرفه جيدا إلا أن هذا الأخير آثر ألا يكتفي بتلك المقومات وإنما قرر أن يخوض غمار بحر متلاطم الأمواج من الأفكار الشائكة كان يستطيع ألا يقترب منها و يكتفي بالعرض المسطح لها و الاستفادة من جاذبية غموضها
لقد حاول على عبد الله في تلك الرواية أن يجيب بطريقة خفية عن العديد من الأسئلة الحساسة و التي تتعلق بالقضية الشائكة التي تناقشها الرواية (قضية الظواهر الخارقة للمألوف)
اقتحم على عبد الله عالم الميتافيزيقا من أخطر أبوابها و أكثرها حساسية و خصوصا من الناحية الدينية ليناقش قضية الكشف والاستبصار بجرأة نادرة تحدوها في تقديري نية طيبة
و لقد تطرف الخلق في تفسير تلك الظواهر فما بين تفسيرات مادية إلحادية اختارت الحل الأسهل ومالت لتأليه الإنسان و بين إسراف في الشطحات الصوفية والخرافات البدعية حار كثير من الناس

في خوض غمار الحديث عن تلك الظواهر
بينما حاول على عبد الله في إجاباته التي تبطن أحداث الرواية أن يمزج بين التحليل العلمي بغير إسراف وبين التكييف الشرعي بغير شطحات
والحقيقة أنه رغم اختلافي مع بعض ما وصل إليه في إجاباته إلا أنه باعتبار خيالية الرواية وعدم ادعائه أن أحداثها حقيقية فإنني أراها محاولة مهمة لتحريك الماء الراكد ومناقشة قضية حساسة ربما تتطور إن كتب للرواية القبول والانتشار كما أتوقع بإذن الله فينبثق عنها المزيد من الحلقات البحثية و النقاش حول ما طرح فيها و هذا في ذاته مكسب مهم
أما بالنسبة للمسات الإنسانية والإيماءات الاجتماعية في الرواية فهي كما قلت لم تغب عنها وإن كنت أرى أنها تركزت بشكل كامل على البطل الرئيسي بينما لم يغص الأديب في مكنونات أنفس باقي الأبطال لكن دقة وصفه للمنحنيات النفسية لدى البطل الرئيسي كانت بديعة بشكل ملفت وخصوصا مرونة الانتقال بين المراحل النفسية المختلفة والمتناقضة والتي لم يعجز قلم على عبد الله عن السير في دروب صراعها الداخلي العنيف بشكل مدروس يوحي بخبرة عميقة بخبايا النفس البشرية وتناقضاتها حيث يرتحل بالبطل من حال إلى حال ويتنقل بين أحاسيس مختلفة أثناء رحلة تعرفه على قدراته والتكيف معها أو الثورة عليها أحيانا ثم الندم والرغبة في ما تعطيه له من شعور بالقوة من جديد
وتأتي قمة الحدة في المنعطفات النفسية للبطل في نهاية الرواية حيث يتحول إلى مرحلة مختلفة تماما لا أريد التفصيل فيها حتى لا أفسد على القارىء متعة المفاجأة
كذلك أجاد الأستاذ علي توصيف ما أطلق عليه «تدين العوام» ومر بشكل يبدو عفويا لكنه مقصود على ما يحمله هذا النوع من التدين من متناقضات واضحة تظهر في تصرفات البطل الرئيسي وتلقي بظلالها على من حوله حيث تجد حرصا على أشكال معينة من التدين واحترام المعتقدات والثوابت والنفور من الكفر والإلحاد وتوقير الشخصيات الدينية بينما تجد في الوقت نفسه ضعفا متكررا أمام العادات الخاطئة التي تحفل بها البيئة المتوسطة كتساهله المفرط في معاملة الخطيبة على سبيل المثال
تلك الخطيبة التي نجدها تمارس درجة أكثر تحفظا من ذلك النوع من التدين أيضا
في النهاية نحن بصدد مولد قلم مبدع و موهبة فياضة تحمل توقيع علي عبد الله الذي لا يسعنى إلا أن أشكره على أن أتاح لي هذه الفرصة الطيبة بأن أقدم لكتابه الأول الذى أرجو من الله أن يكون باكورة أعمال أدبية ذات جودة و نفع و ليست ككثير من الغثاء الذى نقرأه اليوم و يسمى أدبا و أسأل الله له تمام التوفيق و التقدم .

د/محمد على يوسف

إهداء

ربما لو أفردت الإهداء المستحق لمن ساعدوني في هذه الرواية لاحتجت إلى كتاب إضافي يلحق بهذا الكتاب، ولكن أرجو منهم المعذرة، فمفردات اللغة كلها لن تمكنني من التعبير عمَّا أحمله لهم من شعور بالعرفان.

كالعادة أبدأ بأبي وأمي، حفظهما الله، فأبي أوحى لي بالقصة من حكايات كثيرة كان يحكيها لي في صغري، وأمي التي كنت أخدعها أيام الدراسة وأضع قصة بداخل الكتاب المدرسي فتدعو لي كلما رأتني وهي تظن أنني «أهري» نفسي في استذكار المنهج الدراسي، أو إخوتي الكبار الذين وقفوا بجانبي مؤدِّبين مرة وناصحين مرات.

زوجتي الحبيبة لا يمكن إغفال دورها الكبير، وعلى الرغم من أن القراءة ليست من هواياتها فإنها تحملتني طوال فترة كتابة الرواية التي امتدت لخمسة أشهر متواصلة..

أما عن أصدقائي في العالمين الحقيقي والافتراضي فحدث ولا حرج..

ربما أبدأ بإهداء العمل إلى مراجعتي اللغوية العتيدة «منى زكي» التي أتعبتها كثيرا في مراجعة كل ما أكتب وشجعتني كثيرا على المواصلة، أو ربما «ياسمين إبراهيم» التي كانت أول من رأى بدايات القصة عندما كانت مجرد مشروع قصة قصيرة.. أو الصديق «شادي محمد» والأخت الغالية «ماهينار الخطيب» لآرائهم التي حسنت وجعلت القصة تخرج بهذا الشكل.. والصديق «يحيى» الذي لم يبخل عليَّ بتصميماته المميزة للغاية، وبالطبع صديقي الأنتيم «كريم حسني» الذي جعلت اسم بطل الرواية على اسمه.

وأعتذر إن كنت قد نسيت بعض الأسماء؛ فـ«الزهايمر» يعبث بعقلي، وقلة التركيز أصبحت ديدني.

كنت أتمنى أن أهدي القصة لطنط «نجوى» وطنط «ماهيتاب»، لكني للأسف لا أمتلك أي «طنط» في حياتي.

علي عبد اللَّه

obeikan.com

البداية

ديسمبر ١٩٧٢

تحركت نسمات هواء الليل الباردة تداعب التراب وتحركه، وصوت صفير هواء الشتاء يدوي في الأرض الواسعة الخالية إلا من مبنى متوسط الحجم تحوطه أسوار عالية تحجب الرؤية ولا يظهر ما وراءها، وتتوسط السور بوابة معدنية كبيرة لا فراغات بين أعمدتها الحديدية، سار كلب بلدي أصفر اللون بمحاذاة السور العالي وهو يمتلئ بأنفاس الليل ويحتمي من الجو البارد، حتى وصل إلى البوابة المعدنية فوقف أمامها يحك جانبه، دوَّى صوت صافرات إنذار أتى من المبنى فزمجر الكلب ووقف بتحفز وهو يلوح بيده يقاتل عدوا وهميا قبل أن ترتعد فرائصه ويهرب مسرعا عندما أتى بعدها صوت تحطم زجاج تبعه صوت طلق ناري تردد صداه بقوة في المكان.. خيَّم بعدها صمت تام على المكان قبل أن يندفع شخص من الداخل ويقفز بقوة من فوق الأسوار العالية كأنه قذيفة مدفع ليقع بعدها على الأرض ويتدحرج قليلا ثم يقوم وهو يلهث بانفعال ويضع يده على كتفه المصابة والدم يسيل منها، كان يرتدي قميصا طبيا وعلى رأسه الحليق تمامًا ضمادات، كأنه قد خرج من عملية جراحية منذ فترة قريبة، لم تسنح له فرصة للراحة، فقد سمع صوت إدارة محرك سيارة من الداخل فانطلق يركض بسرعة كبيرة وانطلقت خلفه السيارة البيضاء (فيات ١٣١) التي اقتحمت البوابة المعدنية من الداخل، ظل يركض بسرعته المذهلة كأن الأدرينالين المندفع في دمه جعله آلة مخصصة للركض، لكن بعد مسافة قليلة أدرك أن السيارة ستدركه لا محالة، فأسرع حتى لاحت في الأفق أرض زراعية، فتوجه ناحيتها، والسيارة لا تزال تطارده وهي ترتج بشدة بسبب سرعتها الشديدة على الأرض الطينية غير الممهدة، رأى قائد السيارة الشاب الهارب يتجه نحو الأرض الزراعية فأخرج يده الممسكة بمسدس وصوَّب باتجاه ساق الهارب وأطلق عدة رصاصات أخطأته كلها وأصابت الأرض من تحته زادت من عزيمة الهارب فأسرع أكثر وأكثر حتى اقترب من الأرض الزراعية وقفز بداخلها يختفي بين أعواد القصب المزروعة فصرخ قائد السيارة بحنق:

- «عبد الله».

أكمل قائد السيارة الانطلاق بسرعته الجنونية بمحاذاة الأرض الزراعية وهو يرى اهتزاز أعواد القصب وكأن «عبد الله» يركض بنفس سرعته ويذهب إلى وجهة قد حددها مسبقا، لم يمض ربع ساعة حتى لاح في الأفق كوبري صغير يمر فوق نهر النيل، فضغط قائد السيارة على دوَّاسة البنزين بقوة حتى وصلت السيارة إلى أقصى سرعة وأراد أن يسبق «عبد الله» ويقطع عليه الطريق، لكن

وقبل أن يصل إلى الكوبري بمائتي متر رأى «عبد الله» يخرج من بين أعمدة القصب ويركض باتجاه الكوبري حتى وصل إليه ومن دون تفكير أمسك سور الكوبري المعدني وقفز وإحدى يديه متشبثة بالسور قبل أن يفلتها ويختفي.

ضغط قائد السيارة الفرامل فجأة ودوى صوت صرير احتكاك العجلات بالأرض قبل أن يقفز قائد السيارة منها ممسكا بمسدسه ويتجه إلى النقطة التي قفز منها «عبد الله» ويضع يده على السور ويميل فرأى المشهد المعتاد للنيل ومياهه التي تتهادى بأمواجها الصغيرة وبعضها يصطدم بأعمدة الكوبري، فأخذ يضرب السور بمؤخرة المسدس وهو يصرخ بغضب كأنه قد فقد ابنه للتو.

ظل مكانه وهو يزفر أنفاس الغضب وصدره يعلو ويهبط والعرق يتصبب على جبهته العريضة وأنفه الأفطس كأنه هو الذي كان يركض، ثم توجه بخطى متثاقلة إلى سيارته واستدار بها ليعود من حيث جاء، خمس دقائق أخرى بعد انصراف السيارة امتدت يد تمسك بسور الكوبري المعدني تبعتها قفزة رشيقة ليقف على الأرض «عبد الله» الذي كان يختبئ ويتعلق بأسفل الكوبري، ومن دون تفكير انطلق يركض في الوجهة العكسية للسيارة وهو يمر من تحت لافتة مكتوب عليها:

«سنتريس ترحب بكم».

obeikan.com

التكوين

يوليو ٢٠٠٨

أمسك بكوب القهوة يرشف منه وهو يحدق في المجهول، كانت ملابسه غير مهندمة، وذقنه النامي وشعر رأسه الطويل المبعثر يدلان على أنه لم ينظر إلى المرآة أو يهتم بنفسه منذ فترة طويلة، جالسا على مكتبه وأمامه تقارير كثيرة مبعثرة على المكتب بطريقة عشوائية.

- بس بس.. «كريم».

لم ينتبه إلى زميلته في الغرفة التي مالت حتى لامس شعرها البني المموج مكتبها الخشبي وتهمس، لم يكن يشعر بأي شيء حوله ولا حتى شعر بمدير عام العمل الذي وقف يحدق فيه بغضب من بعيد حتى أتى إليه ونغزه في كتفه بخشونة فانتفض مفزوعا.

- تعالَ على المكتب يا «كريم»، بس روح الحمام الأول اغسل وشك.

- حاضر.

فتركه مديره عائدا إلى مكتبه في انتظار «كريم» الذي أتى إليه بوجه مبلل بالماء وسار بخطوات متثاقلة بقامته الفارعة النحيلة وخصلات شعر رأسه الأسود تلتصق على جبهته من الماء، جلس على الكرسي المقابل لمديره بعد أن سمح له بذلك وهو يقول بحدة:

- مالك يا «كريم»؟

- مالي بس يا مستر «مظهر»؟!

- تقاريرك مش بتخلص وبتيجي متأخر وشكلك بقى زي الزفت كأنك من أهل الكهف.

- حاضر يا أفندم.

- هو إيه اللي حاضر؟ يا «كريم» دي شركة خاصة مش مؤسسة خيرية يعني اللي مش بيشتغل يمشي، وده آخر إنذار ليك.. فاهم؟

- فاهم.

همَّ أن يقوم من مكانه إلا أن مديره أشار إليه بالجلوس قبل أن يقوم من مكانه ويجلس أمامه وقد تبدلت نظرته إلى نظرة ود.

- مالك يا «كريم»؟ ده انت كنت أحسن واحد هنا وكنت بتعمل الحاجة قبل أنا ما أفكر فيها، أنا عارف إن الحادثة كانت أكيد صعبة بس دي فات عليها أسبوعين وانت الحمد لله جسمك مفيش فيه حاجة.

أطرق «كريم» برأسه دون أن يقول أي رد.

obeikan.com

- «كريم»، لو محتاج فلوس قول، ولو محتاج إجازة تريح أعصابك أنا تحت أمرك.
- أوعدك يا أفندم هارجع زي الأول.
- يبقى تاخد إجازة شهر تريح فيه، ومرتبك ماشي زي ما هو.
راقت لـ«كريم» الفكرة فأومأ برأسه إيجابا:
- اللي تشوفه.
- وهخلي عصام يتابع التيم بتاعك.
- بس عصام بيكرهني يا مستر «مظهر» وانت عارف.
- وأنا مش مدير طرطور يا «كريم» وعارف أعمل كنترول على الناس إزاي.
- ما دام حضرتك شايف كده يبقى ماشي.
ثم ربت المدير على كتف «كريم» مداعبا:
- يلا قوم امشي وعايزك ترجع «كريم» بتاع زمان.
- بإذن الله يا مستر «مظهر».
قالها قبل أن يستأذن ويعود إلى بيته ممددا جسده على فراشه يفكر.
أكثر ما أهمه أنه لا يستطيع أن يحكي للناس مشكلته، ولو قالها لما صدقه أحد ولاعتبروه مجنونا..
هو يعلم أن نهايته ستكون في هذا الشهر على يد مجهول لم يتوصل إلى معرفته حتى الآن، وحتى الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يساعده أو يرشده إلى ماهية السبب الذي سيؤدي إلى مقتله قد فقده، وإلى الأبد.
لا يدري لماذا ترددت في ذهنه جملة..
إذا رأيت الدنيا تبتسم لك فلا تفرح؛ فالذئب يكشف أنيابه قبل التهام فريسته، وإن الطريق لغيابات الجحيم محفوف بالملذات.
أغمض عينيه وأرخى جسده على الفراش، وأطلق العنان لعقله يحلق في ممرات الزمان ويتوقف عند البداية.. بداية كل شيء.

* * *

«كريم عبد الله عبد المجيد».. اسمه الذي التصق به واللعنة التي تطارده طوال حياته.
في حي بولاق الدكرور كانت نشأته وفي بيت لم يكن فيه أي شيء طبيعي كان مولده، وفي شقة مكونة من صالة وثلاث غرف إحداها مغلقة دائما يسأل عمَّا بها فتقول والدته إنها مقتنيات لوالده يحتفظ بها، وبين أمه الطبية التي لا ترى في الدنيا سوى بيتها وأسرتها، ووالد لا يتكلم ولا يتحرك ويظل طوال اليوم في غرفته قعيدا، كرسيه المتحرك كان حياته.
لم يكن مستواهم المادي سيئا، فقد جمع والده - قبل أن يُقعده المرض - مالاً ينفقون منه، كما

ورث أبوه عن جده أرضا يرعاها أخوه الأصغر ويأتيهم بريعها كل فترة، ريع يتناقص مع الوقت بدلا من أن يزيد.

لا يذكر عن والده الكثير؛ فقد وعى على الدنيا ليجد والده هكذا، لا يتكلم، لا يتحرك، لا يغادر غرفته، قيل له في صغره إن والده يعاني مرضا عقليا وشللا كليا لا أمل في الشفاء منه، لا يذكر من مواقف عن والده سوى موقفين لا غير.

في أحد الأيام عندما كان في الخامسة عشرة من عمره سمع صوت أمه من خارج غرفته وهي تحتد في الحديث مع شخص ثم علا صوتها فخرج ليجد أمه تحدث عمه:

- ودول أعمل بيهم إيه إن شاء الله يا «محمود»؟

- والله هو ده اللي طلع من الأرض.

- نعم؟! يعني عايز تفهمني إن فدان أرض ما بيطلعش غير ١٠٠ جنيه؟ ده الإيراد كان أكتر من كده والمفروض يزيد مش يقل.

- قصدك إني حرامي يعني؟

- ولا قصدي ولا ما قصديش، بس اللي بيحصل ده ظلم، المفروض تراعي إن أخوك عيان وإني بصرف على ابن أخوك.

- ما أنا قلت لك من زمان، أنا ممكن أشتري الأرض وأتحمل خسارتها لوحدي.

أحست بوجود «كريم» فالتفتت إليه:

- خش أوضتك يا حبيبي.

رمى عمه بنظرة غل ودخل غرفته وأغلق بابها بشدة، وجلس والغضب يشتعل في صدره، على الرغم من صغر سنه فإن مرض والده جعله يشعر بالمسئولية، ولكم تمنى أن يساعد والدته في حِملها، ولكم تمنى أيضًا في هذه اللحظة أن يخرج ويفتك بعمه اللص، ولما لم يجد أمامه شيئًا يفعله ارتمى على فراشه يهرب من واقعه بالنوم وهو يكتم غضبه وغيظه.

عندما يكون عمرك خمسة عشر عامًا وتستيقظ في الليل لتجد أن فراشك يتحرك بك فهذا شيء غريب، وعندما تفتح عينيك لتجد أن الكرسي الصغير بجانب فراشك يطوف في الهواء هو وحذاؤك وبعض الأمتعة فهذا شيء أغرب، وعندما تسمع صوت تحطم خارج غرفتك فتنتفض من فراشك وتهرع إلى الخارج وأنت تغالب خوفك وذعرك لتجد جسد والدتك يطير من خارج غرفة والدك ويرتطم بالحائط المقابل كأنه قذيفة مدفع وتقع على الأرض فهذا شيء أغرب وأغرب.

لم يستوعب «كريم» الصغير ما يحدث فهرع إلى والدته التي كانت تنزف من رأسها وحاول إنهاضها وهو يطمئن عليها، حانت منه التفاتة إلى مكان والده فوجده كما هو على كرسيه المتحرك، لكنه كان يزوم بغضب والدم يسيل من أنفه بغزارة، كاد يذهب إلى والده إلا أن والدته جذبته بشدة:

- روح أوضتك يا «كريم».

- بس انتي وبابا متعورين يا ماما.

ثم أخذ يبكي وهو يسألها:
- هو إيه اللي بيحصل يا ماما؟
- قلت لك روح أوضتك واقفل الباب، يلا بسرعة.
ذهب إلى غرفته ورأى قبل أن يغلق بابها أمه تقوم وتذهب إلى غرفة والده دون أن تبالي بالدماء التي تنزف من رأسها.
اهدى يا اخويا، اهدى ده مفيش حاجة تستاهل.
لم يستطع فهم ما حدث ولم يقتنع بقول والدته في اليوم التالي حين سألها: «ده كان زلزال يا حبيبي»، لكن لم يكن أمامه سوى أن يرضي نفسه بقولها هذا، وفي نفس اليوم جاءهم خبر وفاة عمه وكان السبب كما عرف هو سقوطه من فوق سطح منزله..
وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره بدأت أشياء غريبة تحدث معه شخصيا؛ ففي بادئ الأمر كان يرى أحلاما عن أحداث شتى فيستيقظ ليجدها تحدث أمامه كما رآها في منامه من دون أي زيادة أو نقصان، حكى لوالدته فارتسمت في عينيها نظرة قلق للحظة قبل أن تضمه وهي تخفي توترها.
- ما شاء الله عليك يا حبيبي، ده معناه إن ربنا بيحبك والمؤمن دايما أحلامه بتتحقق.
اقتنع بكلامها ودفعه ذلك وقتها إلى المواظبة على الصلاة بعد أن كان يهمل فيها، لكن الأمر تطوَّر بمرور سنة أخرى فأصبح يرى أشياء قبل أن تحدث وهو مستيقظ، كان يجد أن كل ما حوله قد اختفى ويرى فيه عدة أشياء مرتبطة به وأحيانا أشياء عابرة في بيته أو جامعته ثم تختفي ليتابع ما يحدث أمامه كأنه فيلم سينمائي شاهده من قبل.
كان هذا يسعده بشدة، لكن والدته كان لها رأي آخر وشعور مناقض لشعوره.
- إيه يا أبو «كريم»؟ إيه رأيك في اللي بيحصل للواد؟
جلست والدته أمام والده القابع على كرسيه وأخذت تبث إليه همومها، تقول له الجملة ثم تسكت برهة وتكمل الكلام كأنه يرد عليها، شاهدها ابنها من خارج الغرفة مرة تفعل ذلك فأشار إلى جانب رأسه بأصابعه بحركة دائرية كأنها مجنونة.
- خايفة الواد يحصل له زي ما حصل لك، نفسي أعمل حاجة بس مش عارفة إيه هي.
صمتت مرة أخرى ثم رفعت عينيها إلى سقف الغرفة وهي تدعو:
- استر يا ستار.
وعندما جن الليل سمع «كريم» نداء أمه تطلبه أن يجلس معها قليلا، فقام ليذهب إليها وجلس بجانبها، فأخذت تعبث في شعره وهي تبتسم بارتباك.
- نعم يا ماما.
- عامل إيه في مذاكرتك يا حبيبي؟
- الحمد لله بذاكر والله.
تشاغلت بالعبث في شعر رأسه فهز رأسه.

- إيه يا ماما انتي بتدوري على قمل ولا إيه؟
تبسمت وأنزلت يدها وصمتت لدقيقة قبل أن تعود وتنظر إلى ابنها:
- قل لي يا «كريم»، هو انت لسه أحلامك بتحصل؟
- اسكتي اسكتي..
ثم أخذ يتكلم بحماس:
- ده الموضوع ما بقاش أحلام بس، ده كمان ساعات بشوف حاجات وأنا صاحي وبتتحقق.
غالبتها مشاعر القلق وهي تجبر نفسها على الابتسام:
- إزاي؟
- بصي يا ست الكل، في الأول كنت بشوف أحلام أحيانا بتكون صريحة وبتوضح كل حاجة وأحيانا بتبقى أحلام رمزية ولما بصحى بتتحقق، بس ده كان في الأول بس، لكن دلوقتي بشوف حاجات كتير قبل ما تحصل وأنا صاحي، ساعات بتجيلي غفوة كأني نمت أو ساعات فجأة كل حاجة قدامي بتختفي وبلاقي نفسي شايف مكان تاني أو أحداث تانية، ولما بفوق بلاقيها بتتحقق، أحيانا بشوفها قبل ما تحصل على طول وأحيانا قبلها بفترة.
لم يبدُ على الأم أي حماس أو فرحة بما قاله لها «كريم» وظلت مطرقة برأسها قليلا قبل أن ترفع رأسها وعلى ملامحها علامات القلق والوجل بادية:
- بص يا «كريم» أنا عايز أقول لك حاجة.
- اتفضَّلي يا أمي.
- مش انت عارف إني بحبك وعايزة مصلحتك؟
- مش متأكد أوي، بس ساعات يعني.
قالها مداعبا فضربته برفق على كتفه:
- يا واد أنا بتكلم بجد.
- طبعا عارف، هي دي عايزة كلام؟!
- طيب ممكن أطلب منك طلب؟
- قولي.
- موضوع الأحلام ده يا ريت تبطله خالص.
ارتسمت على ملامح «كريم» ملامح الدهشة من كلام أمه ثم ابتسم.
- أبطلها إزاي يعني؟ أفضل صاحي على طول ولا إيه؟
- مش قصدي يا «كريم»، بس أنا أدرى بمصلحتك ويا ريت تسمع الكلام.
- أيوه يا حبيبتي كلامك على راسي، بس اطلبي حاجة أقدر أعملها، ده حتى لو بطلت أنام برضه هشوف الحاجات اللي بشوفها وأنا صاحي.
ثم صمت لحظات ثم عاد ليكمل:

- تعرفي أنا نجحت السنة اللي فاتت وطلعت الأول ليه؟ علشان شوفت أسئلة الامتحانات قبل الامتحان بأسبوع، يبقى أبطلها ليه؟ أصلا ده لو كنت أقدر.

لم تجد ما تقوله أمام منطقه فلم تملك إلا أن ضمته إليها:

- أنا بس خايفة عليك، مش قصدي حاجة، بس مش عايزة حاجة تحصل لك.

قبَّل جبينها ورجع بظهره يضحك.

- تخافي من إيه؟ ويحصل لي إيه؟ شكلك اتفرجتي تاني على فيلم «أمار أكبر أنطوني» لما أميتاب تشان ضربوه بالرصاص في الآخر.

- فيلم إيه يا واد؟

- آه بجد، ما انتي مش بتتأثري كده غير لو شفتي فيلم هندي.. على العموم ما تخافيش أنا مش ناوي أروح الهند قريب.

دمعت عيناها من الضحك ثم قالت أخيرًا:

- مش هخلص معاك شكلي، على العموم توعدني بحاجة؟

- قولي.

- لو بجد بتحبني، سيبك خالص من موضوع الأحلام والحاجات اللي بتحصل دي، مش بقول لك بطل تنام ولا حاجة بس ما تفكرش فيها خالص، وحتى لو شوفت حاجة ما تعتمدش عليها.

- طيب إيه الحكمة يعني؟

- يا سيدي اعتبرني مجنونة واسمع الكلام، وبالنسبة لموضوع إنك تشوف أسئلة الامتحان دي، بالذمة ده مش حرام إنك تعتمد عليه وفيه ناس تانية بتفضل تذاكر طول السنة؟

- أولا: ما اسمهاش بالذمة، علشان الشيخ في خطبة الجمعة قال لنا حرام الواحد يحلف غير بربنا ولو عايزة تستحلفي حد تقول لي بالله عليك.. ثانيا: مالك قلبتي كده على خواطر الشعراوي؟

- لا إله إلا الله، ماشي يا سيدي خليها بالله عليك بدل بالذمة، المهم هتوعدني؟

- هو طلبك غريب وأنا مش فاهم ليه بس ماشي، أوعدك يا ستي.

ثم أمسك يديها وقبلهما وهو يبتسم:

- هو أنا عندي أغلى منك يا بطتي يعني؟

ضمته إليها وهي تدعو له ثم قالت:

- ربنا يبارك لي فيك يا حبيبي.

- وفيكي يا بطة.

ثم قام وقال وهو يتوجه إلى غرفته:

- أسيبك أنا وأروح أذاكر بقى علشان الامتحانات قربت.

- ربنا يعلي مراكبك يا حبيبي.

- ماشي يا عم الصياد.

obeikan.com

عاد «كريم» شارد الذهن إلى غرفته ثم استلقى على المقعد الصغير الذي يحتل ركن غرفته وقد شغل حديث والدته كل تفكيره.

لم يفهم سر طلب والدته، لكنه آخر الأمر عزم على أن يطيع رغبتها، فقد عهدها تسعى دائما وأبدا إلى ما فيه صالحه، قام وجلس أمام مكتبه الصغير وأمسك كتابا وحاول الاستذكار إلا أن كلام والدته ظل يتردد في ذهنه فقام وتوجه إلى فراشه واستلقى عليه حتى غلبه النوم.

obeikan.com

obeikan.com

الرؤيا

هطلت السماء بمطر غزير وانشقت السماء عن برق أضاء المكان للحظات ودوى صوت الرعد حتى ليكاد يسمع الموتى، وقف «كريم» يتفحص المكان الذي وجد نفسه في وسطه والدهشة تكسو وجهه، كان في وسط أرض جرداء لا نهاية لها، فظل يلتفت حوله لعله يجد أي شيء يخرجه من هذا المكان حتى رأى من بعيد رجلا ملامحه غير واضحة وقد عطف على نقش شيء ما على حجر أمامه كشاهد القبر، فاقترب منه يناديه:

- لو سمحت.

لم يبد على الرجل أنه قد سمعه من الأصل وهو يواصل النقش على شاهد القبر، فعاد «كريم» مرة أخرى إلى الصياح في الرجل، لكن الرجل ظل على حاله حتى اعتدل فجأة وظهره إلى «كريم» الذي نظر إلى شاهد القبر والمكتوب عليه فانتفض مما رأى، فقد وجد أن المنقوش على الشاهد هو اسم والده.

تحرك الرجل وأخذ يحفر قبرا أمام الشاهد من دون أن يلتفت إلى صرخات «كريم» التي تناديه والتي ضاعت في صوت الرعد، وما إن انتهى الرجل من الحفر حتى التفت وشاهد «كريم» وجهه فتجمد مكانه من الخوف، فقد كان الرجل بلا وجه ظاهر، وإن شعر «كريم» كأن طاقة سلبية تخرج من مكان الرأس حتى لتكاد تنتزع روحه.

لم يبدُ على الرجل أن لاحظ وجوده، فقد أكمل التفاته، ثم أشار بيده إلى مكان آخر كأنه يستدعي شيئًا ما، فالتفت «كريم» ليرى القادم فإذا بوالده يمر من جانبه وهو يبتسم له ابتسامة خفيفة قبل أن يستلقي في القبر بعد أن أشار له الرجل الآخر بذلك ثم شرع الرجل في ردم القبر على والده، فاندفع «كريم» ليمنع الرجل، لكنه توقف بعد أن أشار والده له قائلا له:

- روح يا «كريم»، مش هينفع تعمل حاجة.

ثم شعر «كريم» كأن قبضة قوية تسحبه إلى الخلف وهو يصرخ في الرجل أن يكف عما يفعل، وظل يبتعد وهو يصرخ حتى اختفى الرجل والقبر وضاعت صرخاته في المجهول.

استيقظ فجأة على نداء والدته عليه وهي تقتحم الغرفة بعدما سمعت صراخه فقام والعرق يتصبب منه وقلبه يتواثب بين أضلعه:

- مالك يا حبيبي؟

- فين بابا؟

- أبوك في أوضته.. شوفت إيه يا حبيبي؟

لم يحاول الرد عليها وانتفض من سريره يهرع إلى غرفة والده فوجده، كما هو، جالسا على كرسيه ثابت النظرات، فجذب «كريم» كرسيا وجلس أمامه ينظر إليه والقلق بادٍ على وجهه:

- انت كويس يا بابا؟

كان سؤاله بلا معنى، فقد كان يعلم أن والده لن يجيبه، وظل والده على حاله لا يتحرك كأنه لا يشعر بوجود ابنه، لكن ولأول مرة تحركت عيناه لتستقرا ناظرتين إلى وجه «كريم» للحظات ثم شعر فجأة كأن تيارًا باردًا يجتاح عقله للحظات، ثم توقف ليجد «كريم» ولأول مرة شبح ابتسامة ارتسمت للحظة على شفتي والده قبل أن تختفي مرة أخرى.

أمسك بيد والده وقبّلها وقام لما لم يجد أن جلوسه مع والده له أي فائدة، وما إن هم بالانصراف من حجرة والده بعد أن قبل يده ورأسه مرة أخرى سمع في عقله نفس صوت والده الذي سمعه في الحلم: «ده دورك دلوقتي»، التفت بدهشة إلى والده فوجده قد عاد إلى وضعيته الأولى يحدق في الحائط.

خرج من الغرفة، فنادته والدته التي بلغ منها القلق مبلغه:

- شوفت إيه يا «كريم»؟

- كابوس يا أمي.. مجرد كابوس.

ثم تركها وأغلق على نفسه الغرفة ثم استلقى على سريره يحتضن وسادته وقد شعر بداخله أن لرؤياه معنى واحدا وأكيدا.

ولم تمر ثلاثة أيام، وبينما «كريم» عائد من الجامعة حتى وجد تجمهرا أمام شقته وصراخ والدته يملأ المكان؛ فاندفع بينهم ليرى ما حدث، وهو يعلم في داخله أنها رؤياه المشئومة قد تحققت، وما إن اقتحم غرفة والده حتى وجد بعض الأقارب بجانبه وهو ممدد على فراشه وقد غطوه حتى رأسه بملاءة بيضاء؛ فاقترب منه وكشف وجهه وطفق يقبل رأسه ووجهه وهو يبكي بشدة وأقاربه يحاولون التخفيف عنه بالجمل المعتادة.

وبانتهاء اليوم كان قد قام بدفن والده بعدما قام بتغسيله والصلاة عليه ووقف يتلقى العزاء بجوار المقبرة:

- البقاء لله يا «كريم».

- البقاء لله.

- هو الصوان هيبقى هنا يا ابني في البلد ولا عندكم في المنطقة؟

- لأ مفيش صوان، إحنا بناخد العزاء على المقابر وخلاص..

ثم عاد بأمه وجدّته لأمه التي أصرت أن تمكث معهما قليلا حتى تخفف عن ابنتها مصابها، وما إن دخل غرفته حتى دخلت والدته خلفه وأغلقت الباب وجلست على طرف الفراش، وأشارت إليه أن

يجلس بجانبها فأطاعها ونظرت هي إليه بعينين حمراوين من أثر البكاء ثم قالت بحزم:
- أنا طلبت منك مرة يا «كريم» إنك تنسى خالص موضوع الأحلام والكلام ده.
- هو ده وقته يا أمي؟
- أيوه ده وقته، وأنا بقول لك لتاني مرة يا «كريم» اسمع كلامي وانسى خالص الموضوع ده.. فاهم ولا لأ؟
- حاضر يا أمي.
انفجرت فجأة في البكاء وهي تضمه إليها:
- أنا مش حمل إنك تروح مني، اسمع كلامي يا «كريم».
ضمها هو الآخر:
- أوعدك يا أمي، صدقيني هنفذ اللي عايزاه.
- ربنا يطول في عمرك يا حبيبي.
قالتها وقبلت رأسه وذهبت إلى خارج الغرفة، وظل هو جالسا يجتر أحزانه وحده، فعلى الرغم من أن والده لم يكن يتحرك أو يكون هناك أي مواقف تذكر بينه وبين والده فإن مجرد وجوده كان يشعره بالأمان.
سالت الدموع على وجنتيه وهو يذكر جلسة والده على كرسيه، وظلت مقولة والدته بوجوب إهمال موهبته تتردد في ذهنه.

obeikan.com

obeikan.com

الوعد

مر عام ونصف العام و«كريم» محافظ على وعده الذي قطعه على نفسه قبيل وفاة والده، كان يرى الحدث قبل حدوثه وعند تحققه يفتعل الدهشة كالباقين، كأنه لم يكن على علم مسبق به، يرى بعض أسئلة الامتحانات فيصر على استذكار دروسه كباقي زملائه، واستمر على تجاهل الرؤى والاستفادة منها حتى تلاشت الرؤى أو كادت.

ولكن..

حدث بسيط قد يكون هو الفيصل في حياتنا، طريقان أمامنا، لا نعلم هل نحن مسيّرون إلى قدرنا، أم أن اختياراتنا هي التي تحدد أيهما سنسير فيه، هذا هو ما حدث معه.

كان من الممكن أن يستمر على حالته من تجاهل للموهبة التي وهبها الله إياه حتى رأى رؤيا كانت هي هذا الفيصل.

ففي أحد الأيام وبينما هو عائد إلى بيته قبل غروب الشمس؛ إذ ابيضت الدنيا في عينيه بنور ساطع حتى ارتكن إلى أقرب حائط حتى يستطيع الرؤية مرة أخرى، لكنها عادت ليرى مكانا آخر، رأى نافذة شقته وكأنه ينظر إليها من أسفل من زاوية جانبية من المقهى المقابل للبيت الذي يسكنه وسمع بأذنه كلاما كأنه هو قائله:

- ما تيجي ياض معايا الطلعة دي.

- طلعة إيه يا عم؟ دي عيلة كحيانة.

- يا أهبل ده أنا سمعت إن أبو الواد «كريم» لما مات مراته باعت حتة أرض كانت بتاعته وخدت ييجي ١٠٠ ألف جنيه وشايلينهم في البيت.

- لا يا عم، ممكن تبقى الفلوس في البنك وهتبقى طلعة فشنك، لو عايز تروح اطلعها لوحدك.

- ماشي يا جبان، بس ما تجيش بعد كده تقول لي عايز فلوس مني.

ثم رأى «كريم» كأنه التفت ورأى العامل الذي في المقهى المقابل لبيته:

- حسابك كام يالا؟

- انت واخد شاي فتلة و٧ حجر معسل، يبقى الحساب أربعة جنيه.

- أيّدهم عندك وهدفعلك بالليل.

اختفت الرؤيا لتحل مكانها رؤيا أخرى في مكان آخر، فقد رأى بعين اللص كأنه يتسلق البيت في جوف الليل وقد اقترب من نافذة شقته، ثم اختفت الرؤيا مرة أخرى لتعود له قدرته الطبيعية على الإبصار وعقله يكاد يشتعل من خوفه وقلقه مما قد يحدث، فقد ميّز الصوت الذي سمعه،

فصاحب الصوت بلطجي معروف في المنطقة عندهم باسم «زغلول»، و«كريم» ضعيف البنيان لن يستطيع مواجهة مثل هذا البلطجي وحده، فهو كالثور ويمكن أن يقتل «كريم» بسهولة بالغة، وفي الوقت نفسه لن يستطيع أن يتصل بالشرطة ويخبرهم بأنه سيتم الهجوم عليهم من أحد البلطجية في المساء فحينها سيكون السؤال المتوقع: «وانت عرفت إزاي؟».. ظل يفكر ويفكر في طريقة للخروج من هذا المأزق في أثناء عودته إلى شقته، وقبل أن يدلف إلى باب البيت قابل «زغلول» البلطجي الذي كانت الرؤيا تدور حوله والذي ما إن رأى «كريم» حتى ابتسم له ابتسامة لزجة:

- مساء الفل يا «كيمو».

- مساء الخير يا «زغلول».

شعر بتيار بارد يسري في أوصاله وبرعشة صحبتها حركة عصبية في أطراف يده.

- مالك يا «كيمو» يا حبيبي؟ شكلك مخطوف كده.

- لا أبدا، ده أنا بس تعبان شوية.

- ألف سلامة عليك، نصيحة من أخوك غيّر جو وحاول تبات في مكان تاني كام يوم وهتلاقي نفسك زي الفل.

- فعلا؟

- أمال؟! ده قبل كده دكتور قال لي لما تتعب غيَّر جو على طول.

- أنا فعلا بفكر أبات أنا ووالدتي عند خالتي النهارده.

- عين العقل.. النصيحة دي علشان بحبك بس.

- أكيد طبعا.

ثم تركه وصعد إلى شقته وقد عزم أمره على المواجهة لا الهروب، وما إن دخل شقته حتى سارع إلى الاتصال بخمسة من أصدقائه، وأصر أن يحضروا بحجَّة أن يستذكروا دروسهم معه، وبعد أن اتفق معهم أقنع أمه أن تذهب لتبيت ليلتها عند خالته، ثم أخذ يجهز بعض أدوات المقاومة من عصي خشبية وكل ما وجده قد يجدي نفعا في المنزل.

وفي المساء..

جلس «كريم» مع أصدقائه الخمسة وقد أعطى لكل منهم عصا خشبية في يده وخفف الأضواء لدرجة تصعب الرؤية فيها من دون أن يخبر أحدهم عمّا يجري حتى سأله أحدهم بقلق:

- يا ابني فهمني بس فيه إيه؟

- اهدى بس يا عصام وهتفهم كمان شوية.

- لا معلش، جو الأفلام الهندي اللي انت عامله ده مش مطمني.

فتدخل آخر في الحوار بينما صمت الثلاثة الباقون مستمعين:

- يعني قلتلنا نيجي نذاكر وانت عمرك ما عملتها وقولنا ماشي، لكن عصيان وشغل الحرافيش ده قصدك منه إيه؟

- يا جماعة اصبروا شوية.
- لأ، عصام عنده حق، لازم نعرف فيه إيه؟
- قوله يا يحيى، أحسن ده هيجنن أمي.
صمت «كريم» قليلاً يفكر كيف يخبرهم بما سيحدث:
- طب صلوا على النبي.
- عليه الصلاة والسلام.
- من الآخر كده، فيه بلطجي هييجي علشان يسرق الشقة النهارده.
نظروا إلى بعضهم باستغراب إلا عصام الذي رد عليه بسرعة وبنفاد صبر:
- يا ابني بطل هزار وانجز، إيه الحكاية يا زفت؟
- والله بتكلم بجد، عرفت إن «زغلول» هييجي علشان يسرق شقتنا النهارده.
- «زغلول» مين؟ البلطجي اللي بيثبِّت الناس على أول الشارع؟
- ياااابن المجنونة.
كانت هذه الصيحة من يحيى فخرج صديقهم «شادي» عن صمته:
- إيه حكاية «زغلول» دي كمان يا يحيى؟
- ده بلطجي ممكن يبرمنا بدراع واحد في دقيقة.
- طيب وانت يا «كريم» ما اتنيلتش على عين أهلك وبلغت البوليس ليه؟
- علشان البوليس عندنا بيتحرك بعد الحادثة مش قبلها، ثم هقول للبوليس إيه؟ هقولهم فيه بلطجي هييجي يسرقنا النهارده؟!
- آه.. إيه المشكلة يعني؟
- ما هم ساعتها هيقولوا إيه عرفك؟ وإزاي هيقبضوا على واحد لسه ما عملش حاجة؟
- طيب وانت عرفت إزاي يا عم الشيخ؟
حاول «كريم» أن يهرب من إجابة السؤال، لكن مع إصرار أصدقائه على معرفة الجواب اضطر أن يجيب بأول شيء مر على ذهنه:
- أصل واحد كان قاعد على القهوة النهارده وسمع «زغلول» بيقول كده لواحد صاحبه.
- والمفروض إننا نمسكه.. ده لو جه يعني؟
- أيوه يا عصام، ده احنا خمسة، والكترة تغلب الشجاعة.
همَّ «كريم» أن يستطرد في كلامه إلا أن النور الساطع الذي يراه قبيل الرؤيا أعمى بصره قبل أن يرى بعين «زغلول» وكأنه يقترب من المنزل ثم اختفت الرؤيا فوقف «كريم» مسرعا وأطفأ الأنوار كلها.
- يا ابن المجنونة، بتطفي النور ليه؟ مش كفاية فيلم الرعب اللي معيشنا فيه؟
- شششششش، ما حدش يتكلم، «زغلول» خلاص هيطلع دلوقتي.

- يا نهار إسود، هنعمل إيه دلوقتي؟
- شششششششششش.. اتكتم يا حيوان، ما حدش يتكلم وكله يمسك العصاية ويستخبى قرب الشباك.
تحركوا جميعا واختبأوا وأقدامهم ترتعش من الخوف، وظلوا هكذا لمدة خمس دقائق دون أن يحدث شيء حتى قال يحيى بصوت خافت لـ«كريم»:
- يا ابني انت متأكد؟
إلا أن «كريم» أمسك بيده بشدة حتى يُسكته، وبالفعل لم تمر دقيقة أخرى حتى سمعوا صوتا من الخارج كأن أحدهم يعالج نافذة الشقة بأداة معه ليفتحه، وما إن تم فتح النافذة وأحسوا بجسم ثقيل قد دخل إلى الشقة حتى عالجه «يحيى» بضربة على قدمه ثم انقضوا جميعا وانهالوا عليه بعصيهم وبعد أن سقط «زغلول» على الأرض وعلا صراخه من الألم ومن هول المفاجأة، أضاء «كريم» الأضواء ثم ذهب ووقف بجوار رأسه وهو يضع عصاه على كتفه:
- إزيك يا «زغلول» يا حبيبي.
- «كريم».. انت فاهم غلط.
قالها والدم يسيل من فمه مع بعض أسنانه؛ فضحك «كريم»:
- أيوه أيوه، أكيد كنت جاي تطمن عليَّ من الشباك يا ابن الحرامية.
ثم أتبع قولته بأن رفع عصاه وضرب «زغلول» على رأسه بشدة فأفقده الوعي..

* * *

وصلت الشرطة بناءً على مكالمة «كريم» لهم بأقصى سرعة (عندنا) فلم تمضِ خمس ساعات حتى كان العساكر يقتادون «زغلول» إلى سيارة الشرطة، بينما وقف ضابط الشرطة مع «كريم» وأصدقائه يسألهم عمّا حدث.
- حضرتك إحنا كنا بنذاكر في الصالة وفجأة سمعنا صوت الشباك بيتفتح في أوضة النوم فجرينا ولقينا «زغلول» بينط من الشباك فضربناه بالخشب اللي في إيدينا.
- أيوه والخشب جبتوه منين؟
- نعم حضرتك؟
- انت أطرش؟ الخشب جبتوه منين؟
- أصل حضرتك أنا الخشب ده بستعمله في الرياضة ساعات كده، والحمد لله نفعنا، أحسن ده كان ممكن يعمل فينا حاجة.
- طيب هحتاجكم كلكم في القسم علشان نكمل المحضر.
- طيب حضرتك واحنا مالنا؟ دي شقة «كريم» اللي كانت هتتسرق.

كانت هذه من عصام الذي كادت أعصابه تنهار وأراد أن ينتهي من هذا الموقف بأقصى سرعة.

- انتم كلكم مش شاهدين على اللي حصل؟

- أيوه يا باشا.

- يبقى تتنيلوا تيجوا القسم علشان نخلص من أم الليلة دي.

فانصاع الجميع لكلام الضابط من دون أن يعقب أحدهم، وخرجوا خلف الضابط وعصام يردد:

- الله يخرب بيتك يا «كريم»، الله يخرب بيتك يا شيخ.

obeikan.com

obeikan.com

النشوة

كانت هذه الحادثة هي الفيصل في قرار «كريم» والنقلة التي قرر بعدها ألا يتخلى عن موهبته التي وهبه الله إياها، وأقنع نفسه بأن موهبة مثل هذه تركها ضرب من الخيال، وإلا ما كان الله قد وهبها له، وأنها كباقي أعضاء جسده من ذراعيه وعينيه، وعليه أن يتقبل حقيقة امتلاكها وأن يعمل على استغلالها أفضل استغلال، ولم تملك والدته إثناءه عمَّا قرر وإن ظلت تذكره بوعده بين الوقت والآخر، حتى استسلمت في آخر الأمر.

لم ينكر على نفسه شعور النشوة الذي اعتراه كلما رأى رؤيا وتحققت، لم يشعر بأنه غريب الأطوار، بل شعر بأنه بموهبته تلك قد اقترب من الكمال، ومع مرور الوقت زاد إحساسه هذا، خاصة بعدما أصبح، بقليل من التركيز، يحدد عمَّن تكون رؤياه، وكل ما كان عليه فعله أن يركز تفكيره في شخص ما أو يلمسه حتى تأتيه رؤى عشوائية عن أشياء قد فعلها هذا الشخص أو يفعلها حاليا أو ستحدث له مستقبلا، بالطبع كان كل ما يراه مجرد ومضات صغيرة، فقد كان يعلم أن رؤية المستقبل بالكلية ضرب من المستحيل، لكن هذه الومضات كانت كفيلة بأن يعرف طبيعة الشخص الذي أمامه وما الذي يفعله.

وبفضل موهبته، أنهى دراسته الجامعية بتفوق، لكنه لم يقبل أن يصبح معيدا في الجامعة، فقد كان يرى أنه بموهبة كموهبته يمكنه أن يرتقي لأعلى المناصب خارج مجال الجامعة المحدود.

ظل يبحث ويبحث حتى عثر على إعلان وظيفة في إحدى الشركات العالمية، فجهز أوراقه وحفظ الإجابات النموذجية كما يفعل الجميع استعدادًا لمقابلة مدير الموارد البشرية وذهب وانتظر ميعاد المقابلة.

وجد العشرات من المتقدمين كما توقع، ولم يمر وقت طويل حتى جاء دوره، فلم يكن مدير الموارد البشرية يطيل مع المتقدم، وكان من الواضح أن أحدا منهم لم يحظَ بالقبول عنده، وما إن دخل «كريم» حتى صافحه مسئول المقابلة بطريقة روتينية فاترة، لكنها كانت كافية جدًا، فما إن لامست أصابع «كريم» يد المسئول حتى احتشدت الرؤى العشوائية بتدافع:

«بكره الإجابات الروتينية».

«كل واحد حافظ كلمتين وجاي يرجعهم قدامي».

«عارف يا هشام، لو المتقدم يبقى صريح ويتكلم عادي من غير شغل، أصلي جاي علشان ببحث عن تحدي جديد وشغل إجابات كتب كيف تكسب وظيفة، ده كان الواحد يفكر، لكن دول شكلهم حافظين مش فاهمين».

«تيجي معايا نجيب هدوم النهارده؟ كونكريت فيها شوية موديلات حلوة جدًا».
ارتسمت على وجه «كريم» ابتسامة سريعة ما لبث أن أخفاها وهو يقدم أوراقه إلى مسئول المقابلة قبل أن يجلس بعد أن سمح له بذلك، فألقى المسئول نظرة سريعة على السيرة الذاتية ثم سأل «كريم» من دون أن ينظر إليه:
- الـ«سي في» بتاعك كويس، بس مش مكتوب إنك اشتغلت قبل كده.
- أنا فعلا ما اشتغلتش قبل كده لأني لسه مخلص الجامعة من سنة.
- طيب عملت إيه السنة دي؟
- كنت باخد كورسات تؤهلني للعمل.
هز المسئول رأسه وهو يقلب في أوراق التقدم:
- طيب قول لي، إيه اللي يخليك مؤهل للشغل في الشركة هنا؟
- عايز إجابة محفوظة ولا أكلم حضرتك بصراحة؟
- أفندم؟!
ثم رفع رأسه مندهشا من إجابة «كريم» الذي كان يبتسم ابتسامة خفيفة.
- بص يا أفندم، زي ما حضرتك عارف إن إجابات أسئلة المقابلة الشخصية معروفة وإجاباتها النموذجية موجودة في كتب كتير والكل حافظها، ممكن أقول لحضرتك ببساطة زي ما الكل هيقول أصلي أقدر أشتغل تحت ضغط وعندي قدرة على تحمل المسئولية.. إلى آخر الكلام ده، بس سامحني أنا بحب أتكلم بطريقة عادية.
- طيب سمَّعني عايز تقول إيه؟
- ولا حاجة.
- يعني إيه ولا حاجة؟
- أنا متخرج من الجامعة جديد ولسه ما عنديش الخبرة الكافية، صحيح أنا من أوائل دفعتي بس حضرتك عارف إن الدراسة النظرية مالهاش علاقة بالجانب العملي.
- طيب ما دام كده ليه متوقع إني هوافق على طلب التقدم بتاعك؟
- ولا حاجة فعلية ممكن تخلي حضرتك توافق، بس أعتقد إن أول ٣ شهور هي فترة اختبار ممكن تحدد هل أنا مناسب للعمل ولا لأ، وكمان لو حضرتك تحب إني أشتغلهم بدون مرتب يبقى شرف ليّ.
صمت المسئول لدقيقة، ثم ابتسم ابتسامة واسعة وهو ينظر إلى «كريم» يتأمله:
- بص يا «كريم»، هو كلامك صادم، وأول مرة حد يتكلم في مقابلة شخصية بالأريحية دي، بس أكيد دي أفضل من الإجابات المحفوظة.
- أتمنى إن حضرتك تعذرني، بس أنا بحب المصارحة.
- لا بالعكس، كلامك ممتاز.

وقبل انتهاء المقابلة سأله المسئول السؤال المعتاد:

- فيه حاجة تحب تستفسر عنها؟

- هو القميص اللي حضرتك لابسه ده من كونكريت؟

- أفندم؟!

- القميص ده كونكريت؟

- آه كونكريت.. إشمعنى؟

- لو حضرتك ناوي تشتري الفترة دي من الأفضل تستنى شوية لأنهم هينزلوا خصم ٣٠٪ الأسبوع الجاي.

- وانت عرفت إزاي؟

- أعرف حد شغال هناك وقال لي.

- ماشي يا سيدي، شكرا على النصيحة.

ثم قام وصافح «كريم» وهو يبتسم:

- استنى مني مكالمة.

- مكالمة مكالمة ولا زي الباقيين؟

- لأ، مكالمة مكالمة بإذن الله.

ثم قال وهو يضحك:

- اسمي شريف على فكرة.

- أتمنى إني أنال شرف الشغل مع حضرتك يا أستاذ شريف.

- أكيد.

ثم انصرف «كريم» وهو يعلم أن المنصب قد أصبح له.

وبالفعل لم تمر عشرة أيام حتى وجد اتصالا من «شريف»، مدير الموارد البشرية، يخبره بأنه تم قبوله للعمل وأن يبدأ عمله من أول الشهر المقبل.

- بالمناسبة، شكرا على النصيحة، الشركة فعلا نزلت الخصم اللي قلت عليه.

- يا باشا إحنا في الخدمة.

وما إن شغل الوظيفة حتى أثبت جدارته في العمل بطريقة أبهرت كل المديرين؛ فقد كان يقدم التقرير المطلوب قبل أن يُطلب منه، يكتشف الأخطاء ويقدم طرق حلها قبل غيره، حتى فاق كل من سبقه في العمل في السن والأقدمية، وهكذا كلما فرغ منصب أعلى منه حتى أصبح هو المرشح الأفضل له، ولم تمض سبع سنوات حتى أصبح في مصاف الإدارة العليا.

* * *

obeikan.com

- فيه إيه بس يا «كريم»؟
- تعالي بس وأنا هاوريكي.
قادها من يدها وهما ينزلان درجات السلم العتيق حتى وصلا إلى أمام مدخل البيت، وأشار لها بفخر:
- هاه.. إيه رأيك بقى؟
تلفتت حولها فلم ترَ شيئًا يجذب الانتباه، اللهم إلا سيارة جديدة تقف أمام المدخل قد تركها أحدهم هنا؛ فعادت لتنظر إلى ابنها بتساؤل:
- رأيي في إيه؟
- في العربية يا حاجَّة.
قالها وهو يجذبها ناحية السيارة السوداء (كيا سيراتو) الجديدة وهو يخرج مفتاحها ويضغط زرا فيه؛ فأصدرت السيارة صوتًا واشتعلت أضواء كشافاتها؛ فهللت والدته بفرح وهي تتحسسها:
- ألف مبروك يا حبيبي.. جميلة أوي.
- ربنا يخليكي يا ست الكل.. يلا اركبي عشان أوريكي حاجة تانية.
نصف ساعة بعد أن دخلا شارعًا جانبيًا من «جامعة الدول العربية» كانا يقفان داخل شقة واسعة خالية من الأثاث، وبريق رخامها يخلب اللُّب؛ فأخذت تتجول في الشقة غير مصدقة ما آل إليه حالهما، وكيف تغير من حال إلى حال، نصف ساعة آخر كانا يستقلان السيارة للعودة إلى منطقتهما، قبل أن يودعاها بعد فترة، وفي أثناء عودتهما إلى المنزل والطريق مزدحم والسيارة متوقفة انتفض «كريم» عندما دقت يد على زجاج النافذة المجاورة، فالتفت ليجد طفلاً صغيراً لا يتعدى التاسعة من عمره متسخ الملامح قذر الثياب وهو يشير إلى فمه ويرسم على وجهه علامات الإرهاق والمسكنة، وجن جنون «كريم» لما رأى اتساخ النافذة، وهمّ أن يعنِّفه؛ فمدت أمه يدها وشدت على يده ثم أشارت إلى الطفل أن يأتي إلى جانب نافذتها وهي تخرج من حقيبتها بعض المال:
- تعالى يا حبيبي.. خد دول.
- ربنا يخليكي يا حاجَّة ويخليلك ولادك.
همّ الطفل أن ينصرف فسألته الأم:
- اسمك إيه يا حبيبي؟
- اسمي «مانُّو» يا حاجَّة.
قالها بسرعة وانصرف إلى شارع جانبي صغير، وجلس على الرصيف وهو يمسك بالمال بنشوة، ولم ينتبه إلا عندما توقفت أمامه سيارة «دايو» فضية اللون ومن بداخل السيارة يشير إليه أن يأتي، فأسرع إليه وهو يمد يده، أعطاه قائد السيارة بعض المال وهو يقول:
- تحب تاخد فلوس كتير؟
- ومين ما يحبش يا باشا؟

- طيب تعالى اركب وأنا هظبَّطك.
دار حول السيارة وفتح الباب، ونفض ثيابه حتى لا يوسخ المقعد ثم جلس وانطلقت به السيارة.
بعد يومين وبعد أن انتهى «كريم» من نقل ما يحتاجه إلى شقته الجديدة، وألقى كل الأثاث القديم؛ باستثناء مقتنيات والده، فقد خصَّص لها غرفة وحدها، ووضع بها كل المقتنيات بنفس الوضع الذي كانت عليه في الشقة القديمة، وأضاف لها كرسي والده المتحرك، وعلَّق فوقه صورة لوالده، أمسك بمقبض الحجرة المخصصة للمقتنيات - بعد أن انتهى وأمه من ترتيبها - ونظر بأسى إلى كرسي والده الراحل للحظات، ثم أغلق باب الحجرة..
- روح بقى إدي فلوس للغلابة اللي تلاقيهم في الشارع.
قالتها له قبل أن يستريح؛ فنظر لها بإرهاق فردت عليه وهي تربت على كتفه:
- يا ابني انت ربنا رزقك من وسع، يبقى ما ينفعش تستخسر في الناس الغلابة.. ربنا بيرزق عشان ندي مش عشان نبخل.
قام باستسلام وتوجه ناحية الباب وهو يتمتم:
- ماشي يا حاجَّة.
- وما تنساش الواد ده اللي اسمه «مانُّو».. هو مش بعيد يعني.
التفت إليها وابتسم، ثم خرج من الباب، وكما أمرته أمه مر على كل شحاذ في الطريق وأعطاه بعض المال، ثم بحث عن «مانُّو» فلم يجده، دخل في الشارع الجانبي الذي رآه يدخل فيه المرة السابقة، حتى وجد طفلا آخر يجلس على الرصيف ويأكل «قرصة» فتوقف «كريم» أمامه وأشار إليه، فلبى الطفل الإشارة وهو يشير بيده، فأعطاه «كريم» بعض المال وهو يسأله:
- انت تعرف «مانُّو»؟
- آه يا باشا.. هو عمل حاجة؟
- لا، أنا بس كنت عايز أشوفه.
- والله يا باشا هو مش ظاهر بقاله يومين.
هز «كريم» رأسه متفهمًا، ثم انطلق بالسيارة ومر مسرعًا على صفيحة قمامة يتصارع عدة كلاب بشراسة على شيء فيها.
لم يلحظ ما يتصارع عليه الكلاب، ربما لو انتظر قليلاً لرأى الذراع الصغيرة التي جذبها أحد الكلاب والدم يقطر منها، أو رأى قطع اللحم المتناثرة التي التقط كل كلب جزءا منها، كانت قطعًا ممزقة لجثة مسلوبة العينين والكليتين والقلب..
جثة كان اسمها منذ يومين «مانُّو».

obeikan.com

خبايا الصدور

أمه الغالية التي لم يحب أحد سواها كان يُسر بالجلوس إليها والاستماع إلى حديثها المحبب له لولا مسألة الزواج.

كانت مشكلته الرئيسية مع أمه أنه ما إن بلغ سن السابعة والعشرين حتى ظلت تلح عليه في الزواج وتأتيه بالعروس تلو الأخرى وهو دائم الرفض، وبعد ثلاث سنوات وما إن أتم الثلاثين من عمره حتى أخذ إلحاح أمه شكلا آخر أشد وطأة عليه.

فقد اعتاد أن تأتيه أمه بعروس كل أسبوع أو أسبوعين وتجبره على الذهاب للتقدم، وأمام إلحاحها لا يجد إلا الإذعان فيذهب معها، وكانت نتيجة المقابلات معروفة مسبقا بالنسبة له، لا بسبب موهبته؛ فهي ليست مطلقة، لكن بسبب معرفته بذوق والدته التي تصر على جره جرا وراءها كلما رأت فتاة أعجبتها شكلا وتعرف أهلها، من دون أن تعرف ما تخفيه تلك الفتاة من علاقات سابقة أو حالية، لكن هو بمجرد مصافحة عروس الغفلة كان تاريخها ينساب إلى عقله، ولم يرَ فتاة تشجعه على الارتباط بها.

كانت فتاة أحلامه التي يبحث عنها كعروس البحر يظنها مجرد أسطورة لن يجدها مهما بحث، كان قد رسم لنفسه قبلاً ملامح الفتاة التي لن يرتضي بغيرها زوجة:

محجبة، جميلة، رقيقة، لا تنسى ملابسها في البيت وتخرج منه كأغلب الفتيات، على دراية بدينها؛ حتى تخرج له أطفالا على دين، فقد كان معظم أطفال أصدقائه الذين رآهم مشروع مجرمي حرب أو من رواد الكباريهات في المستقبل، والأهم من ذلك ألا تكون قد تورطت في أي علاقة حب قبله؛ فرجل بموهبته يرى ما رأته هي من أفعالها بمجرد لمسها، فضلاً عن الرؤى التي تأتيه ومن الممكن أن يصاب بالجنون إن لم يقتلها كلما رأى الماضي التعيس.

- يا ابني يا حبيبي اللي بتدوّر عليه ده مستحيل.

أمه كعادتها كلما أحبت أن ترغّبه في بنت صديقتها أو بنت خالته، كانت تلقي عليه الجمل المعتادة حتى فكّر في مرة أن يسجل لها، وكلما أحبت أن تتكلم معه في الأمر يشغل الكلام المسجل رأفة بها وإراحة لرأسه من مواجهتها.

- يعني يا ابني هو فيه بنت مالهاش ماضي ولا حتى عمرها ما حبت؟

- طيب وأنا ذنبي إيه يا أمي؟

- مش ذنبك ولا حاجة، بس رجالة كتير عايشين كده وما حدش بيدور ورا مراته، وما شاء الله عايشين زي الفل ومراتتهم محترمين جدًا.

- عليكي نور.. ة ما حدش بيدور، لكن أنا الماضي وأحيانا المستقبل هو اللي بيدور عليّ غصب عني وانتي عارفة كده كويس.
- الله يسامحك على الحكاية دي.. مش لو كنت من غيرها كان يبقى أحسن.
- هو أنا ذنبي إيه؟! انتي محسساني إني أخدت الموهبة دي في لبوسة مثلا.
- وربنا انت قليل الأدب.
تقولها وهي تحاول لطمه على وجهه بدعابة فيراوغها ضاحكا:
- الله يحفظك يا بطتي.
- يا ابني مفيش بنت كاملة.
- لو مفيش يبقى مش هتجوّز.. بس أنا هدوّر لحد ما ألاقيها.
- يبقى روح دور في جزيرة فاضية بقى.
وينتهي الحوار، ليعاد بنفس تفاصيله بعد فترة قصيرة مرة أخرى ما إن تجد أمه عروسا أخرى.
لكنه أحس بطمأنينة عندما مر أكثر من شهر من غير أن تكلمه أمه عن الزواج، وظن أن الأمر قد انتهى وأن اليأس منه قد أصابها أخيرًا.. لكن اتضح له أنه كان مخطئًا.
- تعالى يا «كريم».
قالتها والدة «كريم» وهو يوشك على الخروج من باب المنزل في أحد الأيام، فتسمّر مكانه، فهذه اللهجة يعرفها جيدًا ويعرف ما وراءها.
- أي خدمات يا أحلى أم؟
- بقول لك تعالى هنا.
- أصل ورايا مشوار مهم يا أمي، لما آجي أبقى أتكلم معاكي.
- «كريم».
- لا إله إلا الله.
قالها وهو يتوجه نحوها متململا، ثم جلس بجوارها على الأريكة:
- نعم يا ست الكل؟
- عايزة أقول لك حاجة.
- يا ستي وربنا عارفها، سيبك مني الله يكرمك.
- لحد إمتى يا ابني هتفضل من غير جواز كده؟ ده انت بقيت تلاتين سنة.
- تحبي أكمل لك الكلام ولا تحبي تقوليه انتي؟
- عيب يا واد احترم نفسك.
- يا ست الكل، أنا لما أشوف البنت اللي تعجبني هعرفها ومش هسيبها.. أوعدك.
- لأ ما تتعبش نفسك، أنا جايبالك واحدة مفيهاش غلطة.
- تاني يا أمي؟ مش كفاية اللي جبتيهم قبل كده؟

obeikan.com

- المرة دي واحدة على ذوقي.
- ما كلهم كانوا على ذوقك يا حاجة.. وكلهم كانوا زي الـ..
- زي إيه يا واد؟
- زي الفل طبعا، هو أنا هقدر أقول حاجة؟ بس يا ريت تعفيني.
- أعفيك ده إيه؟ ده أنا وعدت واحدة صاحبتي إنك هتروح تشوف بنتها.
- يا دي النيلة.. انتي بتجاملي بابنك يا حاجة؟
- «كريم».. قلت إيه؟
- قلت لا إله إلا الله.
- تمام.. جهز نفسك يوم الجمعة.
- مش لما أنزل أشتري فستان يليق بيّ؟
- بطل خفة دمك دي واعمل حسابك على يوم الجمعة.
- ماشي، بس بشرط.
- اشرط يا أخويا، ما أنا صاحبتك مش أمك.
- العفو يا ست الكل، بس هو طلب صغير.. إنه لو ما حصلش نصيب تبقى دي آخر مرة، وبعديها تسيبيني براحتي.
- ماشي يا «كريم»، أما أشوف آخرتها معاك.
- قشطة عليكي يا سكر.

ثم قام وقبّل يديها واتجه مسرعا نحو الباب:

- سلام يا قمر.
- الله يهديك.. وعليكم السلام.

وفي اليوم الموعود..

- يلا يا حاجة الله يكرمك.
- ثواني يا واد لما ألبس.
- تلبسي إيه؟ ده انتي بتسقطي الإسدال وشكرًا على كده.
- إسدال إيه؟ هو أنا رايحة عزا؟

ثم خرجت عليه متأنقة على غير عادتها مرتدية ملابس ملونة لأول مرة منذ وفاة والده:

- إيه رأيك يا «كريم».
- هو انتي رايحة تظبطي عريس ولا رايحة تخطبي لي؟
- احترم نفسك يا قليل الأدب.
- ما علينا، يلا بقى هتأخر.
- أد كده متشوق تشوفها؟

obeikan.com

- لأ، أد كده عايز أخلص علشان هتقابل مع أصحابي بعد كده.
- طيب وريني نفسك كده.
أدارته بيديها وهي تتأمل ملابسه ووجهه.
- تحبي أخف الروج شوية يا حاجَّة ولا كده حلو؟
- بقول لك إيه.. بلاش خفة دمك واستظرافك ده قدامها.
- ماشي.
ثم التقط بعض الأكياس قبل أن يتجه إلى الباب.
- تعالى هنا.. إيه اللي في إيدك ده؟
- هندخل على الناس فاضيين يعني؟
- أيوه يعني جايب إيه؟
- كام كيلو موز على سوداني لزوم الفشخرة.
- الفشخرة ولا لزوم التطفيش.. رايح تخطب قردة ولا إيه؟!
- والله هو ده اللي جه في دماغي بقى.
- ماشي.. على العموم أنا عملت حسابي علشان عارفة حركاتك دي وجيبت كيلو شيكولاتة.
ثم اتجهت إلى الداخل وأحضرت علبة مغلفة:
- يلا نروح يا مستعجل.
- طيب ما تجيبي واحدة.
- يلا يا «كريم».
- خلاص ما تزقيش.
ثم فتح الباب وقال لها مداعبا وهو يهم بمغادرة المنزل:
- خلي العلبة جنبك بقى علشان لو ما حصلش نصيب ناخدها واحنا ماشيين.

* * *

وما إن وصلا إلى بيت العروس «المرتقبة» حتى وجد والد الفتاة ووالدتها في استقبالهما، فصافحهما وجلس هو ووالدته في غرفة الاستقبال.
- منورة والله يا أم «كريم»، منور يا «كريم» يا ابني.
- الله يخليك يا عمي.
- آخر مرة شوفتك فيها كنت عيل صغير، سبحان الله كبرت دلوقتي.
- آه فعلا، سبحان الله!
لم تمر دقيقتان حتى دخلت أم الفتاة بصينية عليها أكواب المياه الغازية.

obeikan.com

- اتفضَّل يا حبيبي كأنك في بيتك بالظبط.
- الله يخليكي يا حاجَّة.
مرت لحظات صمت قطعها «كريم» في النظر إلى ساعة يده عدة مرات حتى قطعت أمه الصمت وهي تبتسم:
- أمال فين سالي؟ هي مش هتيجي تنورنا شوية ولا إيه يا أم سالي؟
- جاية حالا يا أم «كريم».
نظر «كريم» بابتسامة خبيثة إلى والد سالي الذي كان من الواضح تململه ورغبته في انتهاء الأمر سريعا:
- أنا حاسس إننا جايين في وقت مش مناسب يا عمي.
- لا يا ابني ده انت تنور في أي وقت.
- الله يخليك، بس يعني لو ورا حضرتك أي مشوار مفيش مشاكل إحنا أهل يعني.
نظرت والدة «كريم» إلى ابنها بحدة ودهشة:
- عيب كده يا «كريم»، لو الراجل وراه حاجة كان قال.
- لا طبعا يا أم «كريم» مفيش حاجة، هو بس للأسف صاحب الشغل كلمني ولازم أروح ضروري.
قالها بحرج واضح.
- لا يا اخويا شغلك أهم طبعا.
- معلش أنا آسف.
- لا يا عمي ولا يهمك، ما تنساش الهدية بس.
- هدية؟! هدية إيه؟!
قالها بفزع حاول أن يداريه، في حين استمر «كريم» على نفس ابتسامته المستفزة.
- قصدي الهدية لو كان مشوار الشغل النهارده كان فيه حاجة كويسة ليك.. أكيد هيبقى بسبب وشنا الحلو.
- آآآآه، ده أنا أجيب لك حلاوتك لحد عندك.
- الله يكرمك.
- بعد إذنك يا أم «كريم».
- تروح وترجع بالسلامة يا اخويا.
ثم انصرف في حرج وتبعته والدة سالي حتى تستعجلها، ومال «كريم» على والدته وهو يضحك:
- شوفي الراجل يا ولية، بيقول رايح الشغل وهو رايح عيد ميلاد واحدة زميلته مطلقة.
- ولية يا قليل الأدب؟! ثم إحنا مالناش دعوة، وبطل تتدخل في عقول الناس يا زفت.
- يسلم لسانك يا ست الناس.. بس مش بمزاجي والله.
- اخرس بس، أهِي سالي جاية، بس وغلاوتي عندك بلاش تسلم عليها.

obeikan.com

- يا أمي عيب ما يصحش.
- أهلا أهلا يا حبيبتي، قمر ما شاء الله.
كانت هذه من والدته التي ما إن رأت الفتاة مقبلة حتى قامت تهش وتبش في استقبالها.
كانت الفتاة جميلة بلا شك، ترتدي حجابا على الموضة، يكشف من شعر رأسها أكثر مما يخفي، وترتدي بنطالاً غاية في الضيق، لدرجة أن «كريم» اعتقد في بادئ الأمر أنها رشت لونا على نصفها السفلي من غير أن ترتدي شيئًا عليه.
قام «كريم» ليصافح الفتاة فاندفعت والدته مقاطعة:
- معلش أصل «كريم» متدين شوية ومش بيسلم على بنات.
- لا معلش يا أمي، أنا تبت خلاص وبسلم دلوقتي.
- يا «كريم» ما يصحش.
- طيب احضرينا انتي يا حاجة.
فتدخلت والدة الفتاة وهي تربت على كتف «كريم»:
- مالك يا أم «كريم»؟ هو ابنك غريب يعني؟
مد يده يصافح الفتاة وهو يشد على يديها برفق، ثم ابتسم بطريقة ساخرة أخفاها سريعا:
- أهلا أهلا بيكي يا «سالي».
- أهلا بيك يا «كريم».
ثم جلسوا جميعا يتبادلون عبارات المجاملة المعتادة حتى قامت والدته لتجذب صديقتها والدة سالي:
- تعالي نقعد في البلكونة، الجو هنا حر أوي.
- ماشي تعالي.
- بس يا ريت تبطلوا تقطعوا في فروة الناس وانتم قاعدين.
- بس يا واد احترم نفسك.
ثم التفتت إلى «سالي» ووالدتها معتذرة.
- معلش أصل «كريم» بيحب الهزار أوي.
- ده «كريم» ابنك ده عسل، تعالي بقى ده أنا عايزة أرغي معاكي.
مرت لحظات طوال من الصمت كانت فيها الفتاة (سالي) خلالها تتطلع إلى قدميها أو تعبث بأظافرها، وظل «كريم» يتطلع إليها ويفكر في كيفية إنهاء المقابلة بأقل خسائر ممكنة؛ فقد كان الموضوع بالنسبة له منتهيا بعدما علم أنها تحب شابا آخر تم رفضه قبل ذلك من والدها وأنها مثله مكرهة على هذه المقابلة، فجمع أفكاره ثم بدأ الكلام:
- عاملة إيه في الكلية يا «سالي».
- الحمد لله تمام.. آخر سنة وربنا يعديها على خير.

- جميل أوي حجابك ده.
- الله يكرمك.
فأشار إلى خصلة شعرها التي تخرج من الحجاب وهو يبتسم ساخرا:
- بس غريبة، أول مرة أشوف حجاب نصه باروكة.
- باروكة؟! ده شعري.
قالتها وهي تتحسس خصلة شعرها، في حين ابتسم هو بطريقته الساخرة.
- آه معلش.. يبقى أكيد طلعت غصب عنك.
اكتفت بأن نظرت إليه بضيق بالغ حتى أحس أنها ستهجم عليه وتفترسه.
- أكلمك بصراحة ولا تحبي ألف وأدور.
- أفندم؟!
- عارفة، أكتر شعور رخم إن البنت تلاقي أهلها بيتحكموا فيها ويجبروها إنها تتخطب لحد وهي بتفكر في حد تاني.
- مش فاهمة!
- انتي مجبرة على قعدتك معايا دلوقتي.
ابتسمت في صمت ثم قالت:
- أنا مش فاهماك بصراحة!
- يا بنتي اعتبريني أخوكي الكبير وانسي موضوع الخطوبة ده خالص.
- طيب انت عايزني أعمل إيه مش فاهمة؟!
- كلميني عن «باهي» شوية.
- «باهي»؟! انت بتتكلم عن إيه؟!
تراجع في مقعده وهو يضحك:
- تاني؟ ما إحنا قلنا نتكلم بصراحة علشان أعرف أساعدك.
- انت عرفت إزاي أصلا؟ هي ماما قالت لمامتك؟
- أيا كان، المهم إني عرفت وخلاص، وحابب أساعدك.
- تساعدني إزاي؟!
- بالعقل كده، ينفع حد يروح يتقدم لبنت وهو مش شغال؟ أو يقول لأبو البنت إن أهله هيساعدوه؟
- هو قال كده فعلا.. انت عرفت إزاي؟!
- مش المهم عرفت إزاي، إنما المهم أساعدك إزاي؟!
- هتساعدني إزاي؟! وهو مش لاقي شغل والله.
- بس كده.. طيب خدي رقمي وخليه يكلمني وأنا هشوف له وظيفة بمرتب كويس في الشركة اللي

أنا فيها، وبعد كده يقدر يتقدملك.
ثم أخرج «كارت» شخصيا به بياناته كلها وأعطاها إياه.
- بس بالله عليكي خليه يسترجل شوية.
- إيه؟!
- يعني ما حدش بيروح يتقدم لواحدة وهو لابس قميص مشجر وفيه أحمر.. مش رايح فرح هو.
ضحكت وهي تتأمل الكارت.
- ماشي.. انت طيب أوي على فكرة.
- كلهم بيقولوا كده.
- طيب هقول إيه لماما وهي نفسها خطوبتي ليك تتم؟!
- قوليلها إني دمي تقيل أو قليل الأدب أو سخيف.. أنا مسامحك في أي حاجة تقوليها.
- ربنا يخليك يا رب.. أنا نفسي أعمل لك أي حاجة.
- لو كوباية مياه تبقي خدمتيني أوي.
- من عينيّ.
- لأ، من التلاجة.
ثم جلسا بضع دقائق يتكلمان عن دراستها وعمله، ولما أزف الوقت:
- رقمي معاكي، لو محتاجة أي حاجة كلميني.
- تسلم لي يا رب.
- يلا روحي بقى ادخلي أوضتك كأنك متدايقة علشان عندي معاد مع أصحابي.
- ماشي.. أنا أصلا قلت لواحدة صاحبتي تيجي علشان أبين لك إني قليلة الذوق بس انت طلعت أبو الكرم كله.
ثم صافحته وانطلقت إلى غرفتها، ولم تمر دقيقتان حتى أتت والدته وهي تنظر له بغضب:
- عملت إيه معاها يا زفت؟!
- ولا حاجة يا حاجَّة، بس للأسف مفيش نصيب.
- ماشي يا «كريم»، دايما كده كاسفني.
ثم ذهبت إلى والدة سالي تستأذنها في الانصراف متحججة بتأخر الوقت، وواعدة إياها بزيارة أخرى، ثم انطلقت هي و«كريم» ناحية الباب للمغادرة، وما إن همّا بالخروج حتى وجدا فتاة محجبة جميلة نحيلة واسعة العينين تقف أمام الباب وهي تستعد لطرق الباب؛ فابتسمت في حرج وهي تمر بجانب والدة «كريم»، وما إن مرت بجانب «كريم» ولامست أصابعها أصابعه مصادفة حتى انسابت رؤى كثيرة في عقل «كريم» عنها، ولأول مرة يشعر بنشوة عجيبة تسري في أوصاله ومن دون أن يدري قال لها فجأة:
- ممكن آجي أخطبك؟

obeikan.com

هي

«تقى».. ما أجمله من اسم!!

هكذا حدث نفسه.

لأول مرة في حياته يقابل فتاة لم تكن لها علاقات سابقة أو حالية، لأول مرة يجد فتاة نقية السريرة لا تفكر إلا في استذكار دروس الجامعة والمحافظة على دينها، وتجمع في الوقت نفسه بين الجمال والحياء، أسرتها طيبة، لم يتورط أي أحد من أفرادها في أي عمل مشين، أو يسمع عنهم أحد سكان المنطقة أي سوء.

كانت معرفته بظروفها وكل شيء عنها بسبب الرؤى التي انسابت إلى عقله عندما تلاقت أطراف أصابعهما، وعندما استفسر عن كل شيء يخص أهلها عن طريق معارفه وأصدقائه طوال أسبوع كامل.

- يا سالي دبريني.

كان بالطبع تصرفه معها غريبا ويثير الدهشة، خاصة أنه طلب خطبتها ولم يمر على رؤيتها إلا دقيقة، وأي فتاة في موقفها ستظن أن به مسا من الجنون، حتى والدته التي تعلم قدرات ولدها جيدًا ما إن نطق جملته: «ممكن آجي أخطبك» حتى فغرت فاها بانزعاج كأنها لا تصدق ما سمعت، أما عن موقف الفتاة فحدث ولا حرج.

اضطربت بشدة، وأخذت تنظر له بدهشة وهي تبتعد عنه ووجهها ناحيته قبل أن تسرع الخطى إلى غرفة زميلتها كأنها تفر من مجنون، وبعد أسبوع من جمع المعلومات عنها ومحاولات مقابلتها لكي يوضح لها موقفه - التي باءت جميعها بالفشل وقوبلت منها بالرفض التام - وهو نفسه يدرك أن معها الحق في ذلك، فكر أن يلجأ للفتاة التي قدم لها يد المساعدة، فأخذ من والدته رقم هاتفها.

- أدبرك إيه يا ابني؟

- شوفي لي طريقة.. أنا فعلا عايز أخطبها.

- وهو اللي عايز يخطب واحدة يعمل كده؟!

- معلش أنا اتسرعت.. خليكي جدعة بقى، مش هي صاحبتك «الأنتيم» برضه؟

- أيوه يا سيدي، بس البت افتكرتك مجنون وده حقها بصراحة.

- سالي.

- يا عيون سالي.

- اتصرفي يا حاجَّة، ده أنا كنت جدع معاكي.

- طيب.. ادبني كام يوم أظبط لك الموضوع.

obeikan.com

- ماشي بس يا ريت تنجزي.
أغلق الهاتف وعقله يشتعل من كثرة التفكير.
أمضى الأيام الأربعة التالية يشغل نفسه في عمله، جسده يتحرك ولسانه يتكلم، وعقله يحلق معها. من الجنون أن يقول لأحد إنه أحب فتاة رآها لمدة دقيقة، لكنه بالفعل أحبها، الرؤى التي استقرت في عقله يراها باستمرار رغما عنه، ينام فيحلم بها، يستيقظ فيتذكرها وهي تستعد للاستيقاظ، يراها جالسة مع زميلاتها تتبادل معهم الطرائف ويضحكن عليها، يراها جالسة في بيتها تستذكر دروسها، شعر كأنه سيفقد عقله إن لم تجب طلبه.
أربعة أيام مرت عليه كأنها أربعة أعوام، أكثر من مرة فكر في أن يذهب إليها في الجامعة، لكنه كان يحجم عن ذلك بصعوبة.. وأخيرًا أتته المكالمة التي ينتظرها.
- أخيرًا يا جزمة اتصلتي؟!
- أنا جزمة يا «كريم»؟ طيب شوف حد غيري يظبطلك موضوعك يا حبيبي.
- آسف آسف، ده انتي سكر.. قولي بقى.
- بص يا سيدي.
- بصينا.
- هي البنت كانت مقلقة منك بسبب طريقتك العبقرية اللي عملتها، بس أنا فضلت أزن على دماغها التلات أيام اللي فاتوا، وأكلمها عن جدعنتك وشهامتك، وحكيت لها عن اللي عملته معايا أنا و«باهي»، وبررت لها موقفك إنك أعجبت بيها جدًا لما شوفتها.
- الله يكرمك، أيوه كده.
- من هنا لهنا وأنا بكلمها ليل ونهار عنك البنت بدأت تميل شوية، بس لسه ما قالتش حاجة مفيدة.
- نعم يا اختي؟ كل ده وبرضه ما قالتش حاجة؟!
- يا ابني العملية مش سلق بيض.
- طيب وأنا أعمل إيه دلوقتي.
- هو فيه حل أنا شايفاه ظريف، أنا هخرج معاها بعد بكرة، وهنروح نقعد في مطعم، ممكن تيجي كأنك جاي بالصدفة وأخليك تقعد معاها.
- أقعد معاها إيه؟ أنا يا بنتي عايز أخطب مش أظبَّط.
- والله هي دي الطريقة الوحيدة يا أُمُّور، اقعد معاها واتكلم وبعد كده اخطبها براحتك، لما البنت تقتنع بيك.. عاجبك ولا مش عاجبك؟
- عاجبني يا مفترية.
- أيوه كده.. خد بقى التفاصيل.
ثم أملت عليه الموعد والمكان اللذين ستلتقيها فيهما.

- ظبَّط حالك يا ابن الحلال.. قشطة؟
- قشطة.. صحيح إيه أخبار الباروكة اللي لازقة في الطرحة، شيلتيها ولا لسه مدلدلة؟!
- مالكش دعوة يا رخم وخليك في حبيبة القلب.. يلا سلام.
- سلام.
أغلق الهاتف وهو يردد بخفوت:
- يا رب قرب البعيد.
ثم تمدد على سريره يتخيل لحظة لقائها، سيجلس بجانبها، لا، لا، بل أمامها حتى لا تظن به السوء، سيبتسم ابتسامة خفيفة، وسيعتذر لها عمّا بدر منه وسيقول.. سيقول.. سيقول.. سيقول.. خخخخخخخ.
ولم يدرِ بنفسه.. فقد استسلم جسده للنوم وعقله للأحلام.

* * *

وقف «كريم» أمام المرآة يتأمل مظهره ويتأكد أن شكله وملابسه على أفضل حال.
كان قد ارتدى قميصا مفتوحا تحته تي شيرت وبنطال جينز أزرق اللون، وصفف شعر رأسه بعد إضافة الكثير من الكريمات.
- الله عليكي يا أمورة، إيه يا واد انت قلبت ولا إيه؟!
كانت هذه من أمه التي لاحظت تغير أحواله منذ رأى «تقى» صديقة الفتاة التي أرادتها زوجة له.
- أهلا يا حاجَّة، هو غلط أظبَّط نفسي يعني؟ ولا تحبي أنزل بالبيجامة؟
- مش عوايدك يعني تقف قدام المراية كل شوية قبل ما تنزل تقابل أصحابك.. متأكد إنك هتقابل أصحابك؟
- طبعا يا حاجَّة، هو أنا عمري كدبت عليكي؟
نظرت له بشك غير مصدقة لما يقول:
- الله أعلم، يا رب تبقى من حظك ونصيبك.
- هي إيه دي يا حاجَّة؟
- أصحابك طبعا.
قالتها وهي تضحك قبل أن تتركه وتذهب لمتابعة المسلسل التركي في حلقته الـ٥٦٠ تقريبا، في حين أنهى هو ارتداء حذائه وانصرف من البيت مسرعا.. فقد حان اللقاء.
قاد سيارته ماركة «كيا سيراتو» السوداء بسرعة جنونية حتى قطع الطريق من بيته إلى المطعم الذي ستلتقي فيه «سالي» فتاة أحلامه «تقى» في نصف ساعة، ثم أوقف سيارته وتأكد من أن مظهره لم يتغير، ودخل إلى المطعم يجول بنظره بين الطاولات يبحث عنهما حتى وجدهما على

اليمين في آخر طاولة، فتقدم ببطء كأنه يبحث عن طاولة له حتى وصل إليهما ورسم على وجهه نظرة ذهول بلهاء:

- مش ممكن.. «سالي» و«تقى» مرة واحدة؟

- كريم، إزيك؟

تظاهرت «سالي» هي الأخرى بالدهشة من رؤيته، إلا أن «تقى» استشفت ما يحدث فظلت على حالها من الصمت وقد ضيّقت عينيها وهي تنظر إلى صديقتها «سالي» بتوعد، ثم أشارت «سالي» إلى «كريم» حتى يجلس معهما على الطاولة.

- إزيك يا «تقى»؟

- بخير الحمد لله.

أشاحت بوجهها تجاه الجانب الآخر في علامة ضيق مما فعلته صديقتها بها، فحاولت «سالي» تلطيف الجو.

- شوفي يا «تقى» الصدف، مطعم أول مرة تعزميني فيه نقوم نقابل فيه «كريم»!!

نظرت إليها «تقى» وهي ترسم على شفتيها ابتسامة مفتعلة:

- آه سبحان الله!! فعلا رُبَّ صدفة خير إن شاء الله.

- وانت بقى يا أستاذ «كريم» متعود تيجي هنا؟

- المطعم ده واحد من أفضل المطاعم اللي متعود أتغدى فيها، بس مش بصفة منتظمة للأسف علشان ظروف الشغل اللي أحيانا بتضطرني أسافر.

- الله يعينك.. على كده بقى انت عارف المنيو بتاع المطعم هنا؟

- إيه هتختبريني مثلا؟

- لا سمح الله.. أنا أقدر برضه؟

فتدخلت «سالي» في الحوار:

- إيه يا جماعة شغل الحضانة ده؟! ما تكبري بقى يا بنتي.

- حضراتكم تطلبوا إيه؟

كانت هذه من النادل الذي وقف بجانب «كريم» حاملا قائمة الطعام الخاصة بالمطعم وقبل أن يقدمها لهم قاطعته «تقى» ضاحكة:

- لا لا من غير منيو.. الأستاذ هنا حافظ المنيو بتاعتكم وهيطلب لنا من غيرها.

ابتسم «كريم»، فعلى الرغم من سذاجة الحوار الذي لا يستحق التفكير فإنه سيتجاوزه، وتجاوزه أسهل ما يكون، فهو من ذكرياتها التي رآها يعرف ما تحبه ونفس الأمر بالنسبة لـ«سالي»، أما عن قائمة الطعام فكل ما عليه أن يلمس يد النادل ولو للحظة واحدة حتى تكون كل القائمة قد انسابت إلى رأسه.

رد «كريم» على ضحكتها بابتسامة واسعة، وهمّ يمد يده ويأخذ قائمة الطعام من النادل ولمس يده

كأنه رغما عنه ثم وضع القائمة على الطاولة.
- خدي يا ستي المنيو اللي مدايقاكي.. بس خايف ذوقي ما يعجبكيش.
- لا ما تقلقش أنا موافقة على أي حاجة.
ثم التفت إلى النادل مبتسما وقال وهو يشير إلى «تقى».
- بالنسبة ليّ وللآنسة هنا ممكن تجيب لنا ٢ Veal Piccata مع ٢ Cream of mushroom soup.
ثم أشار إلى «سالي»:
- والآنسة هنا Veal Alaska مع Nicoises salad.
دوّن النادل الطلبات ثم التفت إلى «كريم» مرة أخرى:
- أي طلبات تانية يا أفندم؟
- بالنسبة ليّ لأ، بس ممكن نشوف الآنسات هنا.
كانت «سالي» و«تقى» تنظران إلى «كريم» بدهشة، لا لأنه يعرف قائمة المطعم، لكن لأنه طلب ما كانتا ستطلبان، ولما سألهما النادل عن أي طلبات أخرى أجابتا بالنفي، فالتفت «كريم» إلى «تقى» وهو يبتسم وقد استشف ما يدور في ذهنها:
- هاه، كنا بنقول إيه بقى؟
كتمت «سالي» ضحكتها قبل أن تغطي جانب وجهها بيدها وهي تنظر إلى «تقى» وتخرج لها لسانها لإغاظتها، بينما استمرت «تقى» على نفس حالة الدهشة، وإن حاولت إخفاءها:
- انت عرفت أنا عايزة إيه إزاي؟
- أنا مش عارف انت بتحبي إيه، أنا طلبت ليكي اللي أنا بحبه.
عشر دقائق قطعوها في أحاديث لا صلة لها ببعض، يخرج من موضوع فيتحدث في الآخر كيفما اتفق، حتى أتى النادل بالطعام، وبعد الانتهاء من الغداء ورفع الأطباق مرت عدة دقائق كانت «سالي» تتحدث إلى «تقى» بصوت خافت.. فلما أحس «كريم» أن الوقت طال التفت إلى «سالي» وثبت نظره إليها فنظرت إليه بحرج:
- إيه يا «كريم»؟ فيه حاجة؟
- لا خالص، المهم أخبارك إيه؟
قالها وهو يضغط على حروف الكلمات فنظرت إليه باستغراب:
- أخباري؟
ثم تنبهت أن السبب الرئيسي لوجود «كريم» هو أن تفسح له المجال مع «تقى» حتى تستطيع أن تتعرف أكثر على «كريم» وتحدد موقفها؛ فقامت من مقعدها وهي تبتسم:
- آه صحيح.. معلش يا جماعة، أستأذنكم عشر دقايق.
- رايحة فين يا بنتي؟

قالتها «تقى» وهي تتشبث بذراع «سالي» فسحبت الأخيرة ذراعها برفق وهي تغمز لها:
- مكالمة مهمة مع خطيب المستقبل.. إيه عندك مانع؟
- لا يا ستي ما عنديش، بس تعالي بسرعة.
ابتسمت «سالي» إلى «كريم» مشجعة إياه وانصرفت، وما إن التفت إلى «تقى» حتى يبدأ معها الحديث، حتى وجدها قد أمسكت بهاتفها وظلت تعبث به وهي تتحاشى النظر إلى وجهه.
- بصي يا «تقى».
- اتفضَّل، سامعاك.
- أعتقد الأفضل إنك تسيبي الموبايل علشان أعرف أتكلم.
ثم أعقب مقولته بأن جذب الهاتف من يدها برفق شديد ووضعه جانبا، فنظرت إليه وقبل أن تتكلم أشار لها مبتسما:
- قبل ما تقولي لي أي حاجة، ممكن تهدي شوية ونتكلم بالراحة؟
ملأت صدرها بالهواء كأنها تستجمع شتات نفسها:
- بص يا أستاذ «كريم»...
قاطعها بسرعة:
- أعتقد «كريم» من غير أستاذ هتبقى أفضل.
- ماشي، المهم بقى وسامحني يعني أنا مش بحب أقعد مع حد غريب لوحدي.. وأظن إنك المفروض تقدر ده.
- طبعا مقدر، وعلشان كده نفسي أتكلم معاكي علشان بعد كده تبقى قعدتك معايا عادية.
- مش فاهمة.
- لأ انتي فاهمة كويس يا «تقى» أنا عايز أرتبط بيكي.
فردت عليه بحدة:
- ترتبط بيّ إزاي؟! هو انت تعرف عني إيه أصلا؟!
- تعرفي، على الرغم من إني مش بحب كلام الأفلام، بس أنا أول ما شوفتك حسيت إنك البنت اللي بدوّر عليها.
فتراجعت في مقعدها وهي تبتسم:
- أهاا.. انت من الشباب اللي بيهتموا بالجمال الشكلي بغض النظر عن المضمون.
- لأ طبعا، ولو كنت بهتم بالجمال الشكلي كنت ارتبطت بـ«سالي» لأنها جميلة، وأعتقد إنها حكيت لك اللي حصل لما رحت قابلتها.
- آه حكت لي.. طيب بالنسبة لتصرفك الغريب؟!
- مش غريب ولا حاجة، بس أنا مش حابب إني أحرم اتنين من بعض لمجرد إني عريس جاهز وهو لسه شاب بيكون نفسه.

- بس برضه تصرفك معايا غريب، ثم إيه يضمن لك إني أنا كمان مش مرتبطة عاطفيا بحد؟!
- لأ أنا متأكد إنك مش مرتبطة، طريقة نظراتك وحيائك بيقولوا إن علاقتك بالرجال حتى الآن مجرد تعاملات سطحية.
- يا سلام؟! وده عرفته من أول دقيقة شوفتني فيها؟!
- أنا يا «تقى» بتعامل بقال لي سنين مع ناس كتير، ومر عليّ كل الشخصيات اللي تتخيليها، ومن نظرة أقدر أفهم اللي قدامي كويس.
- بس برضه ده ما يمنعش إنك ما تعرفش عني حاجة.
مال بجسده وهو يبتسم لها:
- ما أنا حابب أنتهز الفرصة دي علشان أعرفك، والأهم إنك تعرفيني كويس.
- «سالي» حكت لي على كل حاجة عنك.
- تمام، بس المعلومات العامة دي عن شغلي ووضعي وخلافه، حاجات ما تكونش انطباع كامل عني، أنا نفسي تعرفي إن كل تصرفاتي لا تخرج عن حسن النية والصراحة.. ده اللي نفسي أوصله ليكي.
رشفت رشفة من كوب المياه الموضوع أمامها وصمتت كأنها تبحث عن أي شيء تقوله، ثم قالت:
- معنى كده إنك عايز يبقى فيه مقابلة واتنين؟!
- لا والله، أنا حابب تعرفي كل حاجة دلوقتي والمقابلة الجاية تبقى في بيت أسرتك.
- بالسرعة دي؟
- «تقى».
- نعم.
- أنا عايز أخطبك.
قالها ببطء فابتسمت رغما عنها ونظرت إليه بإحراج، ثم حاولت أن تمد يدها إلى هاتفها لتعبث به، إلا أنه جذب الهاتف بعيدًا عنها:
- يا بنت الحلال أنا صريح معاكي، ومش بحب اللف والدوران، وأنا متأكد إنك حاسة بده.
- ومتأكد إزاي بقى؟!
قالتها بصوت خافت مليء بالإحراج؛ فاتسعت ابتسامته وهو يضع يديه على الطاولة:
- قلت لك أنا أقدر أفهم اللي قدامي من نظرة.
- شكلك واثق أوي من نفسك!
لم يرد على جملتها على الفور، واكتفى بأن ثبَّت نظره إلى عينيها قبل أن يقول:
- «تقى».
- نعم.
- أنا عايز أخ ط ب ك.. طبعا أنا مش متوقع رد دلوقتي وإلا أبقى ماعنديش ذوق، بس أتمنى إنك

تفكري كويس، وأنا متأكد إنك مش هيرضيكي تكسري قلبي الضعيف.
أفلتت منها ضحكة من قولته:
- كل ده وقلبك ضعيف؟!
- آه وربنا، ده أنا قلبي قلب خساية.
- ما أنا واخدة بالي أهه.
- «تقى».
- إيه الأخبار يا جماعة؟
كانت هذه من «سالي» التي عادت فانتفض «كريم» من المفاجأة؛ فضحكت «تقى» بشدة هي و«سالي» التي جذبت مقعدها وجلست.
- إيه يا «كريم» مالك؟ معلش اتأخرت عليكم.
فنظر لها «كريم» وهو يضيق عينيه:
- بالعكس ده انتي جيتي بسرعة أوي، إيه لحقتي اتكلمتي؟
- آه يا سيدي ودبينا خناقة كالعادة.
- طيب ما تقومي تصالحيه.
فتدخلت «تقى» في الحوار وهي تضحك.
- ما تسمعيش كلامه يا بت، استني لما هو يصالحك.
- إيه الشر ده يا «تقى»؟!
- إحنا بنحب نخدم بس.
أخذت «سالي» تنظر إلى «كريم» و«تقى» وهي تبتسم بخبث:
- الله الله، ده انتم انسجمتم مع بعض أوي.
- بس انتي الله يسامحك قاطعتي الانسجام ده.. مش ناوية تصالحيه؟
- لا يا أخويا أنا هسمع كلام «تقى».
- ماشي يا «سالي»، تترد لك قريب.
- كفاية كده بقى.
قالتها «تقى» وهي تجذب حقيبة يدها وتستعد للمغادرة، فقال لها «كريم» بصوت متهدج:
- بالسرعة دي؟!
- معلش بقى، أحسن أنا كده اتأخرت أوي.
- طيب أوصل لكم؟
- لا يا عم مش هينفع، إحنا هنركب تاكسي من قدام المطعم.
ثم أشارت إلى «سالي» التي قامت بالفعل:
- يلا يا حاجَّة.

obeikandl.com

ثم أخرجت بعض المال من حقيبتها وهي تحاول مناداة النادل من أجل الحساب، فاحتد «كريم» عليها رغما عنه:

- انتي بتعملي إيه؟

- إيه؟ هدفع الحساب بتاعنا.

- انتي هتهزري ولا إيه؟

ثم التفت إلى «سالي» موجها لها الكلام:

- إيه يا «سالي»؟ ما تتكلمي.

- عيب كده يا «تقى»، يعني بنت تحاسب وفيه راجل موجود؟!

- بس هو مش عازمنا، و«كريم» جه صدفة.. مش صدفة برضه يا «كريم»؟

ذاب في ابتسامتها، لكنه تمالك نفسه وأجاب بنفس اللهجة المحتدة:

- صدفة مش صدفة، ما ينفعش اللي بتعمليه ده.

ثم أشار إلى النادل ودفع الحساب، وقام معهما حتى خارج المطعم وأوقف لهم سيارة أجرة، وقبل أن تستقل «تقى» السيارة وقف أمامها:

- «تقى».

- لأ إحنا في الشارع.

تلفتت يمنة ويسرة في اضطراب؛ فعاجلها بتوسل:

- طيب آخر حاجة هقولها.

- إيه؟

- مستني ردك.

- طيب.

- يا ريت ما تتأخريش.

هزت رأسها في حياء وابتسمت له مودعة ثم ركبت السيارة هي وصديقتها، وما إن انطلقت السيارة بهما حتى ضم قبضته وأشار بعلامة الفرح وهو يهتف:

- يس يس.

لم يدرِ بالمدة التي ظل واقفا فيها في مكانه يتأمل المكان الذي كانت فيه منذ لحظات، ولم ينتبه إلا عندما صدمه أحد رواد المطعم، فتحرك من مكانه متوجها نحو سيارته ببطء كالزومبي، وجلس في مقعد السيارة، وأدار المذياع وأخذ يبحث عن محطة الأغاني فوجد أغنية العندليب الأسمر: «كلها بكرة بس وبعده، واللي وعدني هيوفي بوعده».. فاستبشر بذلك خيرًا ثم انطلق بالسيارة وهو يردد مع العندليب:

- «كلها بكرة بس وبعده، واللي وعدني هيوفي بوعده».

ثم تمتم بخفوت وكأنه يرد على العندليب:

- بس يا ريت قبل كده يا حُلم.. يا ريت.

obeikan.com

ذكريات من المستقبل

لم يشعر «كريم» بمثل هذه السعادة من قبل، جلس على الشاطئ وهو يحرك قدميه في المياه وخلفه الخضرة مترامية إلى مد البصر، النسيم يدغدغ وجهه ويحرك خصلات شعره الأسود يمنة ويسرة.

- «كريم».

أتاه أجمل صوت من خلفه برقة لا مثيل لها؛ جعلت قلبه من شدة اختلاجه كأنه سيخرج من صدره، فالتفت إلى مصدر الصوت وهو يقول بحب:

- «تقى».

كانت ترتدي مثل آخر مرة رآها بها: حجابها الجميل، ووجهها الذي يشع نورا، وعيناها الواسعتان كقمرين يضيئان الدنيا، اقتربت منه حتى كادا يتلاصقان.

- أفهم من كده إنك موافقة؟!

ابتسمت بحيائها المحبب وهي تتمتم بخفوت:

- انت شايف إيه؟

- أنا شايف ملاك قدامي.

ثم طبع قبلتين رقيقتين على يديها قبل أن يلتفتا إلى البحر يتطلعان إليه وهما متلاصقان ببعضهما، راقبا الأمواج وهي تطارد بعضها، الحوت الذي يمرح في منتصف البحر، حتى السمك كان يتقافز من الماء كأنه يشاركهما سعادتهما، ومن وسط البحر اقتربت سمكة منهما وهي تنظر إلى «كريم» ثم فتحت فاها وهي تطلق أزيزا متواصلا: «دزدز دزدز دزدز دززززززززززززززز»، وظل الصوت يتصاعد حتى كأنه سيخرق طبلتي أذنه فرفع «كريم» يديه إلى أذنيه ووضعهما عليهما، لكن الصوت لم يختفِ، التفت إلى «تقى» فوجدها تبتعد عنه من دون أن تتحرك؛ فناداها، لكن ضاع صوته وسط الأزيز الذي أصبح يأتي إليه من كل مكان.

وفجأة.. استيقظ من نومه.

وظل صوت الأزيز موجودا، فالتفت «كريم» ليجد أن مصدره هو المنبه، فطوّحه بيده وحاول أن يعود إلى النوم؛ لعله يستكمل حلمه، لكن دون جدوى، فنفض عن نفسه الغطاء بعدما طار النوم من عينيه وقام ليستعد للذهاب إلى العمل وهو يغمغم بضيق:

- طالعالي بحجاب وآخري أبوس إيديها؟! حتى في أحلامي مؤدب؟!

لكن ابتسامة أفلتت منه عندما تذكر الحلم، ولم ينكر على نفسه السعادة، فهذه كانت من المرات القلائل التي يرى فيها حلما عاديا كباقي البشر.

* * *

وصل إلى عمله والسعادة تشع من وجهه؛ فأخذ يلقي السلام على كل من يقابله وهو يداعب هذا ويضاحك ذاك، حتى وصل إلى مكتبه الذي يشاركه فيه ثلاثة آخرون: رجل وامرأتان؛ فألقى السلام عليهم وهو يمازحهم:

- «هايدي» أخبارك؟

- تمام يا «كيمو».

- إيه، اتطلقتي من جوزك ولا لسه؟

فتنهدت بحرارة:

- والله لسه، أما أشوف آخرتها معاه إيه؟

- قلت لك قبل كده، همّ شوية سم فران وموضوعك يتحل.

- اخرس، ده أنا لسه بشبابي وحلوة.. عايزني أضيع نفسي علشان واحد زي ده؟!

قالتها وهي تشير إلى قوامها الممشوق، فتركها وجلس على مكتبه وهو يضحك:

- براحتك.. أنا نصحتك وخلاص.

ثم رفع سماعة الهاتف واتصل بالأوفيس بوي:

- «النسكافيه» بتاعي يا «أشرف».

ثم أغلق الهاتف وأجرى اتصالا بأحد مرءوسيه:

- «هاني»، صباح الخير يا حبيبي.

- .....

- أخبار تقرير مبيعات السنة اللي فاتت اللي طلبته منك إيه؟

- .....

- طيب الساعة دلوقتي ١٠ قدامك لـ١٠,٣٠ ويكون التقرير قدامي.

- .....

- مش مشكلتي، التقرير المفروض أقدمه للمدير العام الساعة ١١.

- .....

- سلام.

وضع السماعة وأخذ يرشف من كوب «النسكافيه» الذي أتى به «الأوفيس بوي»، وأراح ظهره على المقعد وهو يتفكر فيمن شغلت قلبه وفكره.

بعد ساعة كان يقف حاملا تقرير المبيعات أمام باب المدير العام يطرق عليه، وانتظر حتى أذن له الأخير بالدخول، كان مكتب المدير كبيراً جدًا، وعلى يمين المكتب توجد ماكينة خاصة للقهوة تم

obeikan.com

شراؤها خصيصا له، في حين جلس المدير البدين نوعا والذي تجاوز الستين من عمره على مقعده في آخر الغرفة؛ فقطع «كريم» المسافة التي تفصل بينه وبين المدير بخطوات واسعة وهو يبتسم:

- صباح الخير على أحلى مدير عام في الدنيا.

- صباح الخير يا «كريم».

- ده انت منور النهارده يا أفندم.

فتراجع المدير في مقعده وهو يضحك بشدة حتى أخذ كرشه في الاهتزاز:

- انت واد أونطجي أساسا.. المهم جيت في وقتك.

- تؤمرني يا مستر «مظهر».

- الإدارة في دبي كلمتني ومحتاجين تقرير بمبيعات السنة اللي فاتت.

- يا أفندم حضرتك قبل ما تفتح عينك التقرير يكون قدامك.

ثم أعقب مقولته بأن أخرج التقرير من الملف الذي في يده، وقدمه لمديره الذي أخذ يتطلع للتقرير، وهو مبتسم ابتسامة يشوبها الرضا.

- والله يا «كريم» أنا بستغرب انت إزاي بتجهز التقارير قبل ما أطلبها.

- يا أفندم الموظف الناجح لازم يبقى مجهز كل حاجة.

وضع مديره التقرير وهو ينظر إلى «كريم» لحظات في صمت قبل أن يقول:

- انت ليك اتصالات بالإدارة في دبي يا «كريم»؟!

فهز «كريم» رأسه بشدة نافيا:

- يا أفندم أنا ما أقدرش أتخطى حضرتك أبدا، كل الحكاية إني عندي حدس لا يخطئ، علشان كده ببقى مجهز كل حاجة ممكن حضرتك تطلبها قبل ما تطلبها.

فابتسم مديره بحنان أبوي:

- طيب خلي بالك علشان اللي بيزنُّوا على وداني بكلام عليك كتير، وكلهم عايزين يوقعوك.

- طيب وحضرتك مصدق الكلام ده؟

- لو مصدقه ما كنتش قلت لك يا «كريم».

- ربنا يكرمك يا أفندم.

ثم استأذن في الانصراف وصعد إلى مكتبه ليستريح على مقعده مطلقا لأفكاره العنان فقد أنجز عمل اليوم مقدمًا.

تشاغل باقي وقت العمل، وبين الحين والآخر يتفحص الهاتف لعله يجد مكالمة تريح قلبه، وقبل انتهاء العمل بقليل لم يستطع المقاومة فاتصل برقم «سالي»، لكن كان الرد دائما منها هو رفض المكالمة، حتى انتهى العمل، وقبل أن ينطلق بسيارته وجد اتصالا منها.

- إيه يا بنتي، ينفع كده؟!

- معلش والله أصلي كنت معاها.

- طيب إيه الأخبار؟ طمنيني.
- مممم، بصراحة من غير زعل؟
أحس بخيبة أمل آتية في الطريق فخفت صوته، وقال بقلق:
- من غير زعل إيه؟
- للأسف يا «كريم»، شكل البنت أُعجبت بيك.
أحس كأن جسده قد تم انتشاله من سابع أرض؛ ليرتفع ويرتقي في السماء.
- بتهزري؟
- لو عايزها هزار ماشي.
- طيب احكي لي.
- مش عارفة، بس البنت من ساعة ما سيبناك، وهي مش بتتكلم غير عنك، وحتى النهارده طول اليوم وهي فلقت دماغي بسيرتك.. انت عملت معاها إيه يا ابني؟!
- الله يطمنك يا شيخة.
- أي خدمة يا سيدي.
- طيب أعمل إيه دلوقتي؟ أقول لك هاتي رقم تليفونها.
- لأ ما أقدرش دي كانت تقطعني، لازم أستأذنها الأول.
- طيب انجزي بالله عليكي.
- من عينيّ، لما أروح هكلمها وأقول لك النتيجة.
أغلق هاتفه وانطلق بسيارته يدندن بأغنية عبد الحليم:
«ابتديت أسمع في قلبي لحن حب جديد عليَّ..
سمعت منها كام كلمة ما قالتش منهم ولا كلمة..
بس أنا حسيت ولأول مرة بعيش وبحس..
ولقيتني بدوب في كلام الهمس اللي مالوش حس».
كان عقله يرسم له أجمل الأحلام، وقبل أن يصل إلى بيته ببضعة شوارع، سطع نور قوي أمام عينيه قبل أن يختفي، ويختفي معه كل شيء آخر.
كان بعد فترة من التدريب قد أصبح قادرًا على منع الرؤى في الوقت الذي يريد، خاصة وقت القيادة، لكن - وعلى الرغم منه - اختفى كل شيء من أمامه، وبدلا من أن يرى مكانًا آخر لم يرَ سوى الظلام، ولا شيئًا آخر، فاختلت السيارة به ولم يدرِ ماذا يفعل فاندفع يمينا بأقصى سرعة وأوقف السيارة بعدما شعر أنه اصطدم بشيء ما على الجانب الآخر، ثم وضع رأسه على مقود السيارة وقد شعر بأن وجهه بارد جدًا، كأنه موضوع في ثلاجة والظلام يحيط به كأن شيئًا ما قد وُضع أمام عينيه، وسمع صوتًا يسأله:
- حلمت بإيه؟

جو خانق وبرودة لا تُحتمل وظلام لا بصيص نور فيه، وفجأة أيضًا اختفى الظلام لتعود له قدرته على الإبصار مرة أخرى، رفع رأسه عن المقود، فوجد الناس قد تدافعت نحوه ليروا ماذا أصابه، فنزل من السيارة ليجد أنه قد اصطدم ببضاعة لأحد المحال، فدفع له تعويضا مقابل البضاعة التي أتلفها، ثم عاد إلى سيارته وهو يأمل ألا تعود له أي رؤى وهو في الطريق، وبعدما صعد إلى منزله دخل مسرعًا إلى غرفته، وألقى جسده على السرير وهو يفكر بقلق بالغ في معنى تلك الرؤيا ومغزاها، حتى إنه لم يأكل بقية اليوم، ولم يستطع النوم، وكل ما ظل يتذكره هو ذلك الظلام الذي رآه، وتلك البرودة العجيبة التي شعر بها، فهذه أول مرة تنعكس الرؤى على جسده ليشعر بشيء لا يفترض أن يشعر به الآن، وشعر بأن هناك خطرا بالغا آتيا في المستقبل.

ما معنى الظلام الذي رآه، أو بمعنى أدق لم يرهُ؟ هل سيصاب بالعمى مثلا، أم أن هناك شيئًا آخر؟!

لا يعلم كم لبث على حاله هذا، ربما خمس ساعات أو ستا، كان منفصلا عن الدنيا والقلق يعصر قلبه، حتى إنه لم ينتبه إلى نداء والدته له من الخارج، والتي بعد عدة محاولات تركته عندما ظنت أنه نائم.

وظل يفكر ويفكر، حتى إن عقله قد انشغل تمامًا عن موضوع «تقى» وارتباطه بها..

* * *

لم ينتزعه من ثباته إلا رنين الهاتف؛ فنظر إلى هاتفه فوجد رقما غير مسجل عنده، فكر ألا يرد، لكن فكرة أن يكون الهاتف خاصا بالعمل أجبرته على إجابة الاتصال، فرد في فتور:

- أيوه.

- السلام عليكم.

جاءه صوت لم يسمع مثله في العذوبة والرقة..

- وعليكم السلام.

- مممم، شكلي اتصلت في وقت مش مناسب، أكلمك في وقت تاني بقى.

كانت المتصلة هي «تقى»، فانتفض من مكانه وقد نفض عن فكره كل الهواجس:

- «تقى»!

- يعني.

- أنا مش مصدق وداني.

- طيب سلّك ودانك كده يمكن تصدق.

قالتها بضحكة أذابت ثلوج القلق وجعلت قلبه يخفق بين أضلعه.

- أنا مبسوط جدًا باتصالك ده.

- أي خدمة.. عد الجمايل بقى.

- طيب أفهم من كده إنك موافقة؟
صمتت طويلا وانتظر هو أن تجيبه؛ فلما طال صمتها قال لها بلهجة مراهق في السابعة عشرة يكلم حبيبته:
- «تقى».
- نعمين.
- ما ردتيش.
- عارف يا «كريم»، أنا بجد مش عارفة مالي، أول مرة أحس بالإحساس ده، حاجة جديدة عليَّ، عمري ما جربتها قبل كده.
تسارعت دقات قلبه، حتى خُيِّل له أن صوت قلبه قد علا على صوته هو.
- تصدقيني لو قلت لك إن أنا كمان أول مرة أتعلق بحد بالشكل ده؟
- يعني اتعلقت بحد قبل كده بقى؟!
- لو كنت اتعلقت بأي بنت قبلك كنت ارتبطت بيها، أنا الحب بالنسبة لي يعني ارتباط، مش علاقة عابرة وخلاص.
- مصدقاك.
كأنه يراها أمامه، دلالها ورقتها اللذان ينسابان من كلامها جعلاه كأن أجمل ألحان الكون تعزف في أذنه.
- طيب إيه؟
- إيه انت؟
- موافقة؟
- أنا صليت استخارة وحاسة إني مستريحة.
- «تقى».
- نعم.
- ممكن أقول لك حاجة؟ أنا على الرغم من إني ما شوفتكيش غير مرتين بس لكن حاسس إني بحبك.
تلعثمت وضاعت الكلمات من رأسها كأنها طفلة تتعلم الكلام، حتى قالت أخيراً بحياء مشوب بالرقة:
- أنا هقفل بقى.
- لأ مش هتقفلي غير لما تقوليها.
- طيب أقول لك حاجة تضحكك؟
- يا ريت.
- النهارده اتقدملي واحد.
شعر بغصة في حلقه من جملتها، فقد شعر أنها ملك له وحده يجب ألا يتطلع إليها غيره.

- دي مش حاجة تضحك على فكرة.
- استنى بس أفهمك، الواحد ده ما شاء الله على صفاته، حشاش إيه وبلطجي إيه، حاجة كده معتبرة.
- بتهزري؟
- لا والله.
- أنا عايز آجي أخطبك دلوقتي حالا.
- ما تخافش، أكيد مش هنقبل بواحد زي ده، على العموم أنا قولت لماما وبابا وهمّ في انتظارك في أي وقت.
- والله بحبك.
- يووووه بقى يا «كريم»، أنا هبعتلك رقم بابا في رسالة وانت ابقى اتصرف بقى، سلام.
- لأ استني، تعرفي إن ضحكتك حلوة أوي.
- لأ مش عارفة، أنا حاسة إني بتهته وأعصابي سايبة، سلام.
- مستني الرسالة حالا، سلام يا «تقى».
انتظر حتى أتته الرسالة برقم والدها فسجل الرقم على هاتفه، ثم أخذ يقفز على السرير كالطفل الصغير من الفرح؛ حتى جذب أمه صوت الضجة التي فعلها؛ فاقتحمت الغرفة مفزوعة.
- بتعمل إيه يا أهبل؟!
فنزل من فوق السرير، وأخذ يقبل يد والدته وجبينها.
- مش انتي نفسك أتجوز؟
- يا ريت يا موكوس.
- آديني هخطب أهه يا ست الكل.
- طيب الحمد لله، بس مين؟ البنت صاحبة «سالي»؟
- هي يا عسل.
- إمتى طيب؟
- هكلم أبوها بكرة وأتفق على الميعاد اللي هنروح فيه.
قبّلته في حنان وضمته إلى حضنها:
- ربنا يسعدك يا حبيبي.
- بقول لك إيه بقى، أنا نفسي اتفتحت على الأكل.
- حالا هحطلك الأكل يا حبيبي.
- عاملة إيه بقى يا قمر؟
- عاملة قرنبيط.
نظر لها ومط شفتيه في امتعاض:

- قرنبيط؟! قرنبيط يا أمي؟!
- ما له يا حبيبي القرنبيط؟!
- مالهوش، بس أقول لك هخطب وفرحان، تقولي لي قرنبيط؟!
- والله لو مش عاجبك اطلب أي حاجة تليفري.
فنغزها ضاحكا:
- «تليفري»؟! ماشي يا ستي هطلب لنا أكلة «تليفري» حالا يا ست الكل.
تركها وأجرى اتصالا بمطعم يقبع بجوارهما، ثم استلقى على سريره يتفكر فيما هو آت، مرت على خاطره تلك الرؤيا المزعجة، لكن مجرد تخيل جلوسه بجوار «تقى» في اليوم المرتقب، وهو يمسك بيديها الرقيقتين يُلبسها خاتم الزفاف، أطاح بكل شيء آخر، وقال في نفسه:
«لأستمتع بالحاضر وأترك المستقبل بيد الله».
ثم تمتم بفرح:
- أخيرًا!
وقبل أن يتابع تخيلاته سطع النور القوي أمام عينيه قبل أن يحل الظلام مرة أخرى وعادت نفس الرؤيا بجوها الخانق وبرودتها العجيبة، وأحس كأن قطعا من الثلج تغطي وجهه ونفس الصوت يتردد في ذهنه يسأله:
- حلمت بإيه؟

obeikan.com

«حديدة»

- يلا يا حاجَّة.
- يا ابني خمس دقايق وجاية.
سار الأمر على ما يرام مع والد «تقى»، فبعد أن هاتفه «كريم» وعده الرجل بالرد عليه بمجرد السؤال عنه كما جرت العادة، وبمرور يومين وجد أن والدها يتصل به ليخبره أنه في انتظاره في أي وقت يناسبه، وكان الجمعة هو اليوم المحدد.
مرت الأيام حتى الجمعة، و«كريم» يكاد يطير شوقا، وود لو استطاع أن يسرِّع الأيام حتى يلقاها ويخطو أهم خطوة في حياته، ولم ينغص عليه شيء سوى تكرار تلك الرؤيا الظلامية المعتادة، التي أصبحت تزداد وضوحا في الإحساس بما يجري حوله في الرؤيا، مع بقاء الظلام كما هو؛ فالبارحة شعر في الرؤيا أن وجهه مبتل وعليه قطع ثلج، واليوم في الصباح أتته الرؤيا بألم كبير في عنقه، كأن هناك محقنا قد غُرز فيها.
- خلاص يا «كريم» أنا جاهزة.
تطلع إلى أمه مبتسما، وحمل علبة مغلفة وتأهب للذهاب، فقالت له مداعبة:
- إيه جبت الموز والسوداني بتوع كل مرة؟!
فقالها وهو يغمز لها ويضحك:
- ليه هو أنا رايح أخطب قردة؟! يلا بقى هنتأخر.
ثم جذبها من يديها برفق واتجها إلى الخارج.

* * *

جلس «كريم» ووالدته في حجرة الاستقبال في منزل أسرة «تقى»، كانت الصالة واسعة مفروشة بأثاث راقٍ يدل على الذوق الرفيع لمن اختاره، كما يدل على أن الأسرة حالها ميسور نوعا (الأساسيات مع بعض الكماليات)؛ فوالدها - كما علم - يمتلك سيارة «لانسر».
كانت الجلسة حميمة، تم التعارف سريعا وجرى حوار من نوعية: «أهلا يا عمي.. أهلا يا ابني» تتدخل والدة «كريم» في الحوار بعد قليل لتقول بابتسامة واسعة: «إحنا جايين نطلب إيد العروسة تقى». فيرد الوالد وأمه في نفس واحد: «ده انتوا تشرفونا والله»، تدخل «تقى» حاملة صينية عليها بعض الأكواب المملوءة بالمياه الغازية، يطول اللقاء ما بين مداعبات وحوارات جانبية عن العمل

وسنواته المقرفة والطيبة التي اختفت من العالم.. قبل انتهاء اللقاء يحددون موعدًا لشراء دبل الخطوبة، فيطلب «كريم» أن يأتي بالشبكة مرة واحدة، لكن والد «تقى» يصر على مجرد شراء دبل الآن، على أن تكون الشبكة مع كتب الكتاب لأنه كما قالت أمها «سلو عيلتهم» ثم ينتهي اللقاء بتحديد يوم الأربعاء المقبل موعدا شراء الدبل وتحديد يوم إعلان الخطوبة..

أربعة أيام تمر كأربعة أعوام يعيشها في سعادة لا ينغصها عليه سوى تفلت «تقى» منه كلما اتصل بها، وحجتها الدائمة هي أنها على الرغم من تعلقها به فإن ذلك لا يعني أن تستمر على الاتصال به ما دامت الخطوبة لم تتم بشكل رسمي.

- ماشي يا حبيبتي، كلها كام يوم وتبقى رسمي.

يقولها وهو يمني نفسه باقتراب اليوم.

أربعة أيام مرت وهاهو جالس في سيارته ينتظر نزول «تقى» ووالدتها ووالدته التي سبقته إليهم قبل أن ينتهي من عمله ويمر عليهم، أجرى عدة اتصالات بأصدقائه المقربين؛ ينبئهم بما هو مقدم عليه، وبعد أن انتهى أراح ظهره إلى الخلف وهو يشبك أصابعه خلف رأسه وقد شعر أن الوقت يمر ببطء شديد كبطء الحصة الأخيرة في المدرسة يوم الخميس.

- فيه حاجة يا «برنز»؟

فاجأه من جانب نافذة السيارة صوت كأنه خارج من مذياع قديم فالتفت إلى صاحب الصوت، فوجده شابا في أواخر العقد الثاني، صوته أجش ووجهه وجسده نحيلان، ورقبته يبدو أنها كان بها جرح قطعي، كل شيء يدل على أنه حشاش معتبر قد أتلفت المخدرات عقله وجسده.

- نعم يا حبيبي؟ فيه حاجة؟

- حبيبك ده في السرير مش هنا، انزل لي.

فترجل «كريم» من السيارة غير مستوعب لما يحدث:

- اؤمرني، فيه حاجة؟!

- أنا اللي بسألك هنا، انت واقف بتعمل إيه؟!

- حضرتك أنا خطيب الآنسة «تقى» اللي ساكنة في العمارة دي.

قالها بارتباك وازداد ارتباكه وتوتره، خاصة عندما تغيرت ملامح «الشمام» الذي يقف أمامه وأخرج مطواة من جيبه وفتحها بسرعة تثير الإعجاب، قبل أن يمسك بياقة قميص «كريم» وهو يلوح أمامه بالمطواة:

- خطيب إيه؟! انت عبيط يلا ولا إيه؟! ده أنا متكلم عليها.

جمع «كريم» شتات نفسه بسرعة ثم رفع يده وأنزل يد «الشمام» من على كتفه برفق وهو يدعوه للهدوء بابتسامة متوترة:

- طيب بالراحة طيب، ده أنا حتى ما اتعرفتش على اسم الكريم.

- هاهدى عليك علشان ما تعرفنيش بس، أنا «حازم حديدة» وما حدش يستجري يقرب ناحية

البت بتاعتي.
- عاشت الأسامي يا أستاذ «حازم»، بس سامحني يعني، أنا اللي أعرفه إن الآنسة «تقى» مش مخطوبة، ولما قابلت والدها وافق إني أخطبها.
فرفع الأخير مطواته مرة أخرى ملوحا بها أمام وجه «كريم»:
- بص يا زميلي، أنا هعتبر نفسي ولا سمعت حاجة من الهبل اللي قلته ده، أحسن لك تخلع من هنا قبل ما أخليك تخلع من الدنيا.
تطلع إلى ما وراء كتف «كريم» ثم انصرف بسرعة، فلما التفت «كريم» خلفه وجد أن أمه و«تقى» ووالدتها قد خرجن من المنزل، وهن يولين وجوههن تجاهه، كانت أول من وصلت إليه «تقى» فقالت له وهي متوترة:
- الواد ده كان عايز منك إيه؟
رسم على وجهه نظرة استفهام بلهاء:
- واد إيه؟
- «حازم» زفت «حديدة» ده.
- آه، لأ ده كان بيسألني على ولاعة علشان السيجارة اللي معاه بس.
نظرت إليه بحزم وهي توجه إليه عينيها الواسعتين ككشافات «الجستابو».
فذاب أمام جمالهما وأوشك على الاعتراف بكل شيء، من أول الفتاة التي أحبها وهو في الحضانة، حتى اللانشون الذي كان يأكله من الثلاجة وأبواه نائمان..
- فيه إيه يا ولاد؟! ما تركبي يلا يا «تقى».
حمد الله أن أتت والدته ووالدة «تقى» في الوقت المناسب؛ ففتح الباب حتى تركب هي وأمها، ثم ذهب إلى الناحية الأخرى وفتح الباب لوالدته حتى تركب بجانبه، وبعد أن استقل سيارته أدارها وانطلق، وبعد نصف ساعة كانوا في محل الذهب، ومليكة قلبه «تقى» تختار الخاتم والدبلة والمحبس من تشكيلة أتى بها الصائغ فانتقت أقلها.
- أنا عايزة دول.
فأخذ من يدها الدبلة والمحبس وهو يهمس لها:
- بلاش الحركات القرعة دي، لو قلقانة أحسن ما يكونش معايا فلوس فأحب أقول لك إني الحمد لله معايا كتير.
ثم وضع الدبلة والمحبس مكانهما وانتقى بدلا منهما دبلة ومحبسا أكبر.
- أنا شايف دول أحسن، إيه رأيك يا طنط؟
ثم وضعهما في يد والدة «تقى» التي أبدت إعجابها بذوقه وكرمه.
- والله طنط طالعة منك زي العسل، فعلا يا «تقى» دول أحلى.
فهزت «تقى» كتفيها علامة على الرضا، وهي تبتسم بخجل، فأعطى «كريم» الصائغ الذهب حتى

يضعه في علبة، وانتقى لنفسه دبلة من الفضة.
- صحيح هنكتب التاريخ إيه على الدبل؟
- لسه لما نشوف يا «كريم» يا ابني.. لما نحدد المعاد الأول.
سارعت والدة «تقى»، بالرد بينما صمتت «تقى» وظلت والدة «كريم» صامتة تتابع كلامهما وهي فرحة بأن رأت ابنها يخطو تلك الخطوة أخيرًا، فالتفت «كريم» إلى حبيبته:
- انتي عيد ميلادك إمتى؟!
فتضرج وجهها بحمرة الخجل، وأطرقت رأسها وقالت هامسة:
- الشهر ده.
- بتهزري؟!
ثم التفت إلى والدتها هاتفا:
- طيب والله دي بشرى حلوة يا طنط، عيد ميلادها الشهر ده وتبقى الخطوبة الشهر ده.
- بس يا ابني...
قالتها بتردد؛ فتدخلت والدة «كريم» في الحوار حتى تدعم موقف ابنها:
- لا بس ولا حاجة يا حبيبتي، وعلى العموم لو أبو العروسة حابب يأجل الخطوبة شوية مش مشكلة، ونخلي يوم عيد ميلاد حبيبتنا «تقى» هو المكتوب على الدبل.
لاقت فكرتها استحسانا من الجميع، حتى إن «كريم» نسي نفسه فغمزها في جنبها وهو يضحك:
- تسلم لي دماغك يا بطتي.
- اختشي يا واد.
- خلاص بقى يا عسل.
والتفت إلى الصائغ:
- اكتب التاريخ على الدبل.
ثم التفت إلى «تقى» وسألها:
- هو عيد ميلادك كام بالظبط؟
- يوم ٢٦.
قالتها وشفتاها ترتعشان من الفرحة والخجل معا، فالتفت إلى الصائغ:
- ١٠/٢٦.. اكتب التاريخ ده.

* * *

في اليوم التالي كان «كريم» جالسا مع «تقى» في كافتيريا الجامعة يتطلع إلى الطلبة، بينما ظلت هي تنظر إلى العصير الموضوع أمامها، فالتفت إليها ليتجاذب معها أطراف الحوار:

- بس إمبارح كان يوم جميل جدًا.
- تاني يا «كريم»؟ دي خامس مرة تقولها دلوقتي.
كانت تعبث بكوب العصير؛ ففكر أن يمد يده ليمسك بيدها، لكنه تراجع خشية من رد فعلها.
- أعمل لك إيه بس يا حبيبتي؟! ما انتي اللي مش بتتكلمي.
- أصلي مكسوفة.
- يا سلام؟! مكسوفة ليه بقى إن شاء الله؟! واحدة قاعدة مع خطيبها فيها إيه دي؟
نظرت إليه بحزم وهي تقول بجدية:
- أولا يا «كريم»: الجامعة مش مكان للمخطوبين، وثانيا: إحنا لسه خطوبتنا ما بقتش رسمي.
رشف رشفة من فنجان القهوة ثم قال بنفس الابتسامة:
- يا مفترية، ده إحنا يوم ١٨ والخطوبة يوم ٢٦ زي ما اتفقت مع والدك، يعني كلها ٨ أيام بس، وتقولي لي مش رسمي؟! اتقي الله فيّ.
- يا «كريم» ٨ أيام دول الله أعلم هيحصل فيهم إيه، على العموم علشان ما تفهمنيش غلط عايزة أقول حاجة.
ثبت عينيه في عينيها، فنظرت إلى أسفل بخجل، ثم قامت وأخذت حقيبة يدها وودعته بسرعة وانطلقت وهي تقول:
- عندي محاضرة دلوقتي، سلام.
امتقع وجهه مما فعلت وشعر كأن أحدهم قد «رزعه نص» فجأة فناداها بدهشة:
- انتي يا... يا «تقى».
ظل في مكانه وقد شعر كأنه كالخرقة البالية، وأحس أن الجميع ينظرون تجاهه، ولم تمضِ دقيقتان حتى جاءته رسالة على الهاتف فوجدها من «تقى»، وقد كتبت فيها جملة من كلمتين فقط: «والله بحبك»، فأخذ يتطلع إلى الرسالة ودقات قلبه تتسارع، ثم وضع الهاتف على الطاولة وهو يتمتم:
- آه يا بنت المجنونة!!
ثم جلس في انتظار انتهاء محاضرتها.
لم تكد «تقى» تنتهي من المحاضرة وتخرج من باب المدرج، حتى وجدت «كريم» واقفا بانتظارها:
- إيه ده يا «كريم»؟ انت لسه هنا؟!
- أيوه يا ستي، قلت أستناكي لحد ما تخلصي علشان أوصلك.
- لا لا انسى، ده أنا أبويا يموتني.
أخرج الهاتف وأراها آخر رقم اتصل به:
- بالنسبة لوالدك فأنا استأذنته، وهو وافق.
ثم أشار لها وهو ينحني نصف انحناءة بطريقة مسرحية:
- يلا يا أميرتي.

فهزت كتفيها وانطلقت أمامه إلى السيارة:

- أمري إلى الله.

أوصلها حتى باب الشقة ورفض الدخول عندما علم أن والدها ما زال في العمل، فودعها ونزل درجات السلم، واتجه صوب سيارته وما إن وصل إليها حتى وجد بها خدشا عميقا بطول السيارة بفعل آلة حادة، فالتفت يبحث عمّن فعلها؛ فوجد ذلك الشمام «حازم حديدة» جالسا على مقهى بالقرب من المنزل يشرب المعسل ويضحك وهو ينظر إلى «كريم» الذي لم يجد ما يفعله، كم ودَّ «كريم» وقتها لو هشّم رأس ذلك الأحمق، لكن مجرد التفكير في ذلك مع فارق الخبرة في القتال يجعل النتيجة محسومة لصالح الآخر، وربما يخرج «كريم» منها بجرح في وجهه، فآثر السلامة وركب سيارته وانطلق أمام «حازم» الذي علا صوت ضحكاته هو ومن معه من زملاء الكفاح في المخدرات.

* * *

قبل أن يصل «كريم» إلى منطقته التي يقطنها، عرج على منطقته القديمة بولاق الدكرور يأخذه الحنين إليها فوجد أحد أصدقائه القدامى جالسًا في المقهى الذي اعتاد «كريم» وأصدقاؤه الجلوس فيه، فتوجه إليه لعله يأنس بالجلوس إليه:

- خالد.. إزيك يا واد؟

فقام إليه الأخير يعانقه وهو يتهلل لرؤيته، وبعد الكثير من عبارات الشوق وخلافه جلس «كريم» قبالة صديقه.

- قهوة زيادة يا ابني.

كانت تلك من «كريم» للقهوجي، ثم التفت «كريم» لصديقه يتأمله ثم قطب حاجبيه باستغراب، وقد تذكر أن صديقه السلفي الملتحي لم يعد ملتحيا كما عهده، فأشار بيده إلى وجه «خالد» وهو يسأله:

- لا إله إلا الله، فين دقنك يا ابني؟! دي كانت شبرين.

- ما تفكرنيش الله يكرمك يا «كريم».

قالها وهو يتحسس ذقنه الحليق بحسرة شديدة، ثم دارت عيناه في محجريهما وهو يقترب من «كريم» ويهمس له:

- ده أنا شوفت أيام سودة والله.

- أيام سودة إيه؟! هو إيه اللي حصل؟! انت اختفيت فترة وما كنتش عارف عنك حاجة.

- أنا هقول لك يا سيدي.

ثم رشف رشفة من كوب المياه:

- انت عارف إن أخوك لا كان ليه في الطور ولا في الطحين.
- آه عارف.
- ما كنتش بعمل حاجة غير إني أخلَّص الشغل وأروّح البيت، ولو فيه دروس علم بحضرها، وبصلي كل صلاة في الجامع وخلاص.
- تمام.
- في يوم اتفقت أنا وبعض الإخوة إني أعمل مقرأة علشان أحفَّظهم القرآن.
- القهوة يا بيه.
وضع عامل المقهى القهوة وكوب مياه أمام «كريم»، فصمت «خالد» إلى أن ذهب العامل؛ فعاد لاستكمال حديثه:
- لحد كده انت شايفني عملت حاجة غلط؟
- لحد دلوقتي لأ طبعا، ده انت بتعمل خير وبتعلم الناس القرآن.
- وبعد ما عملت المقرأة بأسبوع، وفي يوم قبل الفجر بشوية، لقيت ناس كسروا باب الشقة عليّ أنا وزوجتي، ودخلوا الشقة وهاتك يا ضرب فيَّ، وبعد ما فتشوا المكان خدوني معاهم وهمّ مغميين عيني كأني في «أبو غريب»!!
ثم صمت لحظات وقد أغلق عينيه بشدة، كأنما يتذكَّر أحداثًا مؤلمة، فعاجله «كريم» مستفهما:
- ومين دول؟
- أمن الدولة يا سيدي.
- يا نهارك اسود!! ليه؟ عملت إيه؟!
- ما هو ده اللي فضلت شهرين نفسي أعرفه وأنا محبوس هناك.
- فضلت شهرين؟!
- شهرين ضرب وتعذيب بكل ما تتخيله، من أول الكهربا والجَلد، وساعات لما الظابط كان بيحب يتسلى، كانوا بيكتفوني في كرسي وعيني متغمية برضه ويفضل ينتِّف في شعر دقني شعرة شعرة، ولما خلص على دقني، بدأ ينتف شعر صدري.. ابن الكلب.
هتف بها بمرارة وهو يحبس دمعة كانت ستنزل من عينه، فمد «كريم» يده يربت على كتف صديقه؛ لعله يخفف عنه:
- طيب ليه كل ده؟
- طول الشهرين يجيبوني والظابط يسألني: «مين معاك»؟ أقول له: «معايا فين يا باشا»؟ يقول لي «شكلك هاتغلبنا يا ابن المرة» وينزل ضرب وكهربا في جسمي كله.
- وخرجت إزاي؟
- في يوم جابوني قدام الظابط، وقال لي: إحنا هنسيبك، بس لو عرفت إنك رجعت لموضوع المقرأة ده تاني هنفخ أهلك، ومن ساعتها يا سيدي زي ما انت شايفني، حالق دقني وبقعد على القهوة

علشان يعرفوا إني بقيت مواطن صالح، وحتى الصلاة بقيت بصليها في بيتنا، وزوجتي خلعت النقاب، وبقت بتلبس حجاب عادي، يمكن يحلوا عني.

ظل «كريم» يتطلع إليه عاجزًا عن إيجاد كلمات يواسيه بها، في حين تفلتت دمعة من عين «خالد» فمسحها، وأخذ يرشف من كوب الحلبة وهو يتطلع إلى المارة في الشوارع.

- وربنا انت خمام.

جاء الصوت من داخل المقهى فتطلع «كريم» و«خالد» إلى الداخل ليجدا عمودَي المقهى الأبديين اللذين ناهزا الخامسة والخمسين من عمريهما، عم «عبده» وعم «سعد» يلعبان الطاولة، وعم «نصر» بجانبهما يطالع الجورنال، لا يتذكر «كريم» يوما أنه رآهم إلا هكذا، فلم يجد مثلا عم «عبده» يقرأ الجورنال، أو أن عم «نصر» يشاركهما اللعب.

- يالهوي يا «عبده»، ده انت بقالك عشرين سنة بتقول إني بخمك، يا عم انت اللي مش بتعرف تلعب.

- وربنا أنا شايفك بتقرص الزهر يا «سعد».

- هاه، هتلعب ولا كده اتغلبت؟

يهز عم «عبده» الزهر بيده ويلقيه على الطاولة وهو يقول:

- مغلوب مين؟ ده أنا هبهدلك دلوقتي.

- آه يا ولاد الكلب يا كفرة!!

كانت هذه من عم «نصر» الذي قالها وهو يضرب الجورنال على المنضدة التي أمامه، فسأله عم «سعد» من دون أن ينظر إليه وكأنه اعتاد على طلعات عم «نصر» الغريبة:

- مالك بس يا «نصر»؟!

- تخيل الكفرة ولاد الكلب بيتاجروا في البني آدمين، إيه بقينا خرفان خلاص؟!

كعادة عم «عبده» لم يهتم بسؤال عم «نصر» عمّا يعنيه، وانشغل باللعب، فهو يعلم أنه سيقول كل ما يريد حتى ولو لم يسأله أحد، ورد عم «سعد» بطريقة روتينية:

- إيه بس اللي حصل؟ ومين الكفرة دول؟

- هو مين كفرة غيرهم؟! أكيد الصهاينة طبعا.

قالها وهو يقرب وجهه منهما، ونظرة خطيرة ترتسم على ملامحه، الصهاينة بالنسبة لعم «نصر» هم اللهو الخفي الذي يسيطر على الكون بأسره، وهم السبب دائما وأبدا في كل مشكلة تحدث في مصر، من أول أزمة المواصلات، حتى الانقطاع الدائم للمياه، وربما لو تأخر عامل المقهى في إحضار الطلبات لاتهمه عم «نصر» بأنه جزء من المؤامرة الصهيونية!!

- تخيلوا واحد داخل يعمل عملية في رجله، يكتشف بعد فترة إنهم سرقوا كليته؟!

- إيه جاب رجله لكليته؟!

- لما لقى خياطة في جنبه سأل؛ فالدكتور ابن الحرام قال له: أصل العرق كان موصل من رجله

obeikan.com

لجنبه!!
- طيب وعمل إيه؟!
- ولا حاجة، فضل يشتكي ولا حد عمل حاجة للمستشفى، ولا حتى للدكتور.
ولأول مرة يتدخل عم «عبده» في الحوار الدائر:
- طيب وهيعمل إيه بالكلية يعني؟!
- انت مش عايش في الدنيا يا «عبده» ولا إيه؟! دي الكلية بتتباع بالشيء الفلاني.
- بكتير يعني؟
- سمعت أنها بتتباع ييجي بخمسين ألف جنيه.
عاد عم «عبده» للعب وهو يردد وكأنه يحدث نفسه: «خمسين ألف جنيه»؟ وعاد عم «نصر» إلى تكرير نظرية المؤامرة:
- دول أكيد الصهاينة ولاد الكلب.. حد فيكم فاكر حادثة بني مزار؟
فأجابه عم سعد:
- آه، مش دي اللي لاقوا كام واحد مقتول في بيتهم، وكل واحد منهم كان من غير «حنكلولو».
- آه يا سيدي هي.
- أنا سمعت إن اللي قطع «الحنكلولو بتاعهم» كان علشان يفتح مقبرة فرعونية.
- انت هتصدق الهبل ده؟! دول أكيد اليهود اللي عملوا كده.
ثم أمسك الجريدة مجددًا وهو يصب اللعنات على اليهود الذين يخربون كل شيء في البلد.
كان «كريم» و«خالد» يتابعان الحوار، ولما انتهى عاد «خالد» ينظر إلى «كريم» وهو يبتسم بعدما أنساه الحوار الدائر بين الثلاثة الكبار همه.
- المهم قولي انت أخبارك إيه؟
- أنا تمام والحمد لله، وهخطب كمان أسبوع بإذن الله.
- بارك الله لك.
- أموت أنا في الدعوات السلفية دي.
- بتحبها ولا جواز صالونات؟
- إلا بحبها.. ده لما بسمع اسمها بس بحس بهبل في الحتة الشمال.
- طيب مين العروسة إن شاء الله؟ احكي لي.
- هحكيلك يا سيدي.
طوال نصف ساعة ظل يحكي له كل شيء من أول تعرفه عليها - مع إغفال موضوع الرؤى والاستبصار – حتى ما حدث اليوم من ذلك الشمام «حديدة».
- بس يا سيدي، بس مش عارف أعمل إيه مع الواد اللبط ده.
- الله المستعان، ربنا يهديه.

- تعرف يا خالد؟ أنا بفكر أبلغ عنه، خصوصا إني عارف هو بيخبي المخدرات فين.
- وبيخبيها فين؟
- في مدخل البيت عندهم في عداد ميّه خاص بشقة أمه، وعليها صندوق حديد مقفول بقفل، البيه بقى مخبي فيها المخدرات للتعاطي والبيع كمان.
- ابن اللعيبة!! طيب وانت عرفت ازاي أصلا؟
- سمعته بالصدفة بيقول لواحد من حبايبه الشمامين.
- طيب وبتفكر تعمل إيه يعني؟
- بفكر أبلغ البوليس إنه تاجر مخدرات.
لم يتمالك «خالد» نفسه من الضحك، فرجع بظهره إلى الوراء وانفجر في الضحك الهستيري.
- بتضحك على إيه يا ابني؟!
- أصلك طيب أوي يا «كريم» والله.
ثم مال إليه وهو يحاول أن يمنع نفسه من الضحك:
- انت فاكر إن البوليس مش عارف تجار المخدرات دول واحد واحد وسايبهم بمزاجه؟!
- عارفهم وسايبهم ليه يعني؟
- علشان ده النظام يا «كريم».
تحولت ملامحه للجدية وهو يشرح له قصده، عندما وجد علامات الاستفهام على وجه صديقه:
- بص يا «كريم»، السياسة في البلد دي إن الحكومة تسيب الأشكال اللي زي تجار المخدرات والبلطجية يبهدلوا في الناس، وكله تحت عين الشرطة، ومن وقت للتاني ممكن يقبضوا على واحد أو اتنين منهم؛ علشان يحسسوا الناس إنهم مصدر الأمان، ومن غيرهم الناس تضيع.
صَدم «كريم» هذا المنطق الغريب؛ ففكر في ما يمكن عمله.
- طيب أعمل إيه مع الزفت ده؟! بالشكل ده هيفضل مطلع عين أهلي.
- عايز تخلص من الزفت ده.. عايز تخلص من الزفت ده.
نطقها كأنه يحدث نفسه، وظل هكذا لمدة دقيقتين وهو يطرق على الطاولة بأصابعه، ثم التفت إلى «كريم» فجأة وهو يبتسم ابتسامة واسعة:
- قل لي ياد يا «كريم»، هو فيه كنيسة قريبة من مكان الواد ده؟
- اشمعنى يعني؟!
- يا عم ريحني وقل لي بس.
أيوه فيه كنيسة بعدهم بشارعين تقريبًا.
قالها بصوت عالٍ فاتسعت عينا صديقه خالد رعبا:
- هششششش، وطي صوتك هتودينى في داهية.
- أوطي صوتي ليه؟ مش فاهم.

فمال على «كريم» وهو يهمس:
- مش انت عايز تخلص من الواد البلطجي ده في أسرع وقت؟
- آه يا ريت.
- أنا بقى هقول لك المفيد.
- قول يا أستاذنا.
- زي ما قلت لك من شوية إن الشرطة هنا بتسيب البلطجية وتجار المخدرات براحتهم، بس الحالة الوحيدة اللي ممكن يتحركوا فيها بأقصى سرعة هي أي تهديد للمسيحيين أو الكنيسة.
نظر «كريم» له بفزع غير مستوعب لما يقال:
- الله يخرب بيتك، انت عايزني أعمل إيه؟!
- انت مش هتعمل حاجة غير مكالمة تليفون صغيرة.
- مكالمة إيه يا ابني؟ بالراحة عليّ.
- بص يا سيدي، المطلوب منك علشان تخلص من الواد ده إنك تتصل بأمن الدولة وتبلغهم إن الواد ده بيتعامل مع جماعات تكفيرية، وبيمدهم بالسلاح علشان فيه خطة لتفجير الكنيسة القريبة منه.
تذكر «كريم» الرؤيا التي يرى فيها الظلام كأنه معصوب العينين فلوح بيده رعبا.
- ولما أمن الدولة يجيبني من قفايا إن شاء الله، هبقى مبسوط؟!
فرد عليه «خالد» بابتسامة مطمئنة:
- يا ابني افهم، أمن الدولة مش هيعرف يجيبك أبدا؛ لأنك مش هتتصل من تليفونك، انت زي الشاطر تشتري خط تليفون بعشرة جنيه من أي مكان بعيد عن هنا، وأغلب المحلات دلوقتي مش بتاخد لا صورة بطاقة ولا حاجة، بعد ما تشتري الخط تتصل بأمن الدولة، وتقول لهم زي ما قلت لك، وفي خلال يومين بالكتير تقدر تنسى الواد ده إلى الأبد.
فكر «كريم» قليلاً في الخطة والتمعت عيناه ببريق الإعجاب وهو ينظر إلى «خالد»، فنغزه في كتفه ضاحكا:
- يا ابن الأروبة يا خالد!! جبت الأفكار دي منين يا ابني؟! ده انت كنت قطة مغمضة.
- يا حبيب قلبي اللي أنا شوفته يغير تفكير الواحد ١٨٠ درجة.
- تسلم لي دماغك والله.
ثم نهض استعدادًا للانصراف.
- إيه يا «كريم» رايح فين؟
- مشوار صغير حابب أعمله قبل ما أقرر هنفذ الخطة دي ولا لأ، سلام.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
ثم صافحه وانصرف عائدا إلى منطقة «تقى».

راقت الفكرة التي طرحها صديقه «خالد» كثيرا، لكنه فكَّر في أنه قبل أن يلجأ إليها يجب عليه محاولة التوصل لحل مع «حديدة» بشكل ودي، وفي الطريق إلى منطقة «تقى» عرج على منطقة بعيدة ابتاع منها خط تليفون من محل لا يطلب صورة البطاقة أو أي بيانات عن المشتري، وما إن وصل حتى وضع سيارته بعيدًا، وترجل ليقطع المسافة إلى المقهى المعتاد الذي يجلس عليه غريمه، وبالفعل وجده هناك مع أصدقائه؛ فتوجه إليه مباشرة وهو يدعو الله أن ينتهي الأمر على خير:

- السلام عليكم يا أستاذ «حازم».

ومد يده بالسلام فقوبلت من الآخر بأن نظر إلى الناحية الأخرى بلا مبالاة، وهو ينفث دخان الشيشة في الهواء.

- طيب ده السلام لله.

- وعليكو يا سيدي، نعم؟

- ممكن أقعد مع حضرتك شوية وأتكلم في حاجة انت عارفها؟

جذب مقعدا بالفعل قبل أن يسمح له «حديدة» بذلك، وجلس عليه.

- بس يا ريت لوحدنا.

إشارة من قائد البلطجية كانت كفيلة بأن ينفض الجمع من حولهما، ولما ذهب الجميع مال «حديدة» وقال بأنفاس كريهة:

- نعم؟ عايز إيه؟

- يا أستاذ «حازم»، أنا عايز أحل معاك مشكلة خطوبتي من الآنسة «تقى».

- بص يا زميلي.

- اتفضَّل.

سحب «حديدة» نفسا طويلا من الشيشة قبل أن يقول بصوت مكتوم من الدخان الذي يملأ صدره وحلقه:

- اللي عندي قولتهولك قبل كده، المرة دي جت في العربية، لو شوفتك هنا تاني الله أعلم ممكن أعمل إيه، وانت ونصيبك بقى.

ثم أعاد مبسم الشيشة إلى فمه، وسحب نَفَسًا آخر طويلاً قبل أن يقول:

- أنا اللي ياخد حاجة بتاعتي بطلع «دين أمه»، يا ريت ما تخلينيش أوريك الوش الخشب بتاعي.

ثم اقترب من وجه «كريم» فظهرت أسنانه الصفراء قبل أن يطلق الدخان الذي كان يكتمه في وجه «كريم»، الذي أخذ يلوح بيده مبعدًا الدخان عن وجهه.

- ماشي يا أستاذ «حازم»، هو أنا هقدر عليك يعني؟!

- قشطة عليك، اتكل على الله بقى.

فتركه «كريم» وهو يتمتم بحزم متقمصا شخصية أحمد مظهر في فيلم «صلاح الدين»:

- «إذًا فهي الحرب».

واتخذ طريقه إلى سيارته، وما إن جلس بها حتى أخرج خط الهاتف الذي اشتراه، ووضعه في هاتفه وأجرى الاتصال:

- ألو.. أمن الدولة؟ عندي بلاغ مهم عن تهديد بتفجير الكنيسة الموجودة في «أحمد عصمت».

وبعد انتهاء المكالمة لم يشعر برغبة في العودة إلى المنزل في الحال، فلما لمح مقهى آخر على ناصية الشارع، حمل حقيبة الكمبيوتر المحمول الخاص به، وذهب ليجلس عليها قليلاً يتصفح البريد الشخصي والمواقع الإخبارية.

مضى عليه وقت كبير يربو على الثلاث ساعات وهو جالس في مكانه، حتى وجد هرجا ومرجا بين الناس، وقام ليجد عربات الشرطة وأكثر من خمس عربات أمن مركزي مصفحة ومملوءة بالجنود، يقتحمون الشارع صوب بيت «حديدة»، ولم يمر ربع ساعة حتى وجدهم يدفعون الأخير وبعض زملائه أمامهم، وبعضهم ينهال عليهم صفعا على أقفيتهم وركلا على مؤخراتهم، حتى أدخلوهم في عربة الشرطة وانطلقوا.

راقت له كثيراً عبارات الفرحة التي أخذ البعض يطلقها، وعن المنطقة التي تطهرت أخيراً من الحشاشين والبلطجية؛ فجلس والفخر يملؤه وأجرى اتصالا بصاحب الفكرة «خالد» يخبره بما حدث:

- بس وربنا تسلم دماغك يا حبيبي، لما أقابلك ليك عندي عزومة جامدة.. سلام يا برنس.

ثم أخذ يرشف من كوب «النسكافيه» الذي طلبه بنهم شديد، فقد تخلص ممن أراد أن يفرق بينه وبين حبيبته.. «تقى».

* * *

مرت الأيام التالية من دون أي منغصات تُذكر، حتى الرؤى الظلامية اختفت ولم تعد تأتيه، وانشغل هو في التحضير ليوم الخطوبة بالنهار وبالليل، في مهاتفة «تقى» يتحدثان عن اليوم الموعود، أيام مرت عليه وقلبه ينبض باسمها، حتى أتى اليوم أخيراً.

مد يده ليلتقط أناملها الدقيقة برقة وهو ينظر إليها بحبٍّ وهيام:

- أخيراً!

ارتسمت على وجهها ابتسامة مشرقة مشوبة بالخجل وهي تسحب أناملها من بين يده:

- اهدى يا عم الرومانسي، أهلي حوالينا.

التفت حوله وقد تذكر أنهما في وسط حشد من الأهل والأصدقاء في حفل خطبتهما الذي تمناه منذ أن تعرف عليها، فأخذ يوزع الابتسامات يمنة ويسرة، ويلتقط الصور مع الأصدقاء وأطفال صغار لا يعلمهم، تأتي بهم إحدى النساء؛ ليحمله العريس ويلتقط معه بعض الصور كأنه حفل تتويج لا حفل خطبة، وسؤال مُلح يتردد على ذهنه وهو: هل يفعلها أحد الأوغاد الصغار ويبول على بنطاله؟! لكن ولله الحمد لم يفعلها أحدهم.

ساعات حفل الخطوبة مرت عليه كأنها دقائق معدودة، حتى انتهى الحفل ورحل معظم الحضور وبقي هو وأمه مع «تقى» وأسرتها قليلاً ثم استأذن في الانصراف حتى يذهب بأمه إلى البيت، لكم تمنى أن تطول المدة قليلاً، أو ينفرد بخطيبته، لكنه منى نفسه بأن الأيام مقبلة وسينهل فيها من السعادة نهلا، وبعد أن وصل وأمه إلى شقتهما ودخلا، جذب أمه وقبّل جبينها فرحًا وهو يقول بسرور:

- أنا مبسوط أوي يا أمي.

فضمته إلى حضنها ومسحت على شعره:

- ربنا يبسطك دايما يا حبيبي، ده النهارده أسعد يوم في حياتي.

- قريب يا أمي أتجوز وأجيب لك قرد صغير يقرفك هنا.

- يا حبيبي ده يوم المنى.

ثم تركها بعد أن قبّلها مرة ثانية.

- هروح أغير هدومي بقى يا ست الكل.

- تحب أحضر لك أكل؟

- أكل إيه يا حاجَّة، أنا هروح أريَّح شوية.

- نوم العوافي يا حبيبي.

ظل واقفا مكانه حتى دخلت أمه حجرتها ثم انطلق إلى حجرته وهو يغني من الفرح، وما إن وصل إلى باب حجرته ودفعه ووضع قدمه في الغرفة حتى تغير المكان تمامًا.

شيء جديد عليه لم يمر به من قبل أبدًا؛ فحتى الرؤى كانت تأتيه كأنه يراها بعينيه أو بعيني من تكون الرؤيا خاصة به، لكن هذه المرة كانت الرؤيا أشبه بانتقال جسده كليا من مكان إلى آخر، فما إن دخل الحجرة حتى اختفت جدرانها وأثاثها؛ ليرى أنه في مكان آخر وحجرة أخرى يعمها الظلام في رؤية ضبابية مشوشة، كأنه يرى من خلال بلورة مليئة بالثلج؛ فأخذ يجول ببصره في المكان حتى رأى جسدًا مسجى على فراش طبي مكبل اليدين والقدمين والرأس، وبجانبه رجل يرتدي معطفًا طبيًا يوصل بعض الأقطاب برأس ذلك المكبل إلى السرير، والأقطاب موصولة بجهازين غريبين، يظهر على كل منهما خط متعرج علوًّا وهبوطًا.

تكلم الرجل الذي يرتدي معطف الطبيب بكلمات لم يميزها «كريم»؛ فاقترب منه حتى يرى وجهه، فلم يستطع ذلك بسبب تلك الضبابية الغريبة، لكنه حين التفت إلى ذلك المقيد إلى السرير صُعق مما رآه.. فقد رأى نفسه!!

ثم رأى الطبيب يلتقط شيئًا من جيب معطفه، فإذا بها كماشة صغيرة جربها في الهواء ثم التقط اليد اليسرى لذلك المقيد وأمسك بإصبع الخنصر ووضع طرف الكماشة على ظفرها استعدادًا لانتزاعه، حاول «كريم» أن يصرخ بالرجل فلم يستطع، فهجم عليه يمنعه، لكنه مر منه كأنه شبح، وحينما بدأ الرجل في انتزاع الظفر صرخ «كريم» المقيد وصرخ «كريم» الواقف، فقد شعر بنفس

الألم، ورفع يده أمامه يمسكها بيده الأخرى من الألم، وإذا بالدماء تفور من مكان الظفر المنتزع.
اقتحمت والدة «كريم» الحجرة عندما سمعت صراخه الذي يصم الآذان، فإذا بابنها مُلقى على الأرض يمسك يده اليسرى بيده اليمنى وهو يتشنج.
- مالك يا حبيبي؟ فيه إيه؟
صرخت به وهي تحاول إنهاضه، فباءت محاولاتها بالفشل بسبب حركته المتشنجة وهو على نفس الوضع، وصراخه يملأ المكان، أما «كريم» نفسه فقد كان في مكان آخر بعقله وهو يتألم بأشد ما يكون، وعندما اختفت الرؤيا سكن جسده وقام مع والدته التي ظلت تلح عليه بالسؤال عما حدث، فنظر إليها نظرة خاوية ووجهه يتصبب عرقا.. ثم سقط مغشيًّا عليه.

obeikan.com

obeikan.com

الوريث

مر يومان لم يذق فيهما طعم النوم بسبب ما رآه، تمر على خاطره ومضات من الرؤيا الظلامية الأخيرة؛ فيقشعر بدنه وتختلج نبضات قلبه، وهو يعلم أن هناك خطرا قادما من غير أن يدري متى سيأتي أو لماذا، وعلى الرغم من إلحاح أمه في سؤاله عما رأى فإنه لم يخبرها بالحقيقة، وأيقن أنه لن يستفيد شيئًا من إثارة ذعرها.

- مفيش يا أمي، دي إيدي وجعتني فجأة ومش عارف ليه.

- يا سلام؟!

تقولها وهي تعيد السؤال مرة أخرى فيصر على إجابته:

- بجد يا حاجَّة، أنا هبقى أروح أكشف إن شاء الله وأطمنك.

تنظر إليه لحظات ثم تهز رأسها غير مقتنعة وتتركه وتنصرف إلى خارج غرفته.

كان يعلم أنها لا تصدقه، لكنه رأى أن ذلك أفضل من أن يرعبها برؤياه.

اليوم هو الخميس، لم يشعر بالرغبة في الذهاب إلى العمل فاتصل بالشركة وأخذ إجازة مرضية، ثم جلس في غرفته حتى الظهيرة أمام الكمبيوتر يتجول على الإنترنت ويتناسى رؤياه الدموية، سمع صوت مزلاج الباب يفتح، ووجد والدته تطل برأسها داخل الغرفة وتنظر إليه.

- أنا نازلة يا «كريم»، عايز حاجة يا حبيبي؟

- رايحة فين؟

- هروح عند خالتك أقعد معاها شوية.

- طيب استني آجي أوصلك.

- لأ خليك، أنا هركب تاكسي من الباب للباب.

- طيب سلميلي عليها وابقي طمنيني لما توصلي هناك.

- بإذن الله يا حبيبي.

- وخدي موبايلك معاكي، بلاش تنسيه زي كل مرة.

- ماشي.. سلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أغلقت الباب خلفها وانصرفت، وعاد هو إلى جهازه وظل يطالع الإنترنت، فكّر أن يبحث عن أي شيء يتعلق بالقدرات الخارقة من أبحاث علمية أو حتى الخيال العلمي.. ففتح موقع «جوجل» وجلس لحظات لا يفعل شيئًا ثم كتب في محرك البحث جملة «القدرات الخارقة» وضغط زر

البحث؛ فظهرت أمامه عشرات النتائج تؤكد أننا شعب متدين بطبيعته؛ فقد كانت كلها تتكلم عن «القدرات الخارقة في ليلة الدخلة» أو «القدرات الجنسية الخارقة» ولم يجد من بينها أي شيء يخص ما يبحث عنه.

فظل يتنقل بين مواقع الأخبار وبين «الهري» الذي يحدث في موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» يشاهد الصور التي تتناقلها صفحاته من نوعية طائر برأس كلب ومكتوب فوقها «لا تخرج قبل أن تقول سبحان الله»، أو صورة (أبيض وأسود) لكارل ماركس وهو يرتدي الغترة والجلباب ومكتوب فوقها «صورة تثبت أن كارل ماركس قد اعتنق الإسلام قبل وفاته، ومن يقول إن هذه الصورة فوتوشوب فهو كاذب؛ لأن أيام كارل ماركس لم يكن هناك فوتوشوب».. فأغلق الـ«فيس بوك» قبل أن تنفجر مرارته، ثم فتح موقع التواصل الآخر «تويتر» ليجد فتيات يسبين الدين بكل أريحية، أو فتاة تسأل عن كيفية وضع حلق في لسانها وتقول في آخر التغريدة: «علشان الحركة دي سكسي موت»؛ فأغلقه هو الآخر وفتح أخيراً موقع الـ«يوتيوب» ليشاهد بعض مقاطع الفيديو المتناثرة حتى يقتل وقته.

ساعتان كانتا كافيتين؛ فأغلق شاشة الكمبيوتر على لوحة المفاتيح ثم رجع إلى الوراء يطقطق فقرات ظهره، ثم قام إلى خارج الغرفة متوجها إلى الثلاجة ليحضر أي شيء يأكله، وقبل أن يصل إلى المطبخ رأى غرفة مقتنيات والده الراحل المغلقة التي لم يدخلها سوى مرتين أو ثلاث مرات منذ أن انتقل إلى الشقة الجديدة، نسي ما خرج من أجله وتوجه ناحية الغرفة، كأن هناك نداءً مجهولاً يجذبه إليها.

أمسك مقبض الباب وفتح الغرفة ودخل إليها حتى توقف في منتصفها، في مواجهة الباب على الجانب الآخر من الغرفة يوجد دولاب خشبي واجهته من الزجاج الشفاف، وبجانب الحائط الأيمن للغرفة يوجد كرسي متحرك وهو الكرسي الخاص بوالده، وفوقها صورته وعليها شريط أسود من الطرف العلوي، فما إن رآها «كريم» حتى شعر بالحزن واسترجع الذكريات القليلة عن والده الراحل ثم تذكر الرؤيا التي أتته قبيل وفاته بأيام؛ فشعر بحزن وانقباضة في صدره.

- الله يرحمك يا بابا.

أدار وجهه ناحية الدولاب الخشبي بني اللون وتوجه إليه، ووقف أمامه يشاهد ما بداخله، أشياء متناثرة لا تربطها ببعضها أي صلة سوى أنها كانت تخص والده أو جده: مبسم سجائر ونظارة شمسية كبيرة وقلم حبري وأشياء أخرى كانت لوالده، اتسعت ابتسامة «كريم» حين رأى علبة صغيرة غلافها الأعلى من البلاستيك الشفاف بداخلها خصلة شعر سوداء اللون.

سأل والدته يومًا بعد وفاة والده بفترة عن سر تلك الخصلة التي كان والده يحتفظ بها؛ فضحكت واكتسى وجهها بحمرة ثم أخذت تحكي له:

- الخصلة دي بقى يا «كريم» حكاية لوحدها، كنت لسه متجوزة أبوك جديد ما بقاليش شهرين، وكان أبوك لازم يسافر أسبوع إسكندرية في شغل، وقبل ما يسافر بيوم جالي وطلب مني حاجة

غريبة أوي، قال لي: أنا عايزك تقصي حتة صغيرة من شعرك. بيني وبينك افتكرته اتجنن؛ فسألته وأنا مستغربة أوي: «ليه يا راجل؟!» فقال لي: «علشان آخدها معايا وأنا مسافر تونسني، وريحتك تفضل معايا»، أقول له: «يا راجل شعري يبوظ»، فضل مصمم وقال لي: هاتيها من آخر شعرك من تحت، إن شالله حتة صغيرة، في الآخر سمعت كلامه، وقصتها من شعري واديتهاله فخدها وحطها في العلبة دي، وسافر تاني يوم، ولما رجع شالها مع الحاجات الباقية، ولما قولت له ارميها قال لي: «ده أنا لا عشت ولا كنت لو رميت حتة من روحي».. إيييييه.. كانت أيام.

- الله الله.. ده بابا كان رومانسي بقى!

- أبوك ده كان أبو الحب والدلع كله، وكان محسسني كأني ملكة، لولا الشلل اللي جاله بدري ده.. ربنا يرحمك يا «عبد الله» ويجعل مثواك الجنة.

- اللهم آمين يا أمي.

فتح «كريم» الباب الزجاجي للدولاب، وتحسس العلبة التي تحوي خصلة شعر أمه وهو يبتسم، ثم رفع يده والتقط نظارة والده الشمسية وارتداها، ولم يكد يفعل ذلك حتى اختفت الغرفة ليجد نفسه في سيارة أجرة وهو يستحث السائق على الإسراع، وصوت صراخ يأتي من جانبه يكاد يمزق طبلة أذنه، فالتفت إلى جانبه:

- خلاص أهه يا حبيبتي قربنا نوصل.

- مش قادرة يا «عبد الله» مش قادرة، حاسة إني هولد دلوقتي.

شد على يدها وعاد ينظر إلى السائق:

- بسرعة يا أسطى، الولية هتولد.

- ما تخافيش يا حبيبتي، ما تخافيش.

حوّطها بذراعه وهو ينظر إليها ويمطرها بعبارات التشجيع والطمأنة.

أمه! كانت أمه، لكن في زمن آخر ومكان آخر، لم يكن لـ«كريم» أي دخل في الأحداث، ولم يكن إلا مجرد متابع بعيني والده، اختفى المكان ليجد نفسه في مستشفى، يقف أمام باب غرفة العمليات والقلق يعبث بقلبه حتى خرجت إحدى الممرضات؛ فتلقفها بلهفة:

- هاه.. إيه الأخبار؟

- جالك ولد إنما إيه حتة سكر.

- ما أنا عارف إنه ولد، أنا بسألك عن أمه.

- وعرفت منين إنه ولد؟!

- يا ستي مالكيش دعوة، المهم مراتي عاملة إيه؟

- الحمد لله زي الفل، شوية كده وهنخرجها.

- الحمد لله.. الحمد لله.

- هتسمي الواد إيه بقى؟

صمت يفكر بفرحة قبل أن يرفع رأسه إلى الممرضة:

- «كريم».. هسميه «كريم».

عادت جدران الغرفة والدولاب الخشبي أمامه، فخلع النظارة والدهشة تسيطر عليه، فلم تكن تأتيه رؤى من لمسه لجمادات من قبل، أعاد النظارة إلى مكانها وأخذ يجول بنظره في باقي المقتنيات، في الصف الأسفل كان يوجد جلباب قديم يخص جده ومقص كان يستخدمه جده في قطع غصون العنب عندما كان يعمل بالسخرة وهو شاب صغير قبل ثورة يوليو في وسية أحد الإقطاعيين، أو «البرنس» كما كان الفلاحون يلقبونه.

فمد يده وأخذ يفتحه ويغلقه في الهواء، وقبل أن يعيده إلى مكانه شعر بقلبه يرتج وتيار يزلزل خلايا عقله وجسده، فأغلق عينيه من الألم وفتحها ليجد أن المكان قد تغير تمامًا، ووجد نفسه في أرض زراعية وحوله مجموعة من الفلاحين، أطفال وشباب وكبار في السن، يعملون في قص غصون العنب، وبعض الفتيات يجمعن العنب في سلال من البوص، وكان هو معهم يشاركهم في ذلك، لم تكن له القدرة في التحكم أو رؤية إلا ما يراه من خلال عيني الفلاح، ظل يعمل ويقص الغصون بيد ملأتها الشقوق من العمل، وفجأة شعر بألم شديد على ظهره وكأن سوطا قد ضربه، فالتفت بغضب إلى الخلف ليجد فلاحًا آخر يرتدي جلبابًا ومعطفًا قصيرًا وطاقية بنية اللون طويلة، ويمسك بخيرزانة.

- آه يا ابن الكلب، بتضربني ليه؟

- أنا ابن كلب يا حمار يا بغل؟ وحياة أمك لأوريك.

فرفع خيرزانته وانهال على جسده بالضرب، حتى اندفع فلاح كبير في السن ناهز الخمسين من عمره كان يعمل بجانبه، وأمسك يد الآخر الممسك بالخيرزانة.

- صلِّ على النبي يا «طه»، ده انت فلاح زيِّنا يا أخي.

- انت مش شايف ابن المرة ده بيشتمني ازاي يا «حامد»؟!

- صغير لسه يا «طه».

- صغير إيه بس؟! ده شحط أهه وعنده ييجي عشرين سنة.

قالها وهو يشير إلى «كريم» أو إلى من تخصه الرؤيا الذي رد عليه على الرغم من جسده الذي يئن من الألم:

- ما تقولش ابن مرة، ولو شتمتني هشتمك.

- انت بتقاوح برضه؟!

همّ أن يضربه مرة أخرى، لولا أن «حامد» أمسك بيد الرجل يهدئ من غضبته وهو يقول له:

- حقك عليّ يا «طه»، أنا هعرفه غلطه.. روح انت بس.

- ماشي، لما أشوف هيتعلم الأدب ويشوف شغله كويس ولا لأ!

ثم انصرف وقام الفلاح الآخر «حامد» يربت على كتف «كريم» وهو يخفف عنه:

- يا «عب مجيد» بطَّل مقاوحة وبلاش ترد عليه، ده مفتري وممكن يقطع عيشك.
- يقطعه يقطعه، يعني هي دي الجنة يا عم «حامد»؟!
- لا يا سيدي مش الجنة، بس هي اللي بتجيبلك فلوس تصرف بيها على أمك الغلبانة.
ثم حوط كتف «كريم» بذراعه وهو يقول بأسى:
- يا «عب مجيد» يا ابني، الراجل مننا يتهان ولا نسوانّا تتكشف على حد غريب أو تخدم في البيوت.
ثم تركه وتنحى جانبا وعاد إلى عمله وهو يحث «عب مجيد» أن يكمل هو الآخر عمله، فالتفت وأمسك بالمقص، وأخذ ينظر إليه قليلاً قبل أن يعود إلى قص أغصان العنب، وأحس «كريم» بفورة غضب تعتمل في قلب «عب مجيد» ورأسه وترسم له خيالات بقتل مراقب الأنفار «طه» فرفع المقص إلى أعلى، وتطلع إليه مرة أخرى قبل أن يعود إلى العمل والفكرة تكتمل في رأسه.
تبدل المكان ليجد «كريم» نفسه يقف هو وبعض الفلاحين وقد أوشك قرص الشمس على المغيب، ورأى الجميع يتوجهون إلى خارج الأرض الزراعية حتى لم يبقَ إلا هو و«حامد»، ورأى أيضًا مقاول الأنفار «طه» يسير مبتعدًا عنهما في الاتجاه العكسي وهو يرفع طرف جلبابه ويغيب خلف شجرة وكأنه سيقضي حاجته، ورآها «عبد المجيد» فرصة مناسبة لقتله.
- ماتيالا يا «عب مجيد».
أفاق من أفكاره فتطلع للحظات إلى المقص الذي يمسك به، ثم سار بجانب «حامد» في الطريق إلى عربة كارو، وفي أثناء السير أبطأ خطواته حتى تأخر عنه خطوات قليلة، تطلع إلى المقص مرة أخرى ثم رفعه أمام وجهه وأفلته.
طاف المقص في الهواء ولم يسقط على الأرض، كان «كريم» يرى ذلك بعيني «عبد المجيد» الذي حدق في المقص بثبات، وفجأة اندفع المقص طائرًا بسرعة خاطفة بعيدًا عنه إلى حيث يقف مقاول الأنفار «طه» خلف الشجرة، وكأن نظره يطير مع المقص، رآه قد طار حتى وصل إلى أمام «طه»، وتوقف أمامه بمترين للحظة فانتفض «طه» رعبًا وهو يحدق في المقص برعب وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم فجأة طار المقص بسرعة وهو يدور باتجاه «طه» واخترق قلبه وتجاوزه إلى الناحية الأخرى، ويتجنب الشجرة ليطير عائدا إلى يد «عبد المجيد» الذي وضعه في جيب جلبابه، وأكمل سيره مع «حامد» وابتسامة رضا تكسو وجهه.
شعر «كريم» بذعر بالغ ولم يدرِ بنفسه إلا وهو يلقي المقص من يده، فاختفى المكان ووجد نفسه يقف أمام الدولاب الخشبي في غرفة مقتنيات والده، تراجع بضع خطوات إلى الخلف يحدق في المقص المُلقى على الأرض وهو يغالب غثيانه من منظر الصدر الممزق الذي رآه والذي كانت أداة الجريمة فيه هي مقص جده الراحل..
ظل يتراجع بظهره فارتطم بالكرسي المتحرك وسقط جالسا عليه، لتختفي الجدران والغرفة مرة أخرى ويجد نفسه جالسا على كرسي متحرك في غرفة طبية وأمه تقف أمامه تحدث طبيبًا كبيرًا في

السن وبجانبهم طفل صغير لم يتعدّ الرابعة من عمره..
- يعني مفيش أمل يخف يا دكتور؟
- هو صعب جدًا، أكيد ربنا قادر على كل شيء.
- طيب هو عنده إيه بالظبط؟
قلّب الطبيب كفيه بحيرة:
- المشكلة إننا مش قادرين نوصل للسبب، فيه جرح في راسه ممكن يكون ده السبب..
هزت رأسها نافية:
- الجرح ده بقاله سنة كاملة لما وقع على راسه انجرح.
- مفيش سبب عضوي تاني يخلي الشلل يحصل، بس غالبا المشكلة جت من انهيار المخ نفسه.
- طيب لو وديته مستشفى تانية ممكن حد يعالجه؟
- براحتك، أنا بنصحك توفري الفلوس؛ لأنك حتى لو سفرتيه بره مش هتلاقي علاج.
تركها الطبيب وخرج فربتت هي على رأس الطفل الصغير وهي تبكي:
- اطلع بره دلوقتي يا «كريم».
- هو بابا ما له؟
- تعبان يا حبيبي.
- طيب ما ياخد حقنة وهيخف.
- «كريم».. اطلع بره علشان خاطري.
أطاع الطفل أمه وخرج، وجلست هي أمام أبيه الجالس على كرسيه لا يتحرك؛ فظلت تبكي وقالت من وسط دموعها:
- ينفع اللي عملته فيّ ده يا «عبد الله»؟
شعر «كريم» كأن الكلام يخرج من عقله ويستقر في عقلها، قائلا لها:
- مش بإيدي يا «تهاني»، ده قدر ربنا.
لم تندهش الأم من ذلك وكأنها تعودت على مثل هذا الحوار العقلي:
- مهما حصل أنا هفضل تحت رجليك يا «عبد الله».
- ربنا يخليكي، بس علشان خاطري سامحيني.
- أنا حذرتك من كل ده، قلت لك اللي بتعمله ده ممكن يضرك، وأهه كلامي حصل ومخك ما استحملش.
شعر بالدموع تنساب على وجنتيه:
- يا ريت كان ده السبب.. اللي حصل حصل يا «تهاني».
فقامت واحتضنته وهي تبكي:
- ربنا يقومك بالسلامة يا حبيبي، ياااااااااارب.

عادت الغرفة كما كانت، فقام «كريم» من على المقعد ومشاعر شتى تتجول في قلبه وعقله، لم يكن الأمر مجرد طفرة أو صدفة إذًا، كانت مجرد تركة ورثها أبوه عن جده حتى وصلت إليه هو، وريث، هو مجرد وريث ورث عن أبيه أموالاً وورث عنه لعنة، لا يعلم إلى أين ستوصله!

أخذ يتراجع بظهره إلى خارج الغرفة ليرتطم بجسد، فالتفت فزعا ليجدها والدته قد أتت من الخارج.

- مالك يا ابني؟ فيك إيه؟

- أبويا وجدي.. الاتنين يا أمي..

التفتت إلى داخل الغرفة، فوجدت المقص ملقى على الأرض وكرسي زوجها الراحل قد تحرك قليلاً وكأنما قد فهمت، نظرت إلى ابنها بأسى وخوف:

- انت وصلت للمرحلة دي؟

- مرحلة إيه يا أمي؟

غالبت دموعها:

- انت بتعرف الحاجة من اللمس دلوقتي؟

بدهشة لم يخفِها هتف بها:

- هو انتي كنتي عارفة إني هوصل لكده؟!

- كنت بكدِّب نفسي، قولت لك قبل كده انسى حكاية الأحلام دي، ما سمعتش كلامي وبكرة يحصلك زي ما حصل لأبوك.

هتفت بها وهي تشير إلى الكرسي المتحرك، وخرجت عباراتها ممزوجة بالبكاء والخوف، فضمها إليه وأخذ يربت على ظهرها ويقدم لها وعودا كاذبة بالتخلي عن كل قدراته، وبعد أن هدَّأ روعها وجلست تحدثه عن كل ما تعرفه عن قدرات والده الراحل، وما سمعته منه عمّا كان يستطيع جده فعله، قامت ودخلت غرفتها، وقام هو أيضًا إلى غرفته.

على الرغم من الرعب الذي سيطر عليه من فكرة أن يحصل له كوالده ويقضي بقية حياته على كرسي متحرك، فإن القدرة الجديدة في معرفة ذاكرة الأشياء قد شغلته قليلا.. نظر حوله في الغرفة فوجد كوبا من المياه، مد يده ولمسه فلم يحدث شيء، أخذ يلمس الأشياء المتناثرة في غرفته فلم تأتِه أي رؤى جديدة، عاد مرة أخرى إلى غرفة المقتنيات وأخذ ينظر إلى مقص جده الراحل ثم اقترب منه وبحذر مد يده والتقطه.

أغمض عينيه بشدة منتظرًا التيار الذي شعر به من قبل فلم يحدث أي شيء، أخذ يمسك مقتنيات والده ويجلس على كرسيه المتحرك.. حتى أيقن أن تلك القدرة كانت وقتية ولم يعد يملكها.

بخطى ثقيلة غادر غرفة والده حتى وصل إلى غرفته، وجلس يفكر في المصيرين اللذين ينتظرانه: إما الشلل، وإما الموت على يد قاتل مجهول.

ويالهما من مصيرين!!

obeikan.com

Overload

اكتظت صالة الشقة ببعض الأقارب والجيران يواسون والدة «كريم» التي جلست تبكي وبجانبها جلست «تقى» تربت على ظهرها ودموعها تترقرق في عينيها هي الأخرى، في حين وقف أمامهم ضابط شرطة في صمت احترامًا لحزنهم قبل أن يقول بلهجة ودية:

- معلش يا أمي: أنا مقدر حزنك، بس لازم نكمل الإجراءات.

كفكفت الأم دموعها ثم نظرت إلى الضابط بعينين حمراوين:

- اتفضَّل يا ابني.

- ممكن تحكيلنا إيه اللي حصل؟

- إمبارح كنت عند «تقى» وروحت بتاكسي، ولما جيت البيت لقيت أوضة «كريم» متبهدلة كأن حد كان بيفتشها.

- فيه حاجة كانت ناقصة؟

- الكمبيوتر ما كانش موجود.

- اللاب توب ولا إيه؟

- أبو سلك وشاشة ده يا ابني.

وبعد أن انتهى الضابط من أخذ أقوال والدة «كريم» التفت إلى «تقى» ليسألها:

- وانتي يا آنسة «تقى»، ما تعرفيش حاجة ممكن تفيدنا؟

- أنا كلمته يومها العصر، ومن ساعتها ما كلمنيش تاني.

- ما حسيتيش بأي حاجة غريبة؟

- مش عارفة والله، هو كان عادي يومها، بس قال لي إن عنده شغل مهم.

- طيب هل فيه حد ليه مصلحة في أذية «كريم»؟

صمتت «تقى» كأنها تخشى ما ستقوله:

- مش عارفة، بس هو بقاله فترة مش مظبوط، وكأنه خايف من حاجة.

- حاجة زي إيه؟

- مش عارفة والله.

- طيب فيه أي حاجة تخصه ممكن تبقى خيط نمشي وراه؟

فمدت «تقى» يدها وضمت حقيبة كمبيوتر محمول وهي متوترة:

- لا لا مفيش.

أكمل الضابط التحدث مع «تقى»، وبعيدا عن الجمع وعلى مسافة قريبة في الصالة، كان «كريم» يقف يشاهد ما يحدث من دون أن يستطيع التدخل، مجرد مشاهد لا غير، وتعجب «كريم» من موقف «تقى»؛ فحقيبة الكمبيوتر المحمول التي ضمتها إليها تخصه هو، فلماذا لم تعطِها للضابط؟ وقبل أن يطلق «كريم» لخياله العنان، جاءت مكالمة للضابط فتنحى جانبا يستمع للمتحدث ثم أنهى المكالمة وقال لأحد رفاقه:

- لقوا عربية «كريم» ده على الدائري وفيها دم.

توترت أعصاب «كريم» بشدة، لكنه لما وجد أنه لا شيء يستطيع فعله أخذ يتحرك بعصبية في الصالة، حتى تناهى إلى مسامعه صوت مميز من الشقة المقابلة كأنه صوت مذياع أو تلفاز فاقترب من باب الشقة ينصت إلى الصوت:

«في كلامي هقول ديليسبس.. هي دي كلمة السر.. ديليسبس»..

كان الصوت لفيلم «ناصر ٥٦»، ما يعني أن الأحداث ستكون في فترة الاحتفالات السنوية بتأميم القناة في شهر يوليو!

* * *

انتهت الرؤيا واستيقظ «كريم» على الفور والذعر يملؤه، ومن غير تفكير قام وأحضر جهاز الكمبيوتر المحمول (ماركة أبل) الخاص به وفتحه وبدأ تشغيل تسجيل الفيديو، وأخذ يروي ما رأى.

الرؤى بدأت تاخد منحى جديد، أول مرة أحس بيه، دلوقتي الانتقال مش مجرد الإبصار بعيني في المستقبل أو بعين من تخصه الرؤيا، دلوقتي بشعر بانتقال جسدي كله ومشاهدة كل حاجة بتحصل كأني في وسط الحدث، الرؤيا الأخيرة معناها إنه هيتم قتلي أو اختطافي في فترة الاحتفالات بعيد تأميم قناة السويس، يعني فاضل ٨ شهور، واليوم ده هيكون الكمبيوتر بتاعي بطريقة ما عند «تقى» وهيكون حد فتش الأوضة بتاعتي.. «كريم عبد الله» بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢.

ثم أنهى التسجيل ورجع برأسه إلى الوراء وهو يفكر في الخطر القادم.

شهر مضى والرؤى تأتيه بلا توقف، يوميًّا وكلما أغمض عينيه يراها، وأحيانا في أثناء اليقظة تأتيه، يدخل غرفة ليجد نفسه في مكان آخر وزمن آخر، ويظل عالقًا حتى تنتهي الرؤى، حتى الشيء الذي كان يستطيع التحكم فيه لم يعد تحت سيطرته؛ فقدرته على رؤية غيب الشخص الذي يلمسه كانت بتحكمه، ولا يرى ما يرى إلا إذا أراد ذلك، لكن الأمر تطور حتى أصبح كل من يلمسه - ولو عرضا - تأتيه رؤى عشوائية بشكل متداخل ومفزع، حتى شعر أن رأسه على وشك الانفجار، حتى اهتدى لفكرة أن يرتدي قفازين طوال الوقت، ما أثار علامات التعجب والاستغراب عند زملائه وخطيبته نفسها.

- مالك يا «كريم»؟

تقولها «تقى» برقة بعدما لاحظت تغير أحواله عما سبق.
- مفيش يا «تقى».
- لأ حاسة إنك متغير، ثم إيه كمان موضوع الجوانتي ده؟ (تشير إلى القفازين).
- أنا بس إيدي ملتهبة شوية؛ فلبست جوانتي علشان أغلب الوقت ببقى حاطط مرهم.
- طيب عيني في عينك كده؟
يبتسم ويغير دفة الحديث حتى لا تستمر في استجوابه؛ فعلى الرغم مما يعانيه فإنه أمامها كالطفل الصغير، والوقت الوحيد الذي لا يحزن فيه هو الوقت الذي يحادثها خلاله، وبعد أن انتهى لقاؤه معها ودَّعها وأهلها واستأذن وانصرف، وقبل أن ينطلق بسيارته لم يمنع نفسه من الابتسام وهو يتذكر ما فعله في «حازم حديدة» الذي اختفى من حينها، ولا أحد يعلم سبب احتجازه أو ما يحدث له الآن.
كانت الشمس لا تزال في كبد السماء، واليوم السبت يوم إجازته، ولم يدرِ إلى أين يذهب، لكنه في آخر الأمر قرر أن يذهب إلى البيت ليستريح قليلاً وفي المساء يجلس مع أصدقائه القدامى، فأدار سيارته في طريق المنزل، لكنه ما إن دخل أحد الشوارع الجانبية حتى وجد الجو ليلاً، وهو في مكان غريب وسيارة أخرى يجلس هو بجانب سائقها الذي لم يستطع تمييز وجهه وإن شعر نحوه بالود وأنه صديق لا عدو، فجلس يشاهد الطريق الغريب الذي تسير فيه السيارة.
كان الطريق خاليا من المباني كأنها منطقة غير مأهولة أو سكنية، وظلت السيارة تسير حتى تراءى لـ«كريم» مبنى من بعيد كأنه مخزن، وما إن اقتربت السيارة من المبنى حتى توقفت السيارة على مسافة منه، وسائق السيارة يشير للمبنى وهو يقول بلهجة متوترة:
- هما مخبيينها هنا يا «كريم»؟
وفجأة اختفت السيارة وقائدها والمكان كله ليجد «كريم» نفسه أمام المنزل وقد ركن سيارته، لا يعلم كيف قاد السيارة في أثناء الرؤيا من دون أن يصطدم بأي شيء، كأن عقله مبرمَج على ما يفعله، لكنه فض هذا كله وعقله يشتعل بالأسئلة: مَن ذاك الرجل الذي كان بجواره؟ وما ذلك المخزن؟ وماذا خُبِّئ فيه؟!

* * *

أبريل ٢٠٠٨

قدراتي تطورت بشكل عجيب جدًا، الأول كنت بقدر أشوف الرؤى عن طريق لمس الأشخاص أو الأحلام في النوم واليقظة، لكن من أسبوع بدأت تظهر عندي قدرة تانية، وهي معرفة تاريخ وكل حدث مر أمام أي جماد بمجرد لمسه، القدرة كانت ظهرت عندي يوم واحد بس واختفت، لكن

رجعت لي تاني وبشكل دائم، أنا هسمي القدرة دي «ذاكرة الأشياء»، أتمنى إنها تقدر توصلني للخطر القادم.. «كريم عبد الله»، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٧.

ثم أنهى التسجيل، ومد يده يلمس كوب المياه الموضوع أمامه وهو يرى في رؤى متقطعة ما مر أمام الكوب من أول صنعه حتى ما كان يفعله «كريم» نفسه أمامه.

* * *

مايو ٢٠٠٨

يا رب، أنا دماغي هتنفجر، كل حاجة بلمسها بتخليني أشوف رؤى عنها، كل حاجة حتى هدومي، أصوات بسمعها دايما كأنها شياطين، ما بقيتش عارف أركز في حاجة ولا أعمل حاجة، ولحد دلوقتي ما قدرتش أعرف أي حاجة عن اللي هيحصل في الشهر الجاي غير الرؤى نفسها اللي بتجيلي.. «كريم عبد الله»، بتاريخ ٢٠٠٨/٦/١٢.

ثم أنهى التسجيل وأخذ يضرب رأسه في الطاولة وهو يصرخ بشكل هستيري:

- يا رب يا رب.

فاقتحمت والدته غرفته واحتضنته وهي تبكي؛ فهي الوحيدة التي كانت تعلم كل ما يمر به؛ فرفع رأسه إليها وهو يبكي:

- أنا هتجنن خلاص يا أمي.

- معلش يا حبيبي، فترة وهتروح.

- يا أمي أنا ما بقيتش قادر ألمس حاجة، ده حتى الحمام بقى دخوله عذاب، أنا مش قادر أفهم بس بجد أنا بنهار، دايما بسمع أصوات، دايما بشوف حاجات.

ثم أمسك يد أمه بشدة وهو ينظر إليها بعينين حمراوين من تأثير الدموع وقلة النوم:

- قوليلي يا أمي، هو والدي حصل له كده؟

- أنا قلت لك كل حاجة عن أبوك يا «كريم»، وحذرتك مية مرة وانت اللي ما سمعتش الكلام، وآدي اللي كنت خايفة منه بدأ يحصل لك.

ثم ضمته مرة أخرى وهي تمسح على شعره تهدئة وهي تغالب دموعها:

- قدر ربنا مفيش مهرب منه يا «كريم».

- طيب واللي أنا بشوفه هيحصل في المستقبل ده يا أمي، أعمل فيه إيه؟

- المستقبل بإيد ربنا، مفيش حاجة هتضرك غير اللي ربنا رايدها.

رنّ هاتف المنزل فربتت أمه على كتفه وانصرفت لترى من المتصل، وظل «كريم» واقفا مكانه لحظات ثم ألقى بجسده على السرير وهو يشوِّح بيده من اليأس، وما كاد يفعل حتى انكسرت

مرآة التسريحة فجأة كأن شيئًا قد اصطدم بها، فوقف «كريم» يحدق بها وهو لا يميز هل ما يراه مجرد رؤيا أخرى أم حقيقة؛ فقد اختلط كل شيء في عقله.

سمع وقع خطوات سريعة قادمة إلى الحجرة فإذا هي والدته التي ظلت تحدق في المرآة المحطمة:

- ليه يا ابني كده بس؟ اللي بتعمله ده عمره ما هيحل حاجة والله.

لم يرد عليها «كريم» على الفور وظل يتطلع إلى المرآة المحطمة والزجاج المتناثر بدهشة قبل أن يلتفت إلى والدته بنظرة ذاهلة:

- أنا ما كسرتش حاجة يا أمي، ما كسرتش حاجة.

بعدها جلس وحيدًا يفكر، حادث آخر يضاف إلى قائمة الأشياء الغريبة التي تحدث له، ظل يفكر كثيراً في المرآة التي تحطمت وهو يسأل نفسه: هل يمكن أن يكون الحال وصل به إلى أن يكون قد حطم المرآة بنفسه ولا يتذكر؟ هل أوشك عقله على بلوغ مرحلة الجنون؟ هو نفسه لا يدري هل ما يعيشه الآن واقع أم مجرد رؤيا مطولة، أم تُراه يحلم وسيستيقظ ليجد نفسه في السابعة عشرة من عمره عندما بدأ كل ذلك.

كان مستلقيا على ظهره يتطلع إلى سقف الغرفة وهو يفكر، وفي لحظة واحدة تغير المشهد ليجد كأن هناك كيسا بلاستيكيا يغطي جسده ورأسه وكأنه راقد على منضدة معدنية، لم يملك حتى تحريك ذراعيه، فقد كانت الرؤيا بعينيه أو بعيني شخص آخر في وقت آخر، لم يعد يستطيع التميز، تغيرت مشاعره وأحس بذعر لا مثيل له، أنفاسه مكتومة ودقات قلبه تتسارع كأن الموت نفسه يقف أمامه بمنجله، تناهى إلى مسامعه صوت إغلاق باب، ثم رأى كأنه يحرك يديه ويزيح الكيس من على وجهه ويحاول النهوض، بحركة متوترة عدل ظهره ليجد أمامه - على الضوء الخافت - غرفة مليئة بمناضد عدة كلها مغطاة بأكياس بلاستيكية ترقد تحتها جثث أخرى، حاول إنزال قدميه ببطء؛ فتعثر وسقط على جانب المنضدة وسقط بجانبه شيء آخر من على المنضدة المجاورة، فالتفت ليجد شخصًا ميتًا له نصف رأس مقطوع رأسيا، وقد اختفى مخه.

اختفت الرؤيا، فقام «كريم» يصرخ من الفزع، ثم ركض إلى الحمام وأفرغ ما بمعدته وشعر بغثيان قاتل يحرك معدته مما رآه، وأتت أمه تسعى إليه عندما سمعت صوته وهو يتقيأ.

- فيه إيه يا ابني؟

التفت إليها بعينين حمراوين، ولم يرد، فأعقبت جملتها بأخرى وقد فهمت ما حدث:

- كابوس ولا...؟

مر بجانبها باتجاه غرفته وهو يتمتم:

- مش عارف يا أمي، ما بقيتش عارف أي حاجة.

* * *

في اليوم التالي كان موعده مع «تقى» وأسرتها حتى يختاروا الشبكة؛ فقد تم تحديد وقت الشبكة وكتب الكتاب في الشهر المقبل، ووافق هو على الرغم من مخاوفه من الخطر الذي قد يحدث، جهز نفسه وارتدى القفازين وجلس في الردهة بانتظار والدته، وهو يتناسى الأصوات الخافتة التي يسمعها والتي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من يومه، وظل هكذا حتى خرجت والدته التي ما إن رأت القفازين حتى مطت شفتيها امتعاضا:

- شيل الجوانتي ده يا «كريم»، شكلك كده مش كويس.

أخذ يتطلع إلى يده بحيرة:

- سامحيني يا أمي، شكلي يبقى وحش أحسن من إني أفضل أشوف تاريخ كل حاجة ألمسها، والله أعلم هتصرف إزاي قدام «تقى» وأهلها.

- طيب ودقنك يا «كريم»؟ كنت احلقها على الأقل بدل ما شكلك عامل زي أهل الكهف كده.

- يا ستي اعتبريني بقيت سلفي وكبري دماغك.

- خلاص يا حبيبي اللي يريحك.

ثم انطلقا إلى أسرة «تقى» حتى يذهبوا معًا، وما إن مرَّ على أسرتها ذهب بهم مباشرة إلى محل الصائغ، ولما لم يجد أي مكان بجانب المحل لكي يضع سيارته أمامه أنزل والدته و«تقى» وأسرتها أمامه، ثم دار بالسيارة وأوقفها على الجانب الآخر، وذهب إليهم في محل الصائغ:

* * *

- هاه.. إيه رأيك يا «كريم» يا ابني في السلسلة دي؟

قالتها والدة «تقى» وهي تنتقي من بين مجموعة المجوهرات التي أحضرها لهم الصائغ، فرسم «كريم» ابتسامة مصطنعة وهو يتأمل السلسلة:

- جميلة جدًا يا طنط، بس الأهم رأى «تقى» مش أنا.

كانت «تقى» تتطلع إلى «كريم» بقلق وخوف عليه، فجذبت «كريم» من يده وتنحت به جانبا وهي تسأله بود وحنان:

- «كريم»، مالك يا «كريم»؟ متغير أوي..

- مفيش يا حبيبتي والله، أنا بس تعبان شوية.

- طيب صارحني، حد من أهلي دايقك؟

- يا نهار أبيض!! هو أهل القمر ده ممكن يزعلوا حد؟!

- طيب إيه بقى؟!

قالتها بدلال أجبره على الابتسام.

- خلاص والله أوعدك إني هبقى كويس، يلا بقى شوفي الشبكة يا سكر.

- ماشي يا.. حبيبي.
كانت أول مرة تقول له صراحة: «حبيبي»، فانتفض قلبه فرحًا ونسي كل شيء، وقبل أن تذهب إلى والدتها استوقفها وعيناه تضحكان ربما لأول مرة منذ شهور:
- تعالي هنا، انتي قلتي لي ماشي يا إيه؟!
- لا خلاص هي بتطلع مرة واحدة، بس لو رجعت «كريم» اللي عرفته هتسمعها تاني.
ثم اتجهت إلى والدتها تكمل انتقاء الشبكة، وتركت «كريم» وهو يتأملها وعيناه تهتفان بحبها، ولما انتهوا ودفع ثمن الشبكة للصائغ واستعدوا للرحيل، قال وهو يسبقهم في الخطى:
- ثواني.. ألف بالعربية وآجي آخدكم من قدام المحل.
فقالت له والدة «تقى» ضاحكة:
- ليه يا ابني هو إحنا عواجيز أوي كده؟! دول كام متر نعديهم وخلاص.
- بس أنا خايف عليكم من العربيات.
- علينا برضه ولا على «تقى».
قالتها وهي تغمز له مبتسمة، قابلها بابتسامة مثلها:
- عليكم كلكم طبعا.
ثم انطلق مسرعا إلى الجانب الآخر ليفتح السيارة، فرأى والدته و«تقى» ووالدتها يعبرون الطريق، فعبرت والدته ووالدتها وقبل أن تكمل «تقى» العبور انكسر كعب حذائها فتوقفت للحظة فيما كانت هناك سيارة تعبر الطريق بسرعة باتجاه «تقى» حتى أصبح الاصطدام وشيكا.
اتسعت عينا «كريم» من الفزع خوفًا عليها، أراد أن يتحرك فشعر كأنه مثبت إلى الأرض وعقله يعجز عن التفكير، وحتى لو تحرك لما وصل في الوقت المناسب، ولو توقفت السيارة لكان الارتطام سيحدث؛ فالمسافة بينها وبين «تقى» قريبة جدًا، كاد قلبه يخرج من صدره من شدة دقاته، وشعور العجز أثقل كاهله وكل هذا فيما لا يتجاوز جزءا من الثانية، للحظة خُيل إليه أن كل شيء يسير ببطء شديد وكأن المشهد أمامه يُعرض على شاشة لقطةً لقطة، ولم يملك إلا أن يمد يده وهو يصرخ باسمها:
- «تقى».
خلايا مخه تعتصر وتصرخ وقلبه يتواثب وجسده يرتجف، وكأن روحه تفارق جسده، وكطلقة مدفع أحس بشيء غير مرئي يندفع من خلال أصابعه الممدودة باتجاه «تقى»، لا يدري ما حدث وكيف حدث، لكنه وقبل أن ترتطم بها السيارة، شاهد جسد «تقى» يطير من مكانه إلى الوراء لعدة أمتار حتى ارتطم ظهرها بالحائط المجاور لمحل الصائغ، وكأن شيئًا قويًا قد حملها من مكانها.
فهرع من مكانه هو ووالدته ووالدة «تقى» باتجاهها ليطمئنوا عليها، فجلس وأقامها من مكانها وهو يتغاضى عن الألم الشديد الذي تصرخ به خلايا مخه:
- انتي كويسة يا حبيبتي؟!

قامت «تقى» وهي تبكي من الصدمة غير مستوعبة ما حدث، ثم أشارت إلى المكان الذي كانت واقفة فيه:

- أنا كنت هناك وفجأة حاجة ضربتني وخليتني هنا.. هو إيه اللي حصل؟!

ربت على يدها بحنان، وتدخلت والدة «كريم» بسرعة في الحوار وهي تنظر إلى ابنها بطرف عينيها.

- يا حبيبتي ده ربنا بيحبك، وهو اللي أنقذك، لولا اللي حصل كانت العربية، لا قدر الله، خبطتك.

فتحاملت على والدتها ووالدة «كريم» وقد قالت تطمئن أمها التي انهمرت دموعها:

- الحمد لله، الحمد لله، أنا كويسة يا أمي والله.

- «كريم»، إيه ده؟ مالك؟!

أشارت إلى أنف «كريم» بقلق وأحس هو بشيء دافئ يسير من أنفه على فمه.. فمد يده يتحسسه، وإذا بالدماء تنهمر بشكل غزير، فمسحه بسرعة كاتمًا شعورًا بالدهشة مما حدث، ورسم ابتسامة متكلفة قبل أن يشير لهم:

- خليكوا هنا بقى، أنا هلف بالعربية وآجي آخدكم.

دقيقتان وكان يقف أمامهم بالسيارة، وبعد أن ركبوا جميعا..

- قبل ما نروح لازم نعدي على دكتور علشان نطمن على «تقى».

- أنا كويسة يا «كريم».

- يا حبيبتي مش هينفع، لازم نطمّن عليكي الأول.

ثم التفت إلى حماته الجالسة في المقعد الخلفي؛ فهزت رأسها موافقة إياه، فانطلق بالسيارة على الفور وعقله مشغول بما حدث منذ قليل ويدعو الله ألا تأتيه إحدى الرؤى في أثناء القيادة..

* * *

١٧ مايو ٢٠٠٨

خمس دقائق ظل «كريم» جالسا فيها وهو يرتدي ملابسه الداخلية فقط ويربع قدميه كجلسة اليوجا، ويثبت نظره إلى الأمام من دون حراك ثم مد يده باتجاه الكوب الزجاجي الفارغ الموضوع على مسافة مترين أمامه، وظل ينظر إلى الكوب ويهز يده بحركة متوترة، ثم أنزل يده وهو يهتف بحنق:

- أستغفر الله العظيم، مش عايزة تشتغل ليه بس؟!

كان الحادث الأخير الذي آمن أنه هو من دفع «تقى» من مكانها يشغل جل تفكيره، حتى تناسى الأصوات التي يسمعها على الرغم من شدة وطأتها عليه، فقام بتسجيل فيديو عمَّا حدث كما اعتاد منذ فترة، وظل يحاول تحريك أي شيء من حينها، ولمدة عدة أيام أن يفعلها مرة أخرى، وأن

يتحكم في تلك القدرة الجديدة، لكن دون جدوى.
رفع يده مرة أخرى ببطء باتجاه الكوب وهو يضيق عينيه ويحرك أصابعه بنفس الرعشة المتوترة، لعله يستطيع تحريكه، وظل يحاول ويحاول ويضيق عينيه أكثر ويعتصر خلايا مخه.
- يا حلاوة أمك.
انتفض من مكانه عندما أتاه صوت والدته من عند الباب وهي تنظر إليه وتضحك:
- بتعمل إيه يا أهبل؟!
- يا أمي انتي شوفتي أنا عملت إيه لما العربية كانت هتخبط «تقى»؟!
- أيوه شوفت، بس شوفت كمان اللي حصل لك وشوفت شكلك كان عامل إزاي.
- بس مع الوقت هقدر أتحكم فيها.
- هو انت قدرت تتحكم في الأصوات اللي بتسمعها؟
أطرق برأسه في حزن قبل أن يرفع رأسه مرة أخرى ويقول بنبرة يأس:
- لا يا أمي.
- يبقى تنسى كل ده وتتنيل تقوم علشان الساعة ٨، والمفروض تروح الشغل.
ثم اقتربت منه ولطمته على رأسه مداعبة:
- قوم يا أهبل يلا.
فقام من مكانه مقبلا يديها:
- تسلم إيدك يا ست الكل، هلبس وامشي حالا.
- أحضَّر لك الفطار؟!
- لا، ربنا يكرمك، ماليش نفس.
- طيب يلا قوم.
تركته والدته حتى يستعد للذهاب للعمل، وما إن تأكد أنها قد ذهبت حتى جلس مرة أخرى في الوضعية نفسها، وضيَّق عينيه ومد يده إلى الكوب ففاجأه صوت والدته من خارج الغرفة:
- يا أهبل.. أنا لسه هنا.
فقام من مكانه منتفضا:
- يا دي النيلة.. هلبس أهه.
ارتدى ملابسه على عجل وخرج من منزله متوجها إلى عمله الذي ما إن وصل إليه حتى دخل مباشرة إلى مكتبه وهو يلقي التحية على من يقابله، وجلس على مقعده، فنظرت إليه زميلته «هايدي» بقلق؛ فقد تغيرت أحواله منذ فترة بطريقة ملحوظة للجميع ولم يعد ذلك الزميل المرح الذي كان يملأ أصداء المكان بضحكاته دائما.
اقتربت منه ومالت نحوه حتى لامس شعرها المنسدل جانب وجهه وتسلل عبق عطرها إلى أنفه:
- شكلك النهارده أحسن يا «كريم».

فأدار وجهه ناحيتها مبتسما:
- الحمد لله يا «هايدي».
- يا ابني البت دي شكلها فقر عليك والله.
- لا والله يا «هايدي» هي مالهاش ذنب، المشكلة تانية خالص.
- طيب إيه المشكلة؟!
- مش هقدر أشرحها فعلا، كان نفسي أقول لك ادعي لي، بس بالشباك اللي انتي فاتحاه قدام ده مش هينفع.
فضمت ملابسها حتى تغطي فتحة صدرها، ومالت نحوه مرة أخرى.
- يا «هايدي» الله يكرمك أنا لسه ما اتجوزتش، ومش بستحمل اللي بتعمليه فيَّ ده.
- يا سلام، ما أنا طول عمري قدامك، إيه اللي جد يعني؟!
- معلش، أصل الواحد كل ما بيتأخر في الجواز أعصابه بتسيب أكتر.
ثم لملم بعض التقارير ليقدمها إلى المدير العام وقام وغمز بعينه لها قائلا:
- المهم، اتطلقتي من جوزك ولا لسه؟
- بدأت أفكر في موضوع سم الفيران اللي قلت لي عليه.
فأشار لها وهو يضم يده ويرفع الإبهام بعلامة الإعجاب:
- Go on.
وصل إلى غرفة المدير العام وطرق الباب، ودخل عندما أذن له الأخير، فقدم له التقارير المطلوبة وظل يناقشه فيها ساعة من الزمن.. وما إن انتهى حتى استأذن في الانصراف، لكن المدير استوقفه:
- على فكرة يا «كريم»، انت مش عاجبني نهائي بقالك فترة.
فرد عليه متسائلا:
- هو أنا قصرت في الشغل يا مستر «مظهر».
- لحد دلوقتي لأ، بس تركيزك قل وشكلك مرهق جدًا كأنك مش بتنام.
- يعني شوية تعب وهيروحوا بإذن الله.
- تحب تاخد كام يوم إجازة؟
- لا يا أفندم مش مستاهلة.. بعد إذنك.
- اتفضَّل يا «كريم».
قبل أن يخرج من الباب التفت إلى مديره وقد تذكر أمرا:
- صحيح يا أفندم، هي سفرية تركيا لسه الأسبوع الجاي ولا اتأجلت؟
- هي الأسبوع الجاي بس مش هتطلعها، أنا وعصام اللي هنروح.
- ليه يا أفندم؟ ده المفروض أنا اللي أروح.
- معلش يا «كريم» انت مش في المود بقالك فترة، انت عارف أنا بعزك أد إيه بس الشغل أولى من

أي حاجة.
- اللي تشوفه حضرتك.
وخرج من الغرفة والشركة كلها والغضب يعتريه واستقل سيارته وذهب ليقل «تقى» من الجامعة حتى بيتها، ولما وصل إلى الجامعة هاتفها ليعلمها أنه في انتظارها، ثم أراح ظهره على مقعد السيارة مغمضا عينيه حتى تأتي.
مرت على خاطره تلك الرؤيا الظلامية والخطر القادم الذي سيأتي في أقل من شهرين فأخذ يتذكرها وهو يحاول أن يستوعب أي شيء يدله على السبب الذي سيوصله إلى هذا الحال فلم يستطع، وبينما هو على حاله هذا انتفض على طرقات خفيفة على زجاج السيارة، فإذا هي «تقى» التي وصلت وفتحت باب السيارة وجلست بجانبه.
- إزيك يا «كريم».
التفت إليها مبتسما:
- إزيك انتي يا حبيبتي.
- حبيبتي، حبيبتي.. الكلمة لما بتتقال كتير بتفقد معناها.
- طيب أعمل إيه إذا كان قلبي بيقولها طول الوقت؟!
- ماشي يا مثبتني.
- المهم انتي عاملة إيه دلوقتي.
- الحمد لله، بس ضهري واجعني من ساعتها، أنا من وقتها وأنا بفكر في اللي حصل، عارف يا «كريم» أنا بجد حسيت كأن حاجة خبطتني جامد كأنها بتشيلني من قدام العربية.
- أكيد ربنا عمل كده علشان بيحبك، هو لما قمر زيك عربية تخبطه أمال الخناشير اللي زيي يحصل لهم إيه؟ يخبطهم قطر.
- بعد الشر عنك يا رب، هاه لسه الدم بينزل من مناخيرك؟
- لا الحمد لله، وكشفت وطلعت حاجة عادية سببها خوفي عليكي بس.
- ألف سلامة عليك.. يلا بقى علشان ما نتأخرش.
وما إن وصل إلى أمام بيتها حتى أوقف السيارة ونزلت وهي تودعه:
- سلام يا حبيبي.
- يا نهار أبيض، دي تاني مرة تقوليها.
- ما تتعودش على كده.
- كلها شهر يا حبيبتي وهسمعها على طول.
- قول يا رب.
ثم لوَّحت بيدها مودعة وانطلقت تصعد درجات السلم، وانتظر هو حتى اختفت فعاد إلى وضعية القيادة ليجد أن المشهد قد تبدل إلى الرؤيا الظلامية للحظة من الزمن قبل أن يعود المشهد

الطبيعي فوضع يده على وجهه من التوتر:
- يا رب استر يا رب.
ثم أدار السيارة وانطلق بسرعة لعله يصل إلى بيته قبل أن تعود الرؤيا مرة أخرى في الطريق، شارعا تلو الآخر عبرها بسرعة جنونية، وهاهو يفصله بينه وبين منزله ثلاثة شوارع وفجأة اختفى الشارع واختفت السيارة.
رأى نفسه مقيدًا إلى منضدة تشريح وبجانبه شخص لم يستطِع التعرف على وجهه، فوقف «كريم» يتأمل الحجرة، فوجدها تمتلئ بأجهزة غريبة، وبجانب جسده المقيد أجهزة تخرج منها أقطاب موصلة إلى مختلف أجزاء جسده، وبجانب رأسه أيضا، وفي آخر السرير وقف عدة أشخاص آخرين يرتدون معاطف طبية وكمامات تغطى نصف وجوههم وهم يراجعون الأجهزة للتأكد من عملها قبل أن يرفع أحدهم رأسه، وأشار إلى الرجل الواقف بجانب رأس «كريم» المقيد، فأحضر الرجل منشارا طبيا واتجه إلى رأس «كريم» وقال له شيئًا لم يستطع تمييزه ثم بدأ في نشر جبهة «كريم» الذي ظل يصرخ بشدة.
كالعادة لم يستطع التدخل لمنع ما يحدث وشعر بنفس الألم الذي يشعر به في الرؤيا، وظل يصرخ هو الآخر من الألم وقد رأى كأن الدماء تسيل من رأسه المجروح وتغطي وجهه، فترك مقود السيارة وأمسك جبهته من الألم الذي يشعر به.
اختفت الرؤيا فجأة ليجد أن السيارة تترنح وتتجه نحو أحد أعمدة الإنارة بسرعتها الجنونية فأمسك مقود السيارة وأدارها بعنف حتى يتحاشى الارتطام، فصرخت عجلات السيارة وانقلبت رأسا على عقب عندما ارتطمت بحجر الرصيف.
سال الدم من رأسه فعليًّا وأحس بألم يضغط على صدره بفعل ارتطامه بمقود السيارة، فحاول دفع باب السيارة بقدمه، لكنه رأى أيدي بعض الناس الذين تجمهروا أمام السيارة تمتد لتخلع الباب وتخرج «كريم» من داخلها، وبدأت الأيادي تجذبه من مكانه فبدأت الأصوات والرؤى المختلفة الخاصة بكل من يلمسه تندفع إلى رأسه بشدة.
رقد «كريم» خارج السيارة والناس حوله وكل شخص يحاول أن يمسكه ليرى ما به وبكل لمسة تأتيه رؤيا.
- ما حدش يلمسني، أرجوكم كفاية.
ضاع صوته وسط الضوضاء وما زال الجمع يمسك به، ومن شدة الرؤى والأصوات صرخت خلايا عقله بشدة وألم.. فظل يصرخ بهم ألا يلمسه أحد، لكن دون جدوى، فأمسك برأسه من الألم وضم جسده في وضعية الجنين وهو ما زال مُلقى على الأرض، ارتجت خلايا مخه وصرخت فصرخ هو صرخة أخيرة كأنها خرجت من أعماقه:
- كفاااااااااااية.

وفجأة تحطم زجاج المحال المجاورة بدوي شديد، وتناثر حتى جرح الكثير من الناس، بينما انفجرت نافورة دم من أنفه وسال الدم بشدة على فمه وعلى الأرض وجسده ينتفض انتفاضة عصفور مذبوح قبل أن يستكين عقله وجسده ويسقط رأسه على الأرض مغشيًّا عليه.

obeikan.com

obeikan.com

الـفقدان

لم يعلم كم مضى من الوقت وهو غائب عن الوعي، فتح عينيه للحظات فلم يرَ إلا أشباح أناس يحيطون به، رؤية ضبابية مشوشة، صراخ هنا وهناك.

- فين الإسعاف؟ الراجل بينزف بقاله ساعتين.

ما زال على الأرض إذًا، يتفحصه البعض طوال الوقت ليتأكدوا أنه ما زال على قيد الحياة، الأصوات التي في رأسه اختفت وكأن خلايا مخه ترقد في سبات عميق، ثم أغلق عينيه وفقد الوعي مرة أخرى.

يفتح عينيه ليجد أن بعض المسعفين يحملونه إلى سيارة الإسعاف، يغلقهما ويفتحهما مجددًا ليجد أنه يرقد على سرير يدفعه بعض الممرضين والأطباء، ووجهه صوب سقف الممر يطالع الأضواء، يغمض عينيه مرة أخرى ويفتحهما ليجد أنه يرقد على سرير في غرفة طبية وأقطاب موصلة في يده وعنقه وأمامه تلفاز مفتوح على إحدى قنوات «التوك شو» والمذيعة تتحدث عما حدث من انفجار لزجاج المحلات:

- وردنا خبر الآن أن بعض الجماعات التكفيرية قد قامت بعملية إرهابية وفجَّرت عدة محلات في أحد شوارع المهندسين.

لم يسمع «كريم» ما قالته بعد ذلك، فقد أغلق عينيه وغاب عن الوعي ليجد نفسه في مكان لا يعرف ماهيته، لا نور ولا ظلام.. كأنه أصبح عالقا في العدم..

أسبوع كامل مر عليه وجسده كما هو مسجى بلا حراك، لم تفارقه والدته لحظة، على الرغم من إلحاح بعض أصدقائه عليها أن تذهب إلى البيت لتستريح ويرافقوه هم مكانها، «تقى» تأتي يوميا لتجلس بجانبه تقرأ القرآن وتدعو له وتنصرف في آخر اليوم وتأتي في اليوم التالي، كان الانهيار والحزن قد بلغا منها مبلغهما، خاصة أن كلام الطبيب لم يُرح صدريهما.

- Coma.

في اليوم السابع دخل طبيبان وأحدهما يتفحص «كريم» بشكل روتيني، ثم مال على رفيقه لينطق بتلك الكلمة التي لم تفهمها والدة «كريم»، لكنها انزعجت عندما رأت تعبيرات الصدمة وقد ظهرت على وجه «تقى» حينما سمعت الكلمة فسارعت إلى الطبيب وهي تمسك بيده وتبكي وتسأله عن حالة ابنها فربت الطبيب على يدها بحنان وهو يقول:

- غيبوبة يا حاجَّة.

- غيبوبة؟! يعني هيخف إمتى؟!

تذكرت زوجها وما حدث معه من قبل فور سماعها كلمة غيبوبة، اضطربت نبضات قلبها والخيالات تراودها أن الكابوس يتكرر والماضي الأليم يعود، لكنه اليوم قد يتلبس ولدها الوحيد، طردت الهواجس التي هاجمت رأسها وتمسكت بأمل أن يجيبها الطبيب بكلمات تزيل كل شكوكها، إلا أن رد الطبيب جاء كالصاعقة ليدمر ما بقي عندها من تماسك.

- الله أعلم يا حاجَّة، الغيبوبة ممكن تقعد شهر وممكن تقعد سنة.. الله أعلم.

مادت بها الأرض فارتمت على الكرسي الصغير المجاور للسرير الطبي الذي يرقد عليه ابنها وهي تبكي و«تقى» تحتضنها بعدما تركت المصحف من يديها، وهي تشعر بألم يعتصر قلبها، ظلت «تقى» تواسي والدة خطيبها وتخبرها بأن كلام الأطباء لا يصيب كل مرة وأن الأمر بيد الله، تواسيها وهي تتمنى أن تجد من يواسيها هي، حتى انقضت ساعتان فسمعت صوت حركة من فراش «كريم»، فالتفتت إليه ووجدت أن رموشه تتحرك بسرعة ويده اليمنى تنتفض انتفاضة خفيفة، فأشارت إليه لتنبه والدته:

- «كريم».. شوفي.

فقامت والدته تتحسسه، في حين أسرعت «تقى» تستدعي الطبيب ليرى ما يحدث، أما «كريم» فقد كان في عالم آخر.

* * *

كان كما هو في العدم، مكان بلا نور أو ظلام، جسده يتحرك من دون أن يحركه، كأنه يرقد على سطح مياه تحركه أمواجها أو كأنه يطفو في فضاء سحيق، حي بلا حياة وميت بلا موت، لم يشعر بأي وقت يمر كأنه في مكان لا وجود للزمن فيه، وفجأة أرعدت السماء بصوت كاد يُخرج روحه من مكمنها وأبرقت بضوء كادت عيناه تحترقان من شدته، فأغمض عينيه وسد أذنيه للحظات حتى اختفى الصوت ففتح عينيه ثانية ورفع كفيه عن رأسه ليجد أن المكان تبدل إلى مكان رآه من قبل، كان في وسط أرض جرداء لا نهاية لها، سماؤها تبكي أنهارا والبرق يشق السماء بدوي مخيف بين اللحظة والأخرى، وفي وسط المكان من بعيد رآه، رأى من بعيد رجلا ملامحه غير واضحة وقد عطف على وضع شاهد قبر بجانب قبر آخر قبل أن ينهمك في الحفر أمام الشاهد الجديد، نفس الرجل الذي رآه «كريم» قبل أن يموت والده، بحذر وخوف وملابس ووجه أغرقتها السماء بمائها اقترب من الرجل ليسأله بصوت مرتعد:

- كده أنا هموت؟

لم يجبه الرجل وظل يكمل الحفر كأنه لم يسمعه، فالتفت «كريم» إلى قبر والده يتأمله بحزن قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى الكائن الذي يحفر القبر بلا اكتراث كأنه يقف وحده.

- هموت.. صح؟
وعاد ليطرح أسئلة يعرف أنه لن يجد أي إجابة لها عند الواقف أمامه:
- طيب والأحلام اللي كنت بشوفها معناها إيه؟
توقف الرجل عن الحفر وألقى الشادوف الذي يحفر به ثم التفت إلى «كريم» وتحرك نحوه بسرعة خاطفة ثم اخترق جسده وظل بداخله، فصرخت خلايا جسده ومخه وأحس بشيء يُنتزع من خلاياه كأنه صوف ينتزع من حديد، فجثا بركبتيه على الأرض وأسند يده أمامه من دون أن يستطيع أن يطلق حتى صرخة ألم، وشعر بقلبه يتواثب وكأنه سيخرج من فمه.

* * *

أتى الطبيب الشاب مسرعا ملبيا توسلات «تقى» واقتحم الغرفة معها لما سمع أم «كريم» تصرخ طالبة المساعدة، فنظر الطبيب إلى الجسد الراقد بدهشة وانزعاج ثم مال بجسده وأخرج رأسه خارج الغرفة يصرخ في أربع ممرضات يقفن بالخارج:
- تعالوا بسرعة.
كان جسد «كريم» كله ينتفض بشكل عجيب ثم بدأ ظهره في التقوس إلى أعلى وينزل مرة أخرى ليعود لنفس الانتفاضة والتقوس بسرعة وبقوة وأمه تحاول أن تثبته، وما إن دخلت الممرضات حتى صرخ الطبيب بهن:
- ثبتوه جامد بسرعة، ضهره ممكن يتكسر كده.
هجمت الممرضات يمسكن جسد «كريم» من يديه وقدميه، وضغطت إحداهن على وسطه وبطنه لتمنعه من تلك الانتفاضة بعدما أبعدن عنه أمه التي ظلت تبكي وقد شعرت أنها تفقد ابنها الوحيد أمام عينيها، وبجانبها «تقى» تمسك بيديها، أما الطبيب فقد ظل يتطلع إلى «كريم» وإلى الجهاز الذي يوضح قراءة إشارات المخ؛ فوجده يتواثب إلى أعلى وأسفل بشكل عجيب وحاد، وجهاز القلب كان على الأمر نفسه، وظلت دقات قلبه تتصاعد حتى سجل الجهاز أن عدد النبضات وصل إلى ٢٠٠ نبضة في الدقيقة، فوقف الطبيب حائرًا لا يعرف ما يمكن عمله في مثل هذه الحالة، فقد كانت أول مرة يواجه أمرا كهذا!!
ظل جسد «كريم» ينتفض والممرضات يمنعنه من الحركة؛ حتى صرخت إحداهن بالطبيب:
- نعمل إيه دلوقتي يا دكتور؟
لم يجب على الفور، وظل يتنقل ببصره بين «كريم» وأجهزة إشارات المخ والقلب بحيرة، وقبل أن يهتدي لشيء يقوله سكن جسد «كريم» فجأة وتوقفت الجمال التي رسمتها أجهزة القلب والمخ، ليظهر بدلاً منها خط مستقيم؛ لتعلن أن الجسد الموصول بها لم يعد يمت للحياة بِصِلَة!
توقفت الممرضات عن الإمساك بجسد «كريم» لما وجدن أنه توقف عن الحركة وتحرك الطبيب

مسرعًا نحو الجسد، وظل يتفحصه؛ ثم رفع رأسه وأمر الممرضات أن يحضرن جهاز إنعاش القلب، لم تمر لحظات حتى دخلت ممرضتان تدفعان جهاز الإنعاش، وأوقفتاه بجانب السرير؛ فأشعل الطبيب الجهاز وأمسك قطبيه، في حين كشفت إحدى الممرضات عن جسد «كريم» ودلكت صدره بمادة ما قبل أن يقترب الطبيب ويضع قطبي الجهاز على صدر «كريم»، فانتفض جسده مرة واثنتين وثلاثا، وظل الطبيب يحاول ويحاول وهو ينقل بصره بين الجسد وجهاز قراءة نبضات القلب، كاد يتوقف لولا صوت بكاء والدة «كريم» الذي دفعه لإعادة المحاولة عدة مرات أخرى؛ حتى أيقن أن هذا الجسد قد فارقته الروح بشكل نهائي.

* * *

ظل «كريم» في وضعه الجاثي وهو يكاد يتمزق من الألم حتى أحس بشيء يخرج من جسده ليتوقف الألم فجأة، التفت «كريم» إلى الخلف ليرى الرجل صاحب اللاوجه وقد خرج من جسده وهو ممسك بشيء دائري له شكل جميل ومذهل وألوانه تتبدل بشكل دائم، فتحامل «كريم» على نفسه ووقف أمام الرجل الآخر وهو يلهث من التعب، وصرخ به:

- مش فاهم.. يعني إيه؟

لم يعبأ الرجل بكلامه، ومر بجانبه كأنه لم يرَه، وتوجه ناحية القبر الذي حفره لتوه ووضع الشيء الذي أخرجه من جسد «كريم» في الحفرة وبدأ يهيل عليه التراب تاركًا «كريم» خلفه يكاد يهلك من الخوف والقلق.

اقترب «كريم» من الرجل بتردد وهو يقول بصوت مضطرب لا يكاد يخرج من فمه:

- انت عملت إيه؟

توقف الرجل والتفت إليه من غير أن يتكلم، وعلى الرغم من أن الرجل بلا وجه فإن «كريم» شعر كأنه يتطلع إلى نقطة خلفه فأدار رأسه ليرى ما هناك، فوجد وكأن هناك فجوة تُفتح في الهواء، ثم أخذت تتسع وتتسع وبدأت في جذب جسده بشدة، حاول أن يتشبث بأي شيء، إلا أن قوة جذب الفجوة اشتدت كأنها ثقب أسود خلَّفه نجم منفجر، اشتدت حتى طار جسده في الهواء إلى الخلف لتبتلع الفجوة جسده وصراخه وتنغلق بعدما غاب فيها.

* * *

وقف الطبيب يملي على الممرضة ما تكتبه في التقرير ثم نظر في ساعته:

- وقت الوفاة الساعة الثالثة والربع عصرًا.

ثم التفت إلى «تقى» ووالدة «كريم» يبحث عمَّا يقوله، فلم يجد إلا الجملة المعتادة: «البقاء لله»،

خرجت منه غير واضحة أو مفهومة، ثم نظر إلى الممرضة حتى تغطي الجسد الراقد وتوجه إلى باب الغرفة مغادرًا، وقبل أن يخرج من الباب سمع صوت الممرضة تصرخ.. فالتفت ليجد «كريم» وقد عدل ظهره على السرير وهو يمسك بيد الممرضة بقوة.

اندفع الطبيب مذهولا ناحية «كريم»، وأمسكت أمه بكتفه.

- «كريم»، أحمدك يا رب.

لم يبدُ عليه أنه قد سمعها أو أنه يدرك أي شيء؛ فقد ظل على حاله ونظره مثبت إلى الأمام بنظرة خاوية خالية من أي تعبير، ويمسك بذراع الممرضة التي حاولت تخليص يدها منه التي كادت تنكسر، حاول الطبيب أن يعيد ظهره إلى السرير فوجد جسده متخشبا، فنقل الطبيب نظره إلى جهاز قراءة القلب والمخ فصُعق من المفاجأة.

فقد وجد أن الأجهزة لم تسجل أي نشاط حيوي لا في القلب ولا في المخ، وكأن الجسد قد تحرك وهو خالٍ من الحياة.

ظلت الممرضة تصرخ من الخوف، وأم «كريم» تهزُّ جسده لعله يفيق واندفعت «تقى» إلى الجانب الآخر من السرير وهي تكلم «كريم» وتهز جسده بشدة.

ظل على هذه الحالة ما يقارب الدقيقتين، والممرضة تحاول تخليص يدها وتساعدها في ذلك زميلاتها، في حين أخذ الطبيب يحاول إعادة ظهر «كريم» إلى السرير، ومن دون مقدمات أفلت «كريم» ذراع الممرضة وأخذ يحرك رأسه يمنة ويسرة، ويتطلع إلى يده التي كانت تمسك يد الممرضة بحيرة بالغة، ثم أراح ظهره على السرير، وعانقته أمه وهي تبكي، فربت على خدها برفق واقتربت «تقى» من أذنه هامسة وعيناها تترقرقان بالدموع:

- حمدا لله على السلامة يا حبيبي.

أدار وجهه لها وابتسم على الرغم من تعبه:

- حبيبي؟! دي تالت مرة على فكرة.

- وهقولها لك على طول بس انت ارجع لنا تاني.

ابتسم مرة أخرى ثم أغمض عينيه واستسلم للنوم، وبعد أن فحص الطبيب جسد «كريم» تطلع إلى الأجهزة التي تراقب إشارات المخ والقلب ليجدها وقد عادت تعمل بشكل طبيعي.

* * *

وفي منتصف الليل استيقظ «كريم» من نومه، وفتح عينيه بعناء كأن جفنيه ملتصقان ببعضهما، وأخذ يتأمل سقف الغرفة للحظات ثم اعتدل، وأخذ يقلب بصره في الغرفة والأجهزة المتصلة به، وابتسم عندما رأى أمه تجلس على كرسي بجانب سريره وهي تغط في نوم عميق من كثرة الإرهاق والسهر..

قطب حاجبيه عندما تذكر أمرًا، لا أصوات في رأسه ولا شيء مما تعوَّد عليه، مد يده ولمس جهاز القلب فلم تأتِه أي رؤى أو يسمع أي شيء حدث أمام الجهاز من قبل، ركَّز قليلاً فلم يتغير شيء، تذكر تلك الرؤيا التي رآها في غيبوبته فانقبض صدره، وربط بينها وبين اختفاء الرؤى والأصوات.
تذكر أيضًا تلك الرؤى الظلامية والدموية، وأن الأمل الأخير في معرفة من سيفعل به ذلك كان موهبة الاستبصار، وضياعها يعني أن ما سيحدث لن يستطيع تغييره من دونها، ثم أراح ظهره على السرير مرة أخرى وهو يطرد تلك الهواجس من رأسه ويعزو أمر فقدان قدرته إلى أن عقله ما زال مرهقا ولم يستعد كامل قواه بعد.
لم يستغرق الأمر سوى يومين وخرج «كريم» من المستشفى؛ فلم تكن هناك إصابات بالغة من جرَّاء الحادث، ولم يزد الأمر على بعض الكدمات الخفيفة في منطقتي الوجه والصدر، زالت وقتما كان غارقا في غيبوبته، أنهى الأوراق اللازمة ودفع فاتورة المستشفى وخرج مع «تقى» ووالدته وحماته التي جاءت مع ابنتها، فأمسكت أمه بذراعه بعد أن قبَّلته للمرة الألف وهم في رواق المستشفى في الطريق للخروج منها.
- حمدًا لله على السلامة.
- الله يسلمك يا أمي.
وقال وهو يميل إلى «تقى» التي خرجت معهم وهي صامتة والفرحة بادية على وجهها:
- وانتي مش عايزة تقولي لي حاجة؟
- حمدًا لله على السلامة.
- بس كده؟! بيتهيألي كان فيه حد قال لي إنه هيقول لي بحبك على طول.
اكتست وجنتاها بحمرة الخجل وهي ترد بحياء:
- انت صدقت ولا إيه؟! دي كانت في لحظة ضعف، ثم أنا كان قصدي هقولهالك بعد الجواز.
لاحظت حماته الحوار الهامس بين ابنتها وخطيبها فتدخلت مقاطعة:
- حمدًا لله على السلامة يا «كريم».
فابتعد عن «تقى» قليلاً وقد فهم قصد حماته.
- أهلا بيكي يا طنط، الله يسلمك يا رب.
ثم خيَّم الصمت عليهم حتى وصلوا إلى أمام المستشفى؛ فسلمت عليهم والدة «تقى» وأشارت إلى سيارة أجرة:
- نستأذنكم إحنا بقى، ابقى طمنَّا عليك يا «كريم».
- وتاكسي ليه يا طنط؟ ما أنا هوصلكم بالعربية.
فردت عليه «تقى» ضاحكة:
- انت فقدت الذاكرة ولا إيه؟! عربيتك في الإنعاش دلوقتي.
ثم سلمت على والدته وأشارت إلى «كريم» مودعة، واستقلت السيارة الأجرة بجانب والدتها؛ فظل

وأمه واقفين حتى انصرفتا، ثم أشار لسيارة أجرة أخرى حتى تقلهما إلى البيت وهو يسأل أمه:
- هي العربية فين دلوقتي؟
- الله يكرمه «أبو سيد» جارنا خلَّص كل حاجة مع التأمين، وودَّى العربية التوكيل يصلحوها، وكلها كام يوم وتتصلح.
- طيب الحمد لله.
- بس أنا والله نفسي ما تسوقش العربية الفترة دي، لحد ما نشوف حل في اللي بيحصل لك ده.
رفع يدها وقبلها:
- خليها على الله يا ستي.
توقفت سيارة أجرة بجانبهما، ففتح الباب لوالدته وجلس بجانبها، وأبلغ السائق بوجهته، ثم أراح رأسه إلى الخلف بعد أن انطلقت بهما السيارة..

٣ يوليو ٢٠٠٨

فتح «كريم» الكمبيوتر المحمول وضغط زر بدء تسجيل الفيديو، وجلس صامتًا يتطلع إلى الكاميرا عدة دقائق كأن الكلمات قد هربت منه، ثم أخذ نفسًا عميقًا وبدأ في الحديث:
من الواضح أنني قد فقدت قدرتي بشكل نهائي، الأصوات والرؤى اختفت تمامًا، حتى ساعات نومي القليلة بقت نوم أسود بلا أحلام، فاضل أقل من شهر والرؤيا تتحقق، والله أعلم هيحصل إيه، وأنا لحد دلوقتي مش قادر أعرف إيه اللي هيسبب ده وإزاي ده هيحصل.
سكت قليلاً يبحث عن شيء آخر يقوله، ولما لم يجد تطلع إلى النتيجة المعلقة على الحائط قبل أن ينظر مجددًا إلى الكاميرا:
الله المستعان.. «كريم عبد الله» بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٣.
ثم أنهى التسجيل وظل في الوضعية نفسها ينظر إلى الكمبيوتر بلا حراك كأنه تجمد..
لم يشعر يوما بهذا القدر من الحزن والهم، حتى وقتما كانت تأتيه الرؤى المزعجة أو يسمع تلك الأصوات، وقتها تمنى زوالها والآن يتمنى استعادتها، نفس شعور الأب الذي يكره الضوضاء التي يحدثها ابنه ليل نهار ويظل يدعو عليه بالويل والثبور وعظائم الأمور.. وما إن يصيب ابنه مرض - ولو بسيطًا - تجده يبتهل إلى الله أن يُشفى ابنه مما ألم به من مرض!!
سائر إلى نهايته ولا يعرف كيف.. والشيء الوحيد الذي كان يعوِّل عليه في معرفة سبب ما قد يحدث ذهب بلا رجعة، شعور العجز أثقل كاهله حتى صار كشبح يسير على الأرض ولا يعرف طريق النور الذي سينقله إلى الجنة، كبطل إغريقي يسير إلى نهايته بكل حماس وهو لا يدري.
قام أخيرًا ليرتدي ملابسه ويذهب إلى العمل، ولما توقف أمام المرآة ليصفف شعره، أخذ يتطلع إلى ملامحه لحظات، تحت عينيه منتفخ بلون أسود بسبب الإرهاق وقلة النوم، وجهه وجسمه أصبحا

نحيلين بسبب قلة الأكل، وذقنه نامٍ لم يعانق موس الحلاقة منذ فترة..
خطر على ذهنه أن شخصًا بهذا الشكل جدير بتجسيد إحدى شخصيات «هتشكوك» المختلة.
حاول أن يطرد عن ذهنه كل تلك الأفكار، وأنهى ارتداء ملابسه وخرج من الشقة وأوقف إحدى سيارات الأجرة كما اعتاد منذ أن تعطلت سيارته، وأبلغ السائق بوجهة العمل، وانطلقت به السيارة..
يوم رتيب بلا تجديد، أصبحت أيام عمله كلها تشبه بعضها برتابة نهر يجري كل يوم في نفس المشهد منذ الأزل، يذهب إلى العمل ويجلس على مكتبه ويجري مكالمات قليلة مع فريقه، وعلى غير العادة أصبح يلقي عليهم عبء العمل كله وأصبح دوره مجرد متابع أو واسطة بين ما يطلبه مدير العمل وفريقه، يجلس يحتسي قدح القهوة الذي أصبح البديل لـ«النسكافيه»، يدفن رأسه بين ذراعيه على المكتب ثم يستغرق في النوم إن استطاع، وإلا يظل على هذا الحال مستيقظًا حتى تنتهي ساعات العمل الرسمية، ثم ينصرف عائدًا إلى بيته..
جلس في غرفته وحيدًا مطلقًا لخياله العنان وهو يتصور ما يمكن أن يحدث له طبقًا للرؤيا، تذكر مشهدًا مقززًا لأحد أفلام «هتشكوك» يحكي عن رجل فقد القدرة على تحريك كل أعضاء جسده إلا إصبع السبابة في يده اليمنى، هي الوحيدة التي كان يستطيع تحريكها فاعتقد الأطباء أنه قد مات، فأخذوه إلى غرفة التشريح والرجل يحرك إصبعه بمعاناة وهو يتمنى أن يراه الأطباء، لكن وما إن دخل الأطباء حتى حركوا جسده ووضعوا يده التي تحوى الإصبع التي تتحرك تحته في وضعية يستحيل عليهم أن يروا إصبعه فيها؛ ثم بدأوا في تشريح جسده وهو حي ويشعر بكل ما يفعلونه!!
تمنى أن يقنع نفسه أن الرؤيا الدموية التي رآها ما هي إلا إسقاط لهذا المشهد الذي لم ينسَه قط، لكنه لم يستطع ذلك؛ فهو يعرف جيدًا الرؤيا الحقيقية حين تأتيه..
وبينما هو مستغرق في أفكاره السوداوية؛ إذ بوالدته تدخل عليه وهي تحمل صينية عليها بعض الشطائر وبجانبها كوب من الشاي؛ فاعتدل مبتسمًا ابتسامة مصطنعة:
- ليه التعب ده بس يا أمي؟
- أنا قولت أجيب لك الأكل ما دام ما طلبتش بنفسك.
ثم وضعت الصينية على المنضدة بجانب الكمبيوتر المحمول، وجلست بجانب ابنها:
- وقولت يمكن مش عايز تاكل معايا ولا حاجة.
- أنا يا أمي؟! ربنا يسامحك ده انتي أحلى حاجة في الدنيا كلها.
ثم سكت، وسكتت هي الأخرى لبرهة من الزمن وهي تحدق فيه ثم قالت:
- انت زعلان يا «كريم» علشان الحاجات اللي بتشوفها راحت؟!
- يعني المفروض أفرح يا أمي؟!
- أيوه تفرح طبعا.
ثم أكملت بثقة:

- اللي انت فيه دلوقتي أحسن مية مرة من العذاب اللي كنت فيه قبل كده، ولا نسيت الأصوات اللي كنت بتسمعها، أو الحاجات التانية اللي كانت بتخليك تقوم من النوم مفزوع، أو حتى تشوفها وانت صاحي..

- طيب والحاجات اللي كنت بشوفها هعمل فيها إيه؟

- كنت بتشوف إيه يا «كريم»؟

تردد وتلعثم - فهو حتى هذه اللحظة لم يخبرها بحقيقة رؤياه والخطر الذي يخبئه له المستقبل - فهمت أمه رغبته في عدم إخبارها فأكملت حديثها:

- مش مهم أعرف، ومهما كانت الحاجات اللي شوفتها.. كل ده مش مهم.

- مش مهم إزاي يا أمي؟

- أيوه مش مهم، يا ابني اللي ربنا رايده هيكون، والمستقبل بإيده وحده مش بإيدك، كام واحد كان عايش حياته عادي ومات فجأة في حادثة عربية مثلا؟! إيه الفرق بينك وبينه؟

- الفرق إني عارف وهو ما كانش عارف.

- بالظبط.. يبقى الحل إنك تنسى خالص، وتعيش حياتك، وخلِّي المستقبل بإيده وحده..

قالتها وهي ترفع سبابتها إلى أعلى فتمتم:

- ونعم بالله.

- يلا بقى سيبك من الكلام ده وخليك في المهم.

- المهم؟!

- آه طبعا.. الأكل.

- ماشي يا بطة، بس يلا نطلع بره وناكل مع بعض، ده الأكل من غيرك مالوش طعم..

ثم قام وحمل الصينية وسار خلفها وهو في قرارة نفسه يغبطها على قناعتها وجهلها بما يخبئه المستقبل..

* * *

١٠ يوليو ٢٠٠٨

أمسك بكوب القهوة يرشف منه وهو يحدق في المجهول، كانت ملابسه غير مهندمة وذقنه النامي وشعر رأسه الطويل المبعثر يدلان على أنه لم ينظر إلى المرآة أو يهتم بنفسه منذ فترة طويلة، جالسًا على مكتبه وأمامه تقارير كثيرة مبعثرة على المكتب بطريقة عشوائية.

- بس بس.. «كريم».

لم ينتبه إلى زميلته في الغرفة التي مالت حتى لامس شعرها البني المموج مكتبها الخشبي وتهمس،

لم يكن يشعر بأي شيء حوله ولا حتى شعر بمدير عام العمل الذي وقف يحدق فيه بغضب من بعيد حتى أتى إليه ونغزه في كتفه بخشونة فانتفض مفزوعًا:

- تعالى على المكتب يا «كريم»، بس روح الحمام الأول اغسل وشك.

- حاضر.

لم يمر نصف ساعة حتى خرج من مكتب المدير بعد أن منحه الأخير إجازة شهرًا كاملاً، وعاد إلى بيته ممددًا جسده على سريره يفكر.

أكثر ما أهمه أنه لا يستطيع أن يحكي للناس مشكلته، ولو قالها لما صدقه أحد ولاعتبروه مجنونًا، هو يعلم أن نهايته ستكون في هذا الشهر على يد مجهول لم يتوصل إلى معرفته حتى الآن، وحتى الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يساعده أو يرشده إلى ماهية السبب الذي سيؤدي إلى مقتله قد فقده وإلى الأبد.

obeikan.com

عم «عبده»

٢٠٠٨/٧/١٣

ضغط «كريم» زر بدء تسجيل الفيديو وجلس يبحث عما يقوله:
النهارده الأحد يوم ٢٠٠٨/٧/١٣ الساعة ٢ الظهر، بقى لي يومين قاعد في البيت بعد ما أخدت شهر إجازة.
ثم أخذ يفكر في شيء يقوله، ولما لم يجد قال وهو ينهي التسجيل:
مفيش جديد، وفاضل أقل من عشرين يوم على اللي هيحصل.
قام يتحرك بعصبية في الغرفة بعدما أنهى التسجيل، لا يعرف ما يفعله أو حتى كيف سيقضي يومه، يفكر في الخطر المقبل..
آمن بصدق المقولة: «إن انتظار المصيبة أشد من المصيبة نفسها».. ها قد اقترب موعد تحقق الرؤيا ولا يعرف شيئًا عنها..
يتألم من شدة الخوف والتفكير فيما قد يحدث، مثل الشاة التي ترى يوميا القصَّاب وهو يشحذ سكينه أمامها تنتظر الموت ولا تدري في أي يوم سيكون، أو كالمحكوم عليه بالإعدام في سجنه ينتظر التنفيذ ولا يعلم متى، وكلما سمع خطوات تقترب من باب الزنزانة يحسبها وقع أقدام مَن سينفذون فيه الحكم، يموت في اليوم مائة مرة في انتظار الموتة النهائية..
سؤال ظل يدور في ذهنه يبحث عن إجابة ترضيه.. هل يمكن تغيير المستقبل؟
في البارحة كان يجلس في المقهى مع صديقه «خالد» السلفي الذي لم يعد كذلك، يتذكران أيام المراهقة فسأله «كريم» من دون مقدمات:
- تفتكر يا خالد إن المستقبل ممكن الواحد يغيره؟
بدت علامات التعجب على وجه «خالد» من السؤال:
- مش فاهمك.
- قصدي يعني إن الواحد لو شاف حلم وحش لازم يتحقق ولا ممكن يقدر يغيره؟
- إحنا مش أنبياء يا «كريم»، والحلم من الشيطان والرؤيا الصالحة من الله زي ما الرسول قال.
- عليه الصلاة والسلام.
- ثم إن الأحلام إما مبشرات وإما تحذير، زي الحلم بتاع «عبد الله بن عمر» لما شاف نفسه هيدخل النار، فالرسول لما عرف تبسم وقال: «نعم العبد الصالح لو كان يقوم الليل».

obeikan.com

فهز «كريم» رأسه موافقًا وهو يحدث نفسه أن أحدًا لن يفهمه، فمنذ أن منَّ الله عليه بتلك القدرة ولم يحدث أن أخطأت أبدا، وقد كان هذا من قبل يسعده، لكنه الآن يتمنى لو أخطأت.
شيء آخر شغل فكره وهو أن موعد حفلة تقديم الشبكة وعقد الزواج في الشهر نفسه في يوم ٢٠٠٨/٧/٢٤ كما تم تحديده سلفا، أي قبل موعد تحقق الرؤيا بأيام قليلة جدًا، ولكم تمنى لو استطاع الاعتذار وتأجيل الموعد؛ حتى لا يعقد زواجه على «تقى» وتصبح أرملة بعد ذلك بأيام..
ظل على هذه الحالة من التفكير حتى أتاه صوت هاتفه المحمول فأمسك به ليجد أن الاتصال من «تقى»، تردد قليلاً أيجيبها أم لا.. ثم حسم الاختيار وأجاب الاتصال:
- أيوه يا حبيبتي.
أتاه صوتها باكيا:
- أيوه يا «كريم».
- مالك؟ فيه إيه؟!
- عمي مات من شوية يا «كريم».
- بجد؟!
قالها بفرح، فقد جاءه أخيرًا عذر قوي لتأجيل عقد الزواج، والسبب من عند حبيبته لا من عنده، فردت عليه من وسط بكائها:
- انت فرحان ولا إيه؟!
تمالك شعوره بالفرحة، وحاول أن يتكلم بصوت حزين:
- لا طبعا يا حبيبتي، أنا بس اتفاجئت بالخبر، هو عمك ده اللي ساكن قريب منكم؟
- أيوه هو.
- لا إله إلا الله، البقاء لله.
- ونعم بالله.
- طيب انتو فين دلوقتي؟
- بابا راح المستشفى يخلص الإجراءات وهنروح ندفنه في البلد.
- مستشفى إيه؟
أمسك بقلم وورقة ودوَّن عنوان المستشفى.
- طيب يا حبيبتي أنا رايح هناك حالا، سلام.
أغلق الهاتف وعلى عجل ذهب يرتدي ملابسه وهو ينادي والدته ليخبرها بما حدث.
- ماااااا!!.
أتى صوتها من الصالة:
- إيه؟
- ماااااا!!.

فتحت باب الحجرة ودخلت وهي حاملة قطعة كوسة ومقوار محشي:
- عايز إيه؟
- «تقى» كلمتني دلوقتي وقالتلي إن عمها اللي ساكن قريب منهم مات من شوية.
- لا إله إلا الله، طيب ثواني البس وآجي معاك.
- تيجي فين يا حاجَّة؟ أنا رايح المستشفى أقف مع أبوها، خليكي انتي وهوديكي العزا بالليل.
- لا يا ابني ما يصحش، لازم آجي، انت تودِّيني الأول البيت وأبقى مع أم «تقى»، تبقى عيبة في حقي لو ما روحتش معاهم الدفنة.
أغلق أزرار القميص وأدخله في البنطال:
- ماشي يا حاجَّة، البسي طيب بسرعة علشان نروح.
- هروح ألبس أهه.
تركته وذهبت لترتدي ملابسها هي الأخرى، وبعد أن انتهى من ارتداء ملابسه خرج ينتظرها، وقبل أن يستعجلها رن جرس الباب فذهب إلى الباب وفتحه ليجد «سيد» أو «الإنسان البيضة»، كما يسميه «كريم» منذ عرفه.
باءت محاولات «كريم» بالفشل عندما حاول منذ فترة أن يكتشف كيف لرجل خلوق مثل جارهم «محمد» وزوجته الودود «نعمة» أن ينبت لهما مثل «سيد»! و«سيد» ذو الثمانية عشر عامًا - لمن لا يعرفه - يملك كل الصفات القذرة والمقززة في الكون كله؛ فعلى الرغم من وسامته التي ورثها عن أمه فإنه لا يتوانى عن حلاقة شعر رأسه كله وترك صف من الشعيرات في المنتصف كالديك، أو يرتدي دبلة فضية في إبهامه كشواذ أمريكا، قلَّما تراه إلا وهو يضع إحدى أصابعه في أنفه يعبث بداخلها، ولا يُستبعد أن يأكل ما يخرج منها بعد ذلك، أما عن رنات هاتفه المحمول فحدِّث ولا حرج.. في مرة كان «كريم» يقف أمام باب الشقة يعالجه بمفتاحه فسمع صوت كصوت إطلاق الريح من أحدهم فالتفت ليجد «سيد» يبتسم وهو يجيب الهاتف؛ فقد كان الصوت هو صوت نغمة الهاتف، في مرة أخرى يضع صوت إطلاق الرصاص، أو صوت عادل أدهم وهو يقول قولته الشهيرة: «والله القشطة وحشتني يا رجالة»، صافحه «كريم» مرة فأتته رؤى عنه أصابته بالغثيان، وعزف عن الأكل بسببها عدة أيام، رآه جالسا على سريره وقد رفع قدمه اليمنى إلى فمه ويأكل جلد أصابعها، ورآه في رؤيا أخرى يستمني في الحمام، ومرة يبول في الحوض المخصص لغسل الوجه، ومن يومها و«كريم» يتحاشاه؛ حتى لا يضطر إلى مصافحته مرة أخرى..
- أيوه يا «سيد»، فيه حاجة؟
قالها باشمئزاز لم يستطع منعه فابتسم «سيد» بلزوجة وهو يمد يده إلى «كريم» بمفتاح سيارة:
- بابا بيسلم عليك وبيقول لك هو جاب العربية من التوكيل والمفتاح أهه.
مد «كريم» يده متحاشيا لمس أصابع «سيد»، وأخذ المفتاح.
- طيب هو بابا فين؟ كنت عايز أسلم عليه.

- بابا جاب المفتاح ومشي على طول علشان عنده شغل.
- طيب لما ييجي سلم لي عليه وقوله «كريم» بيقول لك شكرًا جدًا على تعبك معايا.
- هقوله ماشي.
ثم أتت اللحظة التي تمنى «كريم» ألا تأتي؛ فقد مد «سيد» يده إليه ليصافحه، فقاوم اشمئزازه ومد يده يسلم عليه بأطراف أصابعه، وأغلق الباب بعد أن رحل «البيضة»، ثم دخل مسرعا وهو يتجه إلى الحمام، فوجد أمه وقد خرجت مرتدية زي العزاء الشهير (طرحة سوداء وجلباب أسود)، لكنه مر بجانبها إلى الحمام:
- رايح فين؟
- هغسل إيدي وآجي.
أفرغ على يده عبوة المطهر كلها وهو يفركها تحت الماء بشدة، أتاه صوت أمه من الخارج:
- مين كان بيخبط؟
- ده «البيضة» يا أمي.
- الـ.. إيه؟
- قصدي «سيد» يا أمي، أبوه ربنا يكرمه جاب العربية من التوكيل وبعت المفتاح مع ابنه.
- طيب الحمد لله، جت في وقتها، وأهه كده أحسن من بهدلة التاكسي.
خرج إليها وهو مستمر في مسح يده بالمنشفة بشدة:
- مالك يا ابني؟! انت جالك جرب ولا إيه؟!
ألقى المنشفة جانبا:
- والله الجرب أهون.
- أهون من إيه؟
- سيبك انتي، ما تركزيش كتير.
ثم توجها إلى الباب استعدادًا للانطلاق إلى الدفنة والعزاء..
في المساء كان «كريم» يقف بجانب حميه يصافح المعزين ويشرف على تقديم مشروبات العزاء الشهيرة إليهم (شاي وقهوة) التي لم يصل «كريم» إلى العلاقة بينها وبين العزاء، وسأل نفسه يوما: هل لو تم تقديم مشروب الليمون أو المانجو سيزيد ذلك من عذاب الشخص المتوفَّى أم ماذا؟! ولماذا أصلا تقديم مشروبات لأناس جاءوا لمواساة أهل شخص مات، في الوقت الذي يحتاج أهل المتوفى إلى من يأخذ بيدهم ويرفع عنهم الحزن؟!
أما على الجانب الآخر فكان شخص ما يمر على المعزين ويقدم السجائر للمدخنين.. وبعد انتهاء العزاء وانصراف الحضور، وقف «كريم» مع حميه يعرض عليه مالا فرفض الأخير بشدة وهو يشكر «كريم» على ذوقه وأدبه ثم صمت قليلاً قبل أن يقول بتوتر:
- شكرا يا «كريم» يا ابني على وقفتك معايا.

- انت بتقول إيه يا عمي؟! ده واجب وانت زي والدي، الله يرحمه.
- الله يخليك يا ابني.
ثم صمت مرة أخرى مطرقا الرأس فعاجله «كريم» وهو يتمنى أن يقول ما ينتظره منه.
- مالك يا عمي؟ عايز تقول حاجة؟
- بالنسبة لموضوع الشبكة الشهر ده، مش عارف أقول لك إيه بصراحة.
تراقص قلبه من الفرح، لكنه رسم على وجهه أمارات الحزن ممزوجة بالتقدير للموقف.
- لو عايز تأخره شوية ما عنديش مانع يا عمي.
- سامحني يا ابني وأديك شايف الظروف.
- أنا فاهم طبعا يا عمي، الله يكون في عونك.
- ربنا يكرمك يا ابني.
ثم استأذن «كريم» وذهب ليسلم على «تقى» ووالدتها وأخذ والدته وانصرف إلى البيت وأبلغها في الطريق بأن حفل عقد الزواج قد تأجل إلى أجل غير مسمى..

١٠ يوليو ٢٠٠٨

من البيت إلى المقهى ومن المقهى إلى البيت، أصبح هذا هو حال «كريم»، يستيقظ ويأكل ما يقيم صلبه به، ثم يذهب إلى غرفته ويفتح الكمبيوتر المحمول ويضغط زر تسجيل الفيديو ويجلس أمامه عدة دقائق كالأبله، لا يدري ما يمكن إضافته في ظل عدم وجود أي طارئ جديد حدث فيغلق التسجيل ويقوم يتجول في الغرفة بعصبية ثم يستلقي على السرير يحاول التركيز لعله يستعيد قدرته المفقودة، وبعد أن يفشل ينهض ويرتدي ملابسه، ويخرج إلى المقهى ليجلس مع أي شخص يعرفه هناك، أو يجلس أمام الكمبيوتر المحمول يتصفح موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، ويشاهد بضعة أفلام حتى ينتهي اليوم؛ فيعود إلى البيت ليكرر ذلك في اليوم التالي.
بعد أن قام بالطقوس المعتادة في البيت (الإفطار - تسجيل الفيديو - التحرك في الغرفة - محاولة استعادة قدرته) ارتدى ملابسه وحمل حقيبة الكمبيوتر وخرج إلى المقهى في منطقته الأثيرة إلى نفسه (بولاق الدكرور).
وبعد مضي عدة ساعات، حضر إلى المقهى عم «عبده» وجلس على مقعد قريب منه، تطلع إليه «كريم» فوجده ناحل الوجه، ذابل الجسد ونظراته زائغة، وبعدها بدقائق مر عم «سعد» الذي رمق عم «عبده» بنظرة غضب قبل أن يتوجه إلى داخل المقهى ويجلس وحده!!
لم يفهم «كريم» ما حدث؛ فمنذ وعى على الدنيا لم يرَ أي خلاف بينهما؛ فقام من مجلسه بعد أن لملم أشياءه وتوجه إلى عم «عبده» الجالس وحده، وجلس بجانبه:
- إزيك يا عم «عبده»؟

التفت الرجل إليه وضيَّق عينيه يتذكره:
- انت «كريم».. صح؟
- الله ينور عليك يا عم «عبده».
بحث عن شيء يجعل الرجل يتكلم:
- انت أخبارك إيه يا عم «عبده»؟
- نحمده يا ابني.
- بس شكلك النهارده مش عاجبني.
- أهي أيام وبتعدي يا «كريم»، مفيش حاجة بتفضل على حالها.
- لا يا عم «عبده» ما ينفعش الكلام ده، ده القهوة دي مش بتحلو غير لما صوتك يجلجل وانت بتلعب الطاولة مع عم «سعد».
توترت ملامح الرجل عندما أتى ذكر عم «سعد» فسكت، وغيَّر «كريم» دفة الحوار عندما لحظ ذلك.
- أخبار عادل إيه؟
- عادل ابني؟!
ثم ضحك بمرارة ظاهرة وهو يتطلع إلى السيارات المارة في الشارع أمام المقهى:
- الله أعلم.
- الله أعلم؟! هو مش ساكن قريب منك؟
- آه ساكن بعدي بشارعين، بس تقريبًا نسي إن أبوه لسه عايش.
- ربنا يدي لك طولة العمر، ما تقولش كده، أكيد عنده ظروف.
- آه طبعا عنده ظروف، عنده وقت يشتري عربية جديدة ليه، ودهب للسنيورة مراته.
ثم تنهد وهو يحاول منع دمعتين أصرتا على الهروب من عينيه وهو يكمل:
- وكمان مشغول يقعد على القهوة اللي جنب بيته، فأكيد معذور إنه ما يلاقيش وقت يطمن على أبوه وأمه اللي ربوه، أو يسأل عن أخته، أو يساعدنا في جهازها.
بأصابع متوترة مد يده يلتقط كوب المياه الموضوع على المنضدة، ورشف منه رشفة وأعاده مكانه وهو يحاول التماسك:
- يلا.. أهه الواحد بيربي لغيره.
- لو محتاج حاجة يا عم «عبده» قول، أنا زي ابنك برضه.
- زي ابني دي شتيمة، انت أحسن والله يا ابني.
- قصدي في جهاز بنتك، لو فيه أي حاجة معطلاك أنا تحت أمرك.
أفلتت من عينيه دموع كثيرة؛ فقال وهو يقوم من مجلسه:
- اتصرفت خلاص يا «كريم»، الحمد لله على أي حال.

كاد يقع، فقام «كريم» وأمسك بيده، ولما اعتدل الرجل ربت على كتف «كريم» وهو يبتسم له، وعيناه الغائرتان تترقرقان بالدموع، ثم تركه وانصرف.

أكثر ما أثار تعجب «كريم» واستياءه هو كيف يترك عم «سعد» صديق عمره عم «عبده» في مثل هذه الظروف..

لم يطل التفكير؛ فقام وذهب إلى عم «سعد» وجلس بجانبه، وبعد التحية والسلام لم يملك «كريم» أن يمنع تساؤله:

- هو انت مش بتكلم عم «عبده» ولا إيه؟

ارتسمت على وجهه علامات الغضب والنفور:

- ما تكلمنيش عنه، ده بني آدم غبي.

- إيه يا عم «سعد» مالك؟! ده أنا طول عمري بشوفكم مع بعض.

- ما هو علشان كده غبي.

ثم سكت ولوح بيده في غضب أمام «كريم»، وأخذ يتهته بعبارات لم يفهمها الأخير قبل أن يجمع عباراته:

- الله يكرمك يا «كريم» قفِّل على السيرة دي.

أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى منهيا الحوار، فسكت «كريم» بدوره وظل يحدق في تلفاز القهوة للحظات؛ حتى تناهى إلى مسامعهما صوت ضجة وجلبة آتية من الخارج، ودخل «عادل»، عامل القهوة، وهو ينقل لهما ما يحدث في الخارج بحزن:

- عم «عبده» وقع في الشارع، وشكله مات.

ما إن سمع «كريم» وعم «سعد» ما قيل حتى قاما يركضان إلى الخارج؛ فوجدا أنه على بعد مائتي متر تقريبا تجمهر الناس في شكل حلقة يتطلعون إلى وسطها، فهرعا إلى الحلقة واقتحماها ليجدا عم «عبده» مُلقى على الأرض والبعض يتفحصه، وبعضهم يصرخ:

- حد يشوف دكتور بسرعة.

لم ينتظر «كريم» حضور الطبيب واندفع إلى عم «عبده» يتفحص نبضه؛ ليجد أن المسألة قد انتهت، وبدا واضحا، من عيني عم «عبده» الجاحظتين المتحجرتين واختفاء أي نبض لقلبه، أن روحه قد فارقت جسده إلى الأبد، فرفع بصره باتجاه عم «سعد» ليجده واقفًا وشفتاه ترتعشان بتوتر وخوف على صديق عمره، ولما قرأ في وجه «كريم» الخبر جثا على ركبتيه أمام «كريم» وأزاحه جانبا، ورفع جسد عم «عبده» ووضع رأسه على رجليه، وأخذ يردد باكيًا وهو يمسك برأس صديقه:

- يا «عبده».. قوم يا «عبده».

اشتد بكاؤه وهو يقبِّل جبين صديقه:

- يا «عبده» قوم، مش بعد العمر ده كله تموت واحنا زعلانين من بعض.

وضع «كريم» يده على عم «سعد» يواسيه، فدفعه الأخير بشدة وهو يهز جسد صديقه بشدة:

- قوم بقى، قوم يا «عبده».
حضر طبيب جار لهم بعد لحظات، وأخذ يتفحص جسد عم «عبده» بسماعته، ثم رفع رأسه بأسى ليعلن أن الأوان قد فات، وأن الرجل الآن بين يدي ربه..
في المساء وبعد أدائه واجب العزاء، لم يجد «كريم» في نفسه رغبة في العودة إلى البيت؛ فتمشى إلى المقهى ليجد عم «سعد» يجلس بداخله وحيدًا يتطلع إلى المجهول، ممسكًا بفنجان من القهوة وأمامه على المنضدة «الطاولة» مفتوحة، كأنه ينتظر صديق عمره الراحل أن يأتي ويلعب معه كما اعتادا منذ سنين.
تردد «كريم» أيذهب إليه أم يتركه وحده يتجرع أحزانه.. لكنه حسم أمره وتوجه إليه، وجذب مقعدا وجلس بجانبه:
- السلام عليكم.
لم يبدُ على الرجل أنه سمع كلمة أو أحس بوجود «كريم».. فمد الأخير يده وربت على كتفه:
- البقاء لله يا عم «سعد».
أدار الرجل وجهه إلى «كريم» للحظات وهو صامت قبل أن يعود إلى وضعيته الأولى وهو يقول ببطء وحزن:
- فعلا.. البقاء لله.
تمنى «كريم» لو يستطيع أن يسأله عمَّا حدث بينه وبين عم «عبده» ليفترقا بعد صحبة السنين الطوال، لكنه أمسك لسانه عندما وجد الرجل غارقا في أحزانه، ظلا على هذا الحال بضع دقائق قبل أن يقطع عم «سعد» الصمت وهو يقول بحزن ممزوج بالغضب:
- الله يلعن أبو الفقر.. الله يلعنه.
لم يستوعب «كريم» العلاقة بين وفاة عم «عبده» وجملة عم «سعد»، فسكت حتى يعطي الأخير فرصة يخرج ما يموج به صدره، دقيقة صمت أخرى بدأ بعدها عم «سعد» في الاسترسال:
- زمان يا «كريم» كان الواحد لا بيشيل هم واد ولا بت، يا دوب يربيهم ولما يكبروا الواد يشتغل ويجهز نفسه بنفسه، والبت أبوها ما كانش بيتكلف حاجة، يا دوب العريس ييجي ويجهز شقته باللي ربنا يقدره عليه وياخد البت، لكن دلوقتي الواحد بيكلف بنته أكتر ما الولد بيحتاج، إشي مطبخ وإشي ستاير وسجاجيد وإشي أوضة نوم أطفال، وكمان يدفع نص تكاليف الفرح.
أخرج من جيبه علبة سجائر «كليوباترا» سوبر وأشعل سيجارة، أخذ يلتهمها ويطلق حلقات الدخان في الهواء قبل أن يكمل:
- المصيبة إن العيال لما بتكبر بتنسى أهلها كأنهم ولاد حرام، عندك عمك «عبده»، الله يرحمه، ربى ابنه «عادل» أحسن تربية، وأول ما الواد كبر وربنا فتحها عليه واتجوز نسي أبوه وسابه محتاس، ده حتى الكلب ده ما فكرش يساعد أبوه في جهاز أخته وهو عارف إنها قربت تتجوز.
لم يستطع «كريم» كبح زمام نفسه فسأله:

- انت وعم «عبده» كنتم زعلانين من بعض ليه؟!

نظر الرجل إلى «كريم» ثم أكمل حديثه كأنه لم يسمعه:

- عمك «عبده» برضه عنده بنت وكان بيجهزها، المشكلة إنه ما قالش لا ليَّ ولا لعمك «سعد» إنه محتاج فلوس علشان الجهاز، وكل ما نسأله يقول لنا مستورة والحمد لله، الله يرحمه كان كتوم ونفسه عفيفة حتى معانا إحنا، طيب الغبي ده المفروض يصارحنا إحنا وكنا هنتصرف ونساعده، ده إحنا برضه صحبة أربعين سنة، لكن الغبي.. الغبي سكت وبدل ما يقولنا راح باع حتة من جسمه!

قالها بغضب وهو يطوّح السيجارة بعيدا في حين انتفض «كريم» للجملة الأخيرة وسأل بتعجب:

- باع إيه؟!

- من فترة كبيرة كده كنا قاعدين وعمك «نصر» كان بيتكلم على بيع الأعضاء.

قاطعه «كريم»:

- آه أنا فاكر، ساعتها كنت قاعد قريب منكم.

- من ساعتها والموضوع ده كان شاغل «عبده» وكل شوية يتكلم فيه، بس ما كناش فاهمين ليه.. لحد ما جت فترة اختفى فيها وقفل موبايله، ولما قلقت عليه أنا وعمك «نصر» روحنا البيت نزوره لقيناه راقد تعبان أوي وما رضيش يقول ماله، بس بعدها بيومين رحت أنا وعمك «نصر» تاني وفضلنا نقرره لحد ما قال لنا اللي حصل.. هات زفت قهوة «سرياقوسي» مغلية يا ابني.

قال الجملة الأخيرة لعامل المقهى ثم عاد ليكمل:

- الغبي ده لما لقى إن جواز البت قرب ومش معاه يكمل الجهاز راح يلف على الدكاترة يعرض كليته للبيع علشان يستر البت ويجهزها كويس، فضل يلف يلف ومفيش حد راضي علشان سنه الكبير أو خوف من الحكومة، الله أعلم، لحد ما لقى دكتور ابن كلب وافق إنه يشتري كليته.. تخيل إداله كام في الكلية؟!

لم يجد «كريم» أن السعر أيًّا ما كان سيقلل من جرم الطبيب، لكنه رد بسرعة:

- كام؟

- إداله عشرتلاف جنيه، كلية بني آدم بعشرتلاف جنيه.. يا بلاش.

- اسمه إيه الدكتور ده أو في أنهي مستشفى؟

- يا ريتني كنت أعرف، والمصحف ساعتها كنت روحت قتلته، بس «عبده» لما قال لنا أنا وعمك «نصر» اتخانقنا معاه وهزأناه إنه ما طلبش مننا وعمل اللي عمله، ومن ساعتها لا أنا ولا عمك «نصر» بنكلمه.. ويا ريتنا ما اتخانقنا معاه.

تفلتت دمعة من عينه:

- عمري ما تخيلت إن بعد عِشرة أربعين سنة ممكن حد فينا يموت وهو زعلان من التاني، ده أنا وهو أصحاب من الإعدادية!

ثم أطلق زفرة حارة ومسح الدموع التي انسابت على وجهه:
- الله يرحمك يا «عبده»، الله يرحمك ويغفر لك.
ثم أشعل سيجارة أخرى وأدار وجهه الناحية الأخرى معلنا انتهاء الحوار، وأخذ «كريم» ينقل بصره بين التلفاز تارة والجالسين على المقهى تارة أخرى، يتأمل ملامحهم المثقلة بهموم الحياة يخرجونها مع دخان الشيشة أو لعب الطاولة وتبادل البذاءات والنكات الجنسية..

obeikan.com

الإنسان الخارق

٢٠٠٨/٧/٢٢

«فيلم ناصر ٥٦ هيتم عرضه من قبل احتفالات تأميم القناة بتلات تيام، وبعده تلات تيام كمان، يعني من ٧/٢٤ إلى ٨/١، أفضل حل إني أختفي الفترة دي لحد ما وقت الخطر يعدي.. التاريخ ٢٠٠٨/٧/٢٢».

أنهى التسجيل وجلس يفكر.

في اليوم السابق طرأت على ذهنه فكرة أن يستعرض جدول كل القنوات الفضائية في الفترة المقبلة، فوجد أن فيلم «ناصر ٥٦» سيُعرض تباعًا على القنوات ابتداءً من يوم ٧/٢٤ إلى يوم ٨/١، ففكر أن يختفي تلك الفترة عن الأعين تمامًا حتى تمر، ساءته فكرة أن يظل حبيس البيت طوال هذه الأيام، لكنه أخيرًا رضي بها؛ فإن يصاب بالملل عدة أيام خير له من أن يحدث له ما شاهده في الرؤى التي أتته، وما إن استقرت الفكرة في رأسه حتى ذهب إلى أمه وأجلسها أمامه:

- ركزي معايا كده يا ست الكل، علشان عايزك في حاجة مهمة.

- خير يا ابني؟!

- صلي بينا على النبي كده الأول.

- عليه الصلاة والسلام.

- أنا من يوم ٢٣ اللي هو بكره ده هقعد في البيت، ومش هخرج أبدا لحد يوم ٢ الشهر الجاي، وهكلّم أنا «تقى» كمان شوية وأقول لها إني عندي شغل في شرم الشيخ الفترة دي.. هاه هروح فين؟

- طيب فهمني الأول.

- قولي بس.. أنا رايح فين؟

- كفر الشيخ.

- كفر الشيخ إيه بس يا حاجَّة؟! بقول لك شرم الشيخ، شرم الـشيخ.

- ماشي.. عندك شغل في شرم الشيخ.

- جميل جدًا، اوعي تغلطي الفترة دي وتقولي لها إني في البيت.

- ماشي.

صمتت تفكر قليلا، ثم رفعت رأسها بخوف وقلق:
- اللي هتعمله ده بسبب اللي كنت بتشوفه؟
- حاجة زي كده، مش انتي عايزة مصلحتي.
- أيوه طبعا يا حبيبي.. بس أنا مع أبوك اتعلمت حاجة وهي إن المستقبل ما حدش يقدر يغيَّره.
- المستقبل لسه ما حصلش، المهم دلوقتي إنك تركزي وتحفظي اللي قلتهولك.
- ماشي يا ابني.. ربنا يبعد عنك كل شر.
- أيوه، أنا عايزك تكتري دعواتك الحلوة دي على طول علشان محتاج لها، هقوم أنا أكلم «تقى».
ثم تركها وتوجه إلى غرفته، وأقفل بابها خلفه وظلت والدته تردد:
- «كريم» ابني مسافر كام يوم علشان عنده شغل في كفر الشيخ.
بعدما أغلق الباب تناول هاتفه المحمول من فوق الكرسي الصغير بجانب سريره، وطلب رقم «تقى»، وظل يسمع صوت الدعاء الذي وضعته «كول تون» وهو يجول في غرفته ذهابا وإيابا حتى أتاه صوتها العذب:
- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. وحشتيني وربنا.
فترة صمت تخيل فيها وجهها وقد احمر خجلا؛ ثم أجابت بعدها:
- ما علينا.. انت أخبارك إيه؟
- يااااااه، طيب حتى قولي وانت كمان وحشتني، ولو صعبة قوليلي I miss u بدلها.
- ما تستعجلش على رزقك يا عم الرومانسي، كلها فترة ونكتب الكتاب.
- مش كان زماننا هنكتب الكتاب بعد بكرة؟ الله يسامحه عمك ده، يعني ما لقاش وقت تاني يموت فيه؟
- الله يرحمه، ده قدر ربنا بقى هنعمل إيه؟!
- الحمد لله على كل حال.. بقول لك صحيح.
- إيه؟
- أنا جالي شغل ضروري، وهسافر بكرة شرم الشيخ هقعد هناك فترة.
- شغل إيه؟ مش انت واخد إجازة؟!
- آه بس مدير الشركة كلمني وفيه شغل ضروري لازم أروحه؛ علشان فيه وفد جاي من أسبانيا لازم أقعد معاه الفترة دي.
- طيب وهتقعد أد إيه؟
- مش كتير، يا دوبك هما عشر تيام بالكتير.
- تروح وترجع بالسلامة يا....
صمتت فعاجلها:

- أيوه هتطلع أهه، يا إيه بقى؟
- يا...
- أيوه.
- يا... «كريم».
قالتها ثم ظلت تضحك:
- تصدقي انتي رخمة.
- أول مرة تعرف يعني؟
- لا والله ما كنتش واخد بالي، بس على العموم رخمة رخمة مش هتفرق أنا كده كده بعشقك.
- شكلك هتسخن.. يلا الحق وضِّب حاجاتك بقى، وما تنساش تكلمني كل شوية علشان تطمنّي عليك.
- بإذن الله يا قلبي.. يلا باي باي.
- باي؟! طيب باي ورحمة الله وبركاته.
- آه معلش يا عم المتدين نسيت.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- أيوه كده.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
أغلق الهاتف وأخذ يفكر كيف سيقضي الأيام التالية.. حتى اهتدى إلى أن يستعين بصديق الطفولة والمراهقة - الذي كان قد نسيه لفترة كبيرة - ألا وهو الكتاب؛ فقد كان هوايته الكبرى ورفيقه الدائم في مراهقته هو الكتاب، يقضي جل وقته في القراءة في مختلف المجالات، خاصة القصص والروايات التي استبدل بها استخدام قدراته المختلفة - إبان فترة وجودها - وما إن استقرت الفكرة في رأسه حتى قام وارتدى ملابسه وتوجه إلى الخارج ليجد والدته تشاهد المسلسل التركي:
- رايح فين يا ابني؟
- هروح أشتري شوية حاجات كده يا أمي، أجيب لك حاجة وأنا جاي؟
- لا يا ابني ربنا يخليك.
- طيب سلام عليكم.
- وعليكم السلام.
أدار ظهره، وقبل أن ينصرف أردفت:
- بقول لك صحيح.
- نعم يا حاجَّة.
- خد بطاقة التموين وانت ماشي وهات التموين وانت راجع.
- تموين؟! طيب عايزة حاجة تانية؟
- انت هتقعد في البيت ما تنزلش كام يوم.. صح؟
- إن شاء الله.

obeikan.com

أخذت تفكر وهي تعد على أصابعها:
- طيب هات معاك ٢ كيلو لبن وكام كيس «كريم شانتي» علشان هعمل رز بلبن النهارده، ولو ينفع هات كام كرتونة بيض ودقيق ومكرونة ولحمة مفرومة علشان هعمل مكرونة بالبشاميل.
وقف يحدق فيها وقد تدلى فمه وهو يحاول استيعاب ما طلبته:
- بس كده ولا عايزة حاجة تانية؟
أسرع إلى الباب لما رآها تفكر حتى لا تطلب شيئًا آخر:
- السلام عليكم.
- وعليكم السلام يا حبيبي.
وبعد أن خرج أدخل رأسه وهو يسألها ضاحكا:
- إلا قوليلي يا حاجَّة، هي دي الحلقة الكام من المسلسل؟
- مش عارفة يا ابني.. تقريبا كده الحلقة الخمسمية وشوية.
- طيب ربنا يديكي الصحة.
ثم أغلق الباب وراءه وانصرف.
ظل يدور بسيارته حتى اقترب من المغارة السحرية للكتب وعشقه الأول، فتوقف بسيارته وتمشى حتى سور الأزبكية، وقف يتطلع إلى الكتب القديمة المتراصة فوق بعضها، يتحسسها بهيام، فملمس الكتب القديمة له متعة خاصة.
ظل ينتقي بعض الروايات وأعطاها للبائع الذي أخذ يقلب فيها ويرى تاريخ الطبعة حتى يقدر ثمنها.
- حضرتك واخد «عبث الأقدار» و«الحرافيش» و«الثلاثية» لنجيب محفوظ، و«خبايا الصدور» و«وراء الستار» ليوسف السباعي، و«الجريمة النائمة» لأجاثا كريستي.
ثم صمت قليلاً يحسب السعر:
- يبقى تمنهم ١٥٠ جنيه.
- نعم؟! ١٥٠ جنيه ليه يعني؟
- يا بيه دول طبعة قديمة أوي ييجي من ٤٠ سنة ومش هتلاقيهم في أي حتة، دول كنز يا بيه.. ولو مش معاك خلي عنك خالص.
- انت هتجبِّي عليَّ، خد فلوسك أهي يا عم.
أخرج محفظته ونقده ما طلب واستدار ليذهب، وقبل أن ينصرف جذب بصره مجلد ضخم في فرشة مجاورة للفرشة التي اشترى منها الكتب الأخرى، ويبدو من غلاف المجلد الجديد اللامع أن يدا لم تمسسه من قبل، وأكثر ما جذبه إلى الكتاب هو اسمه الغريب: «الإنسان الخارق.. الخطوة القادمة للتطور»، وصورة رجل يطير بلا أجنحة مرسومة على غلافه، فوضع الكيس الأسود الذي يحوي الكتب التي اشتراها على الأرض، والتقط الكتاب الضخم وفتحه.

كان صاحب الفرشة واقفا ينظر بحنق إلى شنطة الكتب التي اشتراها «كريم» من الفرشة الأخرى، فاقترب منه بسماجة:

- هتشتري يا بيه ولا بتتفرج؟

أغلق «كريم» الكتاب ووجَّه للبائع نظرة سمجة مماثلة:

- يعني أشتري وخلاص، ولا أشوف الأول هيعجبني ولا لأ؟

- مكانك يا باشا.. براحتك خالص.

ثم ابتعد قليلاً تاركا «كريم» يتفحص محتويات الكتاب، فتح «كريم» الكتاب وأخذ يقرأ المقدمة:

«من أين يأتي هذا؟ هذا التساؤل وهذه الحاجة إلى حل أسرار الحياة، عندما تكون أسهل الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها، لماذا نحن هنا؟ ما الروح؟ لماذا نحلم؟ كلها أسئلة ربما من الأفضل ألا نبحث عن إجاباتها على الإطلاق؛ فلسنا بحاجة إليها وليست ضرورية لنا.. لكن هذه ليست بطبيعة الإنسان، وليست بقلب الإنسان الساعي دائما إلى البحث عن الإجابة:

يقولون إن الإنسان يستخدم فقط عُشر طاقته العقلية، نسبة أخرى وقد نصبح ذوي قدرات أخرى وأعلى، لكن بالفعل هذا اليوم قد جاء؛ فلقد كشفت مشروعات الجينات أن هذا الاختلاف البسيط في شفرة الجين للإنسان يحدث بالفعل بنسب متزايدة وعشوائية.

القدرة على رؤية المستقبل، تحريك الأشياء بالقدرة العقلية وحدها، تجدد الخلايا تلقائيا، الانتقال الفوري من مكان لآخر، أو حتى القدرة على الطيران.. هل هذا خارق نطاق إمكانية البشر، أم أن الإنسان يدخل مرحلة جديدة من التطور تجعله يقف أخيرًا على عتبة الإمكانات البشرية الحقيقية؟».

قلَّب صفحات الكتاب بسرعة ولهفة، ثم أغلق الكتاب يقرأ اسم المؤلف «أستاذ دكتور ألبير عياد، دكتور المخ والأعصاب وباحث في علم الجينات».

شعر «كريم» بأنفاسه تتلاحق وقلبه يختلج بين أضلعه.. فلم يكن يتخيل أن رجلاً عربيًّا يكتب في هذا المجال بهذه الدقة، فأخرج محفظته مجددًا وهو ينظر إلى البائع:

- بكام الكتاب ده لو سمحت؟

أخذ الرجل الكتاب يتفحصه وينظر إلى تاريخ الطبعة، ثم وضعه على كف يده كأنه يزنه:

- ١٥٠ جنيه يا باشا.

- هو كلكم حافظين الرقم ده ولا إيه؟

- بص يا باشا.

ثم رفع الكتاب وأدار وجهه الآخر أمام وجه «كريم» يريه السعر المكتوب:

- مكتوب هنا السعر ٢٠٠ جنيه، والكتاب أصلا جديد ما حدش لمسه قبل كده، وتاريخ الطبعة من أربع سنين يعني جديد لانج.. طب وربنا أنا عامل معاك أحلى واجب علشان انت أول مرة تجيلي.

- غلبتني.. اتفضَّل يا سيدي.

أخذ الرجل المبلغ ووضعه على شفتيه يقبله ووضعه في جيبه:
- شرفتنا يا باشا.
تركه «كريم» وانصرف عائدًا إلى سيارته.
- يا باشا.. يا باشا.
التفت إلى الرجل بنظرة تساؤل، فأشار الأخير إلى كيس الكتب التي ابتاعها «كريم» منذ قليل ووضعها على الأرض.
- حضرتك نسيت الشنطة بتاعتك.
اقترب «كريم» وانحنى يلتقط الكيس وأخذه:
- شكرا جدًا.. ربنا يكرمك.
- العفو يا باشا.
ضم «كريم» الكنز الذي اشتراه إلى صدره وانطلق إلى سيارته حتى يعود إلى البيت، وعقله وقلبه يحلقان بين طيات الكتاب، وخلايا مخه تشتعل بالتساؤل: هل يمكن أن يقدم الكتاب الإجابات التي يبحث عنها؟ والأهم من ذلك، هل يمكن أن يساعده على استعادة قدراته الضائعة؟

* * *

٢٥ يوليو ٢٠٠٨

«فصل.. القدرة على رؤية المستقبل».
الاستبصار، أو القدرة على رؤية الغيب.. يتساءل البعض مستنكرًا: كيف نستطيع رؤية شيء لم يحدث بعدُ؟ وللإجابة عن هؤلاء نقول: إن النظرة المستقرة في عقلهم بأن الزمن ما هو إلا خط مستقيم قد تكون خاطئة، وإن بعض النظريات الحديثة تقول إن الزمن يسير بشكل دائري يكرر نفسه باستمرار، فما حدث بالأمس قد يتكرر بنفس النمط في المستقبل، وما سيحدث في الغد قد يكون حدث من قبل، وتظل الأحداث عالقة في موجات تتخلل الفراغ تنتظر العقل المناسب لالتقاطها.
وعلى الرغم من رفض الكثيرين لها فإنها حقيقة مشهودة في التاريخ، والأمثلة لا يتسع لها المقام، لكن على سبيل المثال، المتنبئ الشهير «نوستر داموس»، صاحب النبوءات الشهيرة أو ما رُوي عن «عمر بن الخطاب» من أنه كان يخطب في الناس فرأى جيشه الذي يبعد عنه بمئات الأميال، فنادى قائد جيشه «سارية» وهتف به: «يا سارية.. الجبل الجبل»، وسمعه «سارية» ودار حول الجبل وهزم الجيش المُعادي، في هذا المثال الأمر يتعدى رؤية الغيب إلى القدرة على إرسال رسالة عقلية أو تخاطرية، وهو ما يؤكد حقيقة أخرى، هي أن المرء قد يجمع أكثر من قدرة واحدة، سواء بشكل

دائم أو مؤقت تحت ظرف معين.
أغلق «كريم» الكتاب بعدما قرأه ربما للمرة الثالثة على التوالي، والحماسة والشغف يعزفان ألحان النشوة والأمل في وجود رجل يعرف كل شيء عمَّا يعانيه، وربما يملك الأجوبة عن كيفية استعادة قدراته المفقودة..
قلب الكتاب وقرأ اسم المؤلف مرة أخرى، ووجد في آخر صفحاته وسيلة اتصال وعنوان الكاتب، شعر بشيء يدغدغ عقله ويدفعه دفعًا إلى الذهاب ومقابلة الطبيب مؤلف الكتاب، نظر إلى النتيجة المعلقة على الحائط فوجد أن اليوم هو الخامس والعشرون، أي في أيام الخطر المرتقبة، نظر في ساعته فوجدها الواحدة ظهرا..
استلقى على سريره يحاول الهروب بالنوم فلم يستطع، أخذ يفكر في الرؤيا التي ستتحقق فيها نبوءة اختطافه؛ فتذكر أن يومها ستكون أمه عند خطيبته «تقى» وفي أيام الاحتفال بعيد تأميم القناة، أي هذه الأيام، قام وتوجه إلى غرفة والدته فوجدها نائمة.
جمع في عقله الأحداث، وبمعادلة بسيطة قال في نفسه إن أمه ليست عند «تقى»، إذًا فاليوم ليس هو اليوم الذي قد يحدث فيه الاختطاف. أقنع نفسه بذلك، فارتدى ملابسه وحمل الكتاب، وعلى أطراف أصابعه، لكي لا يوقظ والدته، خرج من المنزل وأغلق الباب برفق متوجها إلى عنوان عيادة المؤلف «ألبير عياد»؛ حتى يطرح عنده كل شيء، ما دام الرجل بهذه المعرفة عمَّا يخص القدرات الخارقة..
بعد نصف ساعة استيقظت والدته من نومها، وقامت بخطوات متثاقلة:
- يا «كريم».. أحضر لك الغدا يا حبيبي؟
كررت النداء فلم يأتِها أي رد، فتوجهت إلى غرفته وفتحتها فلم تجده، ساور القلق قلبها فالتقطت هاتفها المحمول وأجرت اتصالا به:
- أيوه يا حبيبي انت فين؟
- .....
- مشوار إيه ده يا «كريم»، مش انت قلت مش هتخرج الفترة دي؟
- .....
- طيب يا «كريم» خلي بالك من نفسك وما تتأخرش بره.
- .....
- مع السلامة يا حبيبي.
أغلقت الهاتف بعدما اطمأنت عليه، ثم جهزت لنفسها طعام الغداء، جلست بعدها والملل يدور حول رأسها كذبابة، فكرت أن تذهب إلى أختها، لكنها تذكرت أنها قد سافرت إلى بلدتهم لعدة أيام، فتحت التلفاز فلم تجد شيئًا يجذب انتباهها أو يخرجها من حالة الملل، ظلت هكذا حتى أتاها جرس هاتف المنزل فقامت وردت على المتصل فوجدتها «تقى» تتصل لتطمئن عليها.

أنا بخير يا حبيبتي والحمد لله، أهه قاعدة في البيت من ساعة ما «كريم» سافر.

- .....

- كويس إنك كلمتيه والله يا بنتي، ده بيحبك أوي، ولما بيسمع صوتك بيبقى مبسوط جدًا.

- .....

- أقول لك حاجة، أنا هلبس واجيلك أقعد معاكم شوية.. سلميلي على ماما لحد ما آجي.

- .....

- الله يخليكي يا حبيبتي.. مع السلامة.

ثم أغلقت السماعة وارتدت ملابسها على عجل.. وقبل أن تخرج فكرت أن تهاتف ابنها تخبره، إلا أنها رأت ألا فائدة من ذلك، خاصة أنها قد قررت ألا تطيل في الزيارة، وغالبا ستعود قبل عودته، فتوجهت إلى الباب وخرجت لزيارة خطيبة ابنها..

obeikan.com

أول قطعة «دومينو»

قاد «كريم» سيارته حتى ضواحي العاشر من رمضان، وما إن وصل إلى وجهته حتى أوقف السيارة وترجل حتى وصل إلى مبتغاه.

«المركز الطبي العالمي للأبحاث».

مبنى متوسط الحجم، مكون من سبعة طوابق، واجهته من الزجاج اللامع وبوابته من الزجاج الشفاف، وأمامه بحوالي خمسة أمتار يوجد كشك خشبي يجلس فيه حارس أمن على مكتب وأمامه هاتف وجهاز كمبيوتر..

وقف «كريم» وهو يحمل الكتاب في يده ويتطلع إلى المبنى بانبهار، ودار حول المبنى يتأمله فازداد انبهاره عندما وجد أن مساحة المبنى ضخمة جدًا وتصميمه يضاهي مراكز الأبحاث المستقبلية في أفلام الخيال العلمي، وربما لو وجد طبقًا طائرًا يخرج من أعلى المبنى لما كذَّب عينيه.

ظل يتمشى بخطوات رتيبة حول المبنى حتى انتفض عندما أتاه صوت حاد من خلفه:

- بتدور على حاجة يا أستاذ؟

التفت خلفه فوجد مصدر الصوت هو حارس الأمن الذي رآه وهو يدور حول المبنى عدة مرات، فتلعثم قبل أن يجمع شتات نفسه:

- أنا جاي علشان أقابل الدكتور «ألبير عياد».

اتجه الحارس عائدًا إلى الكشك الخشبي بعد أن أشار إلى «كريم» الذي سار حتى وقف الحارس ينظر إلى دفتر موجود أمامه وهو يسأل:

- اسم حضرتك؟

- «كريم عبد الله عبد المجيد».

ظل الحارس يبحث عن الاسم، حتى رفع رأسه إلى «كريم» وهو يحدجه بنظرة ثابتة:

- اسمك مش موجود، والدخول من غير تصريح أو معاد محدد ممنوع.

- أيوه.. بس أنا عايز أقابله في حاجة مهمة.

- آسف يا أفندم، الأوامر عندي واضحة.

فبادله «كريم» نظرته الثابتة بنظرة تحدٍّ:

- وأنا مش هتحرك غير لما أقابله.. كلِّمه حالا وقل له فيه حد عايز يقابلك في مسألة حياة أو موت.

أمام إصرار «كريم» لم يجد الحارس بدًا من أن يضغط على زر في جهاز «إنتركم» أمامه، وانتظر

حتى أتاه صوت وقور:
- أيوه يا «فتحي».
- حضرتك فيه واحد هنا مصمم يقابلك، وبيقول إنه عايز حضرتك في مسألة حياة أو موت، بس اسمه مش موجود في الكشف ولا معاه تصريح.
لحظة صمت خيَّمت عليهما قبل أن يأتيهما الصوت الوقور يحمل نبرة غضب واضحة:
- بيتهيألي أنا قلت لك يا «فتحي» ألف مرة قبل كده، أي حد عايز يقابلني يطلع على طول وما تمنعش حد عني، لو بتنسى ممكن أسجلهالك على شريط تبقى تسمعه كل شوية..
ابتسم «كريم» حين رأى الحارس وقد اهتزت يده وتوترت حركته من الخوف؛ حتى خيل لـ«كريم» أن الرجل سيبول في سرواله في أي لحظة.
- أنا آسف يا دكتور «ألبير».. هابعته لحضرتك حالا.
ثم دفع الكشف إلى «كريم» حتى يكتب اسمه فيه، وبعد أن وقَّع أشار إليه الحارس بخضوع إلى أن يدخل المبنى وهو يقول مطأطئ الرأس:
- الدور التالت آخر مكتب على اليمين.
- شكرا.
قالها وهو يرفع حاجبه الأيسر ويخفضه؛ لإغاظة الحارس، قبل أن يتوجه إلى المدخل والطمأنينة تملؤه وهو يحدث نفسه أن طبيبًا بهذا الخلق الرفيع بالتأكيد لن يخذله..
استقل المصعد الذي توقف به عند الطابق الثالث، وخرج منه وأخذ يسير ببطء في الممر وهو يتطلع إلى فخامة رخام الأرضيات وتناسق ألوان الممر وبعض المقاعد المتناثرة بترتيب مذهل كأن مهندس ديكور عالميا هو الذي صممه لهم، وما إن وصل إلى المكتب المنشود حتى توقف يطالع اللافتة التي تحمل اسم الطبيب ثم طرق الباب بخفوت:
- ادخل.
أتاه الصوت الوقور من الداخل فملأ «كريم» صدره بالهواء وتنفس بعمق، ثم فتح الباب ودخل.
غرفة ضخمة تتوسطها طاولة اجتماعات، وشاشة عرض عملاقة على الجدار، وبجانب الحائط المجاور أريكة فخمة، وعلى الجانب الآخر المقابل لشاشة العرض مكتب ضخم، يجلس خلفه رجل أشيب شعر الرأس حليق الوجه أفطس الأنف ظاهر الوسامة، مع حدة في الملامح، متين البنيان - على الرغم من كبر سنه الذي ربما جاوز الستين - يرتدي قميصًا ورابطة عنق، ويضع جاكيت البذلة على ظهر المقعد..
كان جالسًا يداعب أزرار الكمبيوتر المحمول الموضوع أمامه وهو يرتدي نظارة طبية؛ فتقدم «كريم» وجلس على المقعد، فلم يرفع الطبيب رأسه ليراه وإنما اكتفى بأن أمسك قلما وأخرج «كارت» شخصيًا وقلبه على ظهره وكتب بعض الجمل، وقال وهو على الوضعية نفسها:
- إيه المرض اللي عندك انت أو اللي جاي علشانه؟ وتحب تتعالج في أنهي مستشفى تبعنا؟

اندهش «كريم» من السؤال، ولما لم يجد الطبيب أي رد رفع رأسه إليه يتأمله بلباسه المهندم ومظهره الذي يدل على تيسر حاله، فترك القلم والكارت وخلع النظارة:

- اؤمر.

- حضرتك أنا مش جاي علشان مرض ولا حاجة.

- طيب أقدر أخدمك بإيه؟

أمسك «كريم» بالكتاب ووضعه على المكتب ودفعه أمام الطبيب.

- حضرتك اللي مألف الكتاب ده.. صح؟

التقط الطبيب الكتاب وهو يبتسم كمن تذكر شيئا محببا:

- يااااه.. هو لسه حد بيشتري الكتاب ده؟!

- ده كنز يا أفندم، وحضرتك عرضت كل حاجة بشكل مذهل.

أعاد الكتاب على المكتب وهو يسأل:

- كويس إن فيه حد بيهتم بالعلم ده.. بس أكيد انت مش جاي علشان تشكر في الكتاب.

- أكيد طبعا.

- طيب أقدر أخدمك بإيه؟

أطرق «كريم» برأسه كأنه يتحرج مما سيقول قبل أن يرفع رأسه ويقول بتردد:

- الكتاب ده بيتكلم عن القدرات الخارقة، وإن فيه ناس عايشة وسطنا عندها القدرات دي.

فرد عليه الطبيب ببطء وهو يضغط على الحروف ويحدق «كريم» بنظرات ثابتة كأنه يثبر أغوار عقله:

- بالظبط.

- أنا جاي لحضرتك علشان كان عندي قدرات زي اللي حضرتك اتكلمت عنها في الكتاب.

- أهاااا.

قالها الطبيب بفتور وهو يرجع ظهره إلى الوراء قبل أن يعقب بطريقة ساخرة:

- ويا ترى انت «المهدي المنتظر» ولا «ابن زيوس» وعايز ترجع جبل الأولمب؟

وقعت جملة الطبيب عليه كأنها صفعة إهانة بالغة، وأشعره كأنه مجنون.. فهم أن يقوم وهو يقول بحزم:

- آسف جدًا.. شكلي غلطت لما جيتلك.

وقبل أن يقوم اعتدل الطبيب ومد يده ممسكا بيد «كريم» وهو يضحك:

- آسف آسف، اقعد بس.

فجلس وما زال الضيق باديا على وجهه والطبيب يبتسم ابتسامة واسعة ليخفف وقع قولته:

- خلاص بقى، أنا آسف.

ثم فتح علبة سجائر أمامه وأخرج سيجارة منها وقدمها لـ«كريم» فرفضها شاكرًا، فأعادها الطبيب

وهو يكمل:
- أصل المشكلة إن بعد فترة من نزول الكتاب فضلت تجيلي مكالمات في نص الليل أو زيارات في المستشفى هنا من ناس مريضة نفسيًّا، واحد منهم كان مصمم إنه «سوبر مان» ومش عارف يرجع كوكب «كريبتون»، وواحد تاني قال لي إن سفينة فضاء خطفته ومنحته قوة خارقة، وقيس على كده عشرات الحالات لمدة سنتين تقريبا..
ثم ضغط زرا في الهاتف.
- بس انت شكلك مختلف عنهم.. الأول تحب تشرب إيه؟
- ربنا يكرمك.
- يبقى قهوة.
- أيوه يا دكتور «ألبير».
كان الصوت من الهاتف فرد عليه وهو يسأل: «قهوتك مظبوطة»؟ فأومأ «كريم» برأسه إيجابا.
- اتنين قهوة مظبوط.
رفع إصبعه عن الزر واعتدل في جلسته:
- صحيح.. أنا ما اتشرفتش باسمك.
- «كريم».. «كريم عبد الله عبد المجيد».
فمد الطبيب يده مصافحا:
- دكتور «ألبير عياد».. أهلا بيك يا «كريم».
- أهلا بيك يا دكتور.
- هاه.. احكي لي بقى يا سيدي.
- مش عارف أبدأ إزاي والله يا دكتور.
- قل لي الأول، إيه نوع القدرة اللي بتعتقد إنها عندك؟
- أعتقد؟! شكل حضرتك مش مصدق من أولها.
- بص يا «كريم» أنا راجل عملي، وشوفت في حياتي كتير وطبيعي جدًا إني لا أصدق إلا اللي أشوفه بعيني.
- أنا مش بتوهم يا دكتور، وعشت فترة كبيرة مع القدرات اللي كانت عندي، وعارف أنا بقول إيه.
- كل المرضى النفسيين بيبقوا مؤمنين بكلامهم جدًّا، اللي فاكر إنه المدى، واللي فاكر إنه من نسل الآلهة، وحتى اللي بيقول إن أمه دبانة، كلهم بيبقوا مقتنعين بكده.. أنا مش بتهمك بالمرض أو الجنون، بس لازم تقدَّر ده.
صمت «كريم» يبتلع كلام الطبيب قبل أن يجيب باقتناع:
- عند حضرتك حق طبعا.
- قل لي بقى إيه القدرات اللي عندك؟

- هي بدأت معايا بالقدرة على رؤية أحداث من الماضي أو المستقبل...
قاطعه الطبيب:
- استبصار يعني؟ ممتاز.
- وبعد فترة بدأت تظهر قدرات تانية، زي معرفة تاريخ أي شيء أو أي حاجة حصلت من خلاله أو قدامه بمجرد لمسه، وبعدها القدرة على التحريك عن بعد.. ودي كانت آخر حاجة لحد ما فقدتهم كلهم في حادثة حصلت لي من شهر تقريبا..
طرقات على الباب أعقبها دخول أحدهم وهو يحمل قدحين من القهوة وضع أحدهما أمام «كريم» والثاني أمام الطبيب قبل أن ينصرف، فرشف الطبيب رشفة ببطء كأنه يفكر فيما سيقوله:
- بص يا «كريم»، هكلمك بصراحة، ويا ريت ما تفهمش كلامي بشكل مسيء، وجود شخص يحمل قدرة خارقة للعادة موجود، لكنه نادر جدًّا، لكن وجود شخص عنده عدة قدرات ده يعتبر بشكل عملي مستحيل.
- يعني إيه بشكل عملي؟
- يعني طوال سنين البحث اللي عملها مؤسسي النظريات دي عمرهم ما قابلوا حد عنده أكتر من قدرة واحدة، أما من الناحية النظرية - وده بحث يمكن أنا بس اللي بدأته - فهو ممكن.
تنفس «كريم» بارتياح من جملة الطبيب الأخيرة:
- يعني حضرتك مصدقني؟
هز الطبيب رأسه وهو يمط شفتيه ويقول ببطء:
- نرجع تاني للنقطة الرئيسية.. أنا مش هصدق غير اللي يتم إثباته معمليًّا.
- بمعنى؟!
- بمعنى إني هطلب منك تعمل شوية تحاليل وفحص شامل للجسم كله ورسم مخ وقلب، وما تقلقش كل الفحوصات اللازمة هتعملها هنا وحالا، ومش هاخد من وقتك غير ساعتين بالكتير.
- طيب إزاي الفحوصات اللي حضرتك قلت عليها دي هتثبت حاجة والقدرات دي حاليا مش موجودة؟
- مفيش حاجة اسمها مش موجودة، فيه حاجة اسمها معطلة ومحتاجة تنشيط.. لا تقلق.
ثم أنهى القهوة هو و«كريم» وقام من كرسيه والتقط جاكيت البدلة وارتداه وهو يشير إليه:
- جاهز؟
- أنا جاهز.
- طيب اتفضَّل معايا.
ثم دار حول المكتب واتجه صوب الباب و«كريم» يسير خلفه حتى وصلا إلى غرفة أخرى معلق على بابها لافتة مكتوب عليها دكتور «عماد مسيحة»، فطرق الطبيب «ألبير» على الباب، ودخل وخلفه «كريم» ليجد رجلاً آخر يجلس خلف مكتبه، وهو يمسك بمدونة ملحوظات وهو يخط عليها

بقلمه، كان بدينًا ومترهل الجسد طفولي الملامح أسمر الوجه، ويبدو من الشيب الخفيف على جانبي رأسه أنه لم يتعدَّ العقد الرابع من عمره، وخلفه على الحائط مثبت صليب خشبي كبير..
وما إن رأى الطبيب «عماد» أن رئيسه هو من دخل عليه، حتى قام من مجلسه وصافحه، ثم صافح «كريم» بفتور نوعًا:
- دكتور «عماد مسيحة».. أستاذ «كريم عبد الله».
وبعد أن عرَّفهما على بعضهما البعض وأبلغ الطبيب «عماد» بقصة «كريم» والفحوصات المطلوبة، ازداد وجهه عبوسا:
- حاضر يا دكتور.. اتفضَّل على الكرسي يا أستاذ «كريم» علشان محتاج شوية بيانات الأول.
قالها له بطريقة كأنه يسبه بأمه لا يدعوه للجلوس، فنظر «كريم» إلى الطبيب «ألبير» الذي ابتسم له ألا يستاء، ثم تركهما وانصرف وهو يقول للطبيب «عماد»:
- يا ريت النتائج تجيلي مع ملف الأستاذ «كريم» بمجرد ما تظهر.
- أكيد يا دكتور.
ثم عاد الطبيب «عماد» إلى مكتبه وجلس، ومن دون أن يقول أي كلمة ترحيب بـ«كريم» أخرج ملفًا وفتحه، ودفعه إليه وهو يقول بلهجة آمرة:
- اكتب هنا «اسمك – سنك – طريقة الاتصال»، بياناتك كلها يعني.
- أستغفر الله العظيم.
تمتم بها «كريم» وهو يملأ صدره بالهواء؛ حتى يُذهب الغضب والضيق من طريقة الطبيب، ثم أمسك قلمًا موضوعًا على المكتب وشرع في كتابة بياناته، وما إن انتهى حتى دفع الملف مرة أخرى إلى الطبيب، الذي أخذ الملف وحمله وقام ليدور حول المكتب، واتجه صوب الباب دون أن ينبس بكلمة، ثم التفت إلى «كريم» الجالس مكانه، وقال بحدة كأنه يكلم خادمًا:
- انت قاعد ليه؟! ماتيالا معايا.
فقام «كريم» وهو يتحرك وراءه بعصبية ويتمتم:
- صبِّرني يا رب.
سار معه، واستقل المصعد إلى الطابق السابع، وخرجا في ممر يشبه الذي كان فيه من قبل، حتى دخل به إلى غرفة يوجد بها عدة ممرضين رجال، وفي منتصف الغرفة توجد أجهزة غريبة، في وسط الغرفة جهاز أسطواني عرف «كريم» من مشاهدة الأفلام أنه جهاز رنين مغناطيسي، وعلى يمين الغرفة سرير طبي بجانبه بعض الأجهزة التي تتابع المخ والقلب، انقبض قلب «كريم» فور رؤيتها وتذكر الرؤى الظلامية، وأحس كأن كتيبة فئران تجري بداخل صدره فأجفل، في حين أمر الطبيب «عماد» أحد الممرضين أن يناول «كريم» رداء واسعا بلا أكمام يشبه قمصان النوم النسائية، وهو يقول دون أن ينظر إليه:
- يا ريت تقلع هدومك ورا الستارة وتقلع أي حاجة فيها معدن (دبلة – ساعة) وبسرعة علشان

نبدأ.
- هو لازم؟
قالها بتردد ممزوج بقلق، فالتفت إليه الطبيب بحدة:
- تحب أقلع أنا وأعمل الفحوصات مكانك؟ اتفضَّل يا أستاذ.
تقدم «كريم» وهو يقدم خطوة ويؤخِّر أخرى، حتى توارى خلف الستار، فأتاه صوت الطبيب «عماد»:
- خلِّي بالك إننا هناخد عينة من أنسجتك؟
- عملية يعني؟
- لأ.
فخلع «كريم» ملابسه وارتدى القميص وخرج عليهم لتبدأ الفحوصات.
ثلاث ساعات قضاها ما بين الرنين المغناطيسي ورسم القلب والمخ وأجهزة أخرى لم يتعرف عليها، وفي آخر الأمر تم أخذ عينة دماء بشكل كبير، حتى فكر في أنه قد يحتاج محلول جفاف حتى لا يسقط فاقدًا الوعي، وبعد أن انتهى، ارتدى ملابسه مرة أخرى، ومد يده مصافحا الطبيب «عماد» الذي صافحه بيد مفرودة بفتور قبل أن يجذبها بسرعة كأنه يصافح مجزومًا، ثم تركه وانصرف، وقبل أن يترك «كريم» المستشفى عرج على مكتب الطبيب «ألبير»، فوجده قد رحل من المستشفى، فما كان من «كريم» إلا أن خرج واستقل سيارته وطار عائدًا إلى بيته.
لم يعرف لماذا عرج على منطقته الأولى (بولاق الدكرور)، وحينما مر على المقهى أبطأ سيره؛ لعله يجد أحد أصدقائه، فلم يجد، لكنه وجد رجلا قوي البنية حاد القسمات، وعلى وجهه جرح قديم في جبهته، كان يجلس يدخن الشيشة وحوله بعض بلطجية المنطقة، أوقف «كريم» السيارة وتأمله كأنه يحاول التعرف عليه، ثم انقبض صدره حينما تعرف عليه.. فقد كان «زغلول».
«زغلول»، البلطجي الذي كان يحاول سرقة شقتهم منذ سنين عدة ودخل السجن عندما أبلغ عنه «كريم» الشرطة، شعر كأن الخيوط تتجمع وأن عجلة القدر قد بدأت دورانها، وأنها تجمع الخيوط حتى يصل إلى نهايته.. فأدار سيارته وانطلق وهو يتمنى ألا يكون «زغلول» قد رآه، وما إن وصل إلى بيته ودخل شقته وقلبه يسابقه حتى أغلق الباب وألصق ظهره إليه لحظات حتى يهدئ روعه، ثم انتبه عندما وجد أن أضواء الشقة كانت مطفأة، فأشعلها وأخذ ينادي على والدته، فلم يأتِه أي رد.. فأخذ يبحث عنها في غرفتها فلم يجد أي أثر لها في الشقة، فانتابه القلق، وقبل أن يخرج هاتفه ليجري اتصالا بها، وجد باب الشقة يُفتح ووالدته تدخل.
- كنتي فين يا حاجَّة؟
دخلت وجلست على الأريكة لتستريح:
- إيه ده يا حبيبي.. انت جيت؟
- لسه واصل حالا.. كنتي فين؟

- قمت من النوم زهقانة، فقلت أروح أقعد مع أم «تقى» شوية.

هربت الدماء من وجهه:

- كنتي فين؟!

- إيه يا ابني مالك؟

- وما قلتيش ليه إنك رايحة؟

- عادي يعني، أصلي قلت إني أكيد هرجع قبلك، بس القعدة خدتني شوية.. كلت ولا أحضر لك تاكل؟

- لأ شكرًا.. ماليش نفس.

ثم انطلق إلى غرفته دون أن يقول أي شيء آخر، وأغلق بابها وأغلق هاتفه.. ثم استلقى على السرير وهو يلهث وصدره يتقافز علوا وهبوطا من الانفعال، يفكر في أحداث اليوم، وفي ذهاب أمه إلى «تقى» على غير موعد، وخروجه في أيام الخطر بحماقة منه، و«زغلول» الذي ظهر فجأة، وكم كان الخطر وشيكا فقال وهو يغمض عينيه:

- That was close one.

أما في المركز الطبي العالمي للأبحاث، فقد مكث الطبيب «عماد» حتى الثالثة فجرا في مكتبه، يطالع ملفًا يحوي نتيجة الفحوصات الخاصة بـ«كريم» وهو مذهول مما يرى.. حتى إنه ظل يعيد القراءة عدة مرات كأنه غير مصدق للنتيجة، ثم أمسك بجهاز تسجيل صوتي صغير موضوع على المكتب، ثم ضغط زر التسجيل:

اسم الحالة: «كريم عبد الله عبد المجيد».

الفحوصات على المخ أظهرت وجود نشاط قوي في المنطقة الجدارية السفلى ووجود خلايا غروية أكثر من المعتاد، وده ممكن يبقى ليه تأثيرات جانبية غير متوقعة، المنطقة العمياء في العين الأوعية الدموية المتصلة بيها أكتر من المعتاد، كما أن الأنسجة العضلية للحالة تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب والأنسجة العضلية البيضاء غير الإرادية، أما فحص الدم فأثبت وجود بقايا مادة غريبة لم يتم التعرف عليها بعد.

أنهى التسجيل ووضع جهاز المسجل، فكر قليلاً ثم همَّ أن يقوم بعد أن أمسك بالملف، لكن تناهى إلى مسامعه وقع خطوات قادمة من الخارج أعقبتها طرقة خفيفة على الباب، ففتح الباب ليجد أن الطبيب «ألبير» هو من أتى، فنظر إلى ساعته بدهشة:

- دكتور «ألبير».. إيه اللي جاب حضرتك في وقت متأخر كده؟

وصل الطبيب «ألبير» حتى المكتب، فجلس على المقعد المقابل يستريح قبل أن يبتسم بود إلى الطبيب «عماد»:

- أصلي اتصلت بالأمن بالليل كالعادة، فقالوا لي إنك سهران لحد دلوقتي فاستغربت.

- أصل مراتي والأولاد عند حماتي النهارده، ومفيش حاجة أروح علشانها.

فقال الطبيب «ألبير» بلهجة ناصحة:
- ما ينفعش يا «عماد» ترهق نفسك بالشكل ده، لو عايز تحافظ على صحتك لازم تعمل زيي، نام الساعات المطلوبة ولما تكبر مش هتحس بالعجز، ويا سلام بقى لو تمارس رياضة المشي مثلا.. انسى حاجة اسمها شيخوخة للأبد.
- أكيد يا دكتور.
- أنا بنصحك علشان انت زي أخويا الصغير.
ثم وكأنه تذكر أمرا:
- صحيح، إيه نتايج الفحوصات بتاعة الشاب اللي جالي النهارده؟ Fake زي اللي قبله طبعا.
حاول الطبيب «عماد» أن يدير يده ليخفي الملف الخاص بـ«كريم» وهو يخفي ارتباكه:
- نتيجة الفحوصات هتبقى على مكتب حضرتك الصبح.
- Ok، همشي أنا دلوقتي.. تصبح على خير.
قالها وهو يقوم من على المقعد ويتجه إلى الخارج.
- وانت من أهله يا دكتور.
أمسك مقبض الباب وفتحه، ثم التفت إلى الطبيب «عماد» وهمَّ أن يقول شيئا، فرأى ملفًّا بيده فقال وهو يقترب منه:
- هتروح دلوقتي؟
- آه خلاص هقفل وامشي بعد حضرتك على طول.
- هو ده الملف بتاع «كريم».
قالها وهو يمد يده وينتزع الملف برفق من يد الطبيب «عماد» الذي امتقع وجهه وفتحه وأخذ يطالعه وعيناه تتسعان انبهارًا.
- مستحيل.. إزاي يا «عماد» ما تقوليش على النتايج دي؟
- ما أنا قولت لحضرتك إن التقرير هيبقى على مكتبك بكرة.
- حاجة زي دي ما تستناش يا «عماد»، حلمي بيتحقق يا «عماد».
ثم أغلق الملف وهو يتكلم بحماس:
- أنا ما قابلتش بنفسي حالة عندها قدرات استثنائية غير مرة واحدة في ألمانيا من تلاتين سنة، كنت شاب ساعتها والعلماء الكبار هناك همَّ اللي اهتموا بيه، بس أخيرًا قابلت حالة أقدر أثبت بيها صحة نظريتي.. من حسن حظه إنه جه هنا.
- أو من سوء حظه.
قالها الطبيب «عماد» كأنه يحدث نفسه، فنظر إليه الطبيب «ألبير» بحيرة وهو يسأله:
- من سوء حظه إزاي؟!
- لا مفيش يا دكتور، شكل السهر خلاني مش مركز.

قالها وهو يصطنع الابتسام، فربت الطبيب «ألبير» على كتفه:
- علشان كده بقول لك خلي بالك من صحتك.. أنا همشي دلوقتي.
اتجه إلى الخارج والفرحة بادية عليه، وهو يمسك بالملف كأنه يمسك بطفل صغير يخشى عليه، في حين ظل الطبيب «عماد» واقفًا مكانه يفكر قليلا، ثم اتجه إلى نافذة الحجرة الزجاجية وظل يتطلع منها إلى الشارع حتى رأى الطبيب «ألبير» يخرج ويستقل سيارته ويرحل، وبعد أن تأكد من أنه الآن وحده في المركز عاد إلى مكتبه وفتح أحد أدراجه، وأخرج علبة كارتونية بيضاء مكتوبا على أحد جوانبها: «تسجيل حتى ٣٠ ساعة متواصلة».. ففتحها وأخرج منها جهاز تسجيل صغيرا وُضعت في أحد جوانبه شريحة ذاكرة.
ظل يقلب الجهاز بين يديه وعقله يفكر، ثم مد يده إلى الدرج مجددًا وأخرج مفتاحًا صغيرًا، ثم قام وخرج بخطوات بطيئة، وسار في الممر حتى توقف أمام غرفة مثبت على بابها لافتة مكتوب عليها دكتور «ألبير عياد»، كان يعلم أنه الوحيد الموجود، إلا أن القلق جعله ينظر يمنة ويسرة؛ ليتأكد أن أحدا لا يراه ثم مد يده في جيبه، وأخرج المفتاح وأولجه في الباب وفتحه بهدوء، وتسلل إلى غرفة الطبيب «ألبير» وتوقف في منتصفها يتأمل الغرفة، حتى أوقف بصره على المكتب الخشبي، وتوجه إليه بحذر ثم مد يده وألصق الجهاز أسفل المكتب بعد أن ضغط زر التشغيل.
وبسرعة وحذر خرج من المكتب، وأغلق بابه بهدوء وعاد أدراجه إلى غرفته، وجلس خلف مكتبه وفتح الكمبيوتر الخاص به يتأمل ملف «كريم» الذي سجله على البرنامج باسم «الحالة صفر».

obeikan.com

الحالة صفر

٥ أغسطس ٢٠٠٨

النهارده أقدر أقول فعلا إن أيام الخطر انتهت، خاصة بعد مراجعة جدول القنوات الفضائية، وإن الفيلم مش هيتعرض خلال الشهر ده نهائي تاني، وده معناه إن أنا حر لمدة سنة كمان.. يس يس يس.. «كريم عبد الله».

بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٥.

أنهى التسجيل وخرج من الغرفة فرحًا، فوجد أمه جالسة تشاهد التلفاز، فاندفع نحوها وأمسك بيدها وأقامها، وأخذ يتقافز حولها بفرح ثم احتضنها بقوة وأخذ يقبلها فأخذت هي تدفعه:

- هتخنق يا أهبل.

فتركها والفرحة ما زالت تغمره:

- آسف آسف، بس أصل أنا فرحان جدًا.

- يا رب دايما.. بس ليه؟

- أيام الخطر عدت يا أمي.. أنا لمدة سنة حر من غير أي خوف.

- الحمد لله.. يا رب يبعد عنك كل شر يا حبيبي.

قطع حديثهما صوت هاتف المنزل، فذهبت والدته ونظرت إلى رقم المتصل:

- دي «تقى» برضه يا «كريم»، هترد المرة دي ولا زي كل مرة؟

اندفع نحو الهاتف وقال - وهو يلتقط السماعة -:

- هرد طبعا.. بقول لك خلاص أيام الخوف عدت.

ثم وضع السماعة على أذنه وهو يقول بلهفة وهيام:

- مساء الخير على أحلى وأجمل وأرق وأطيب «تقى» في الدنيا كلها.

- .....

- لسه واصل حالا.

- .....

- آسف والله يا حبيبتي، بس أصل تليفوني باظ وأنا هناك وما عرفتش أصلحه.

- .....

- عارف إني غلطان وأستاهل الضرب بالنار كمان.

obeikan.com

- .....

- خلاص بقى بلاش شغل القمص ده، وعلى العموم أنا جايب لك حتة هدية تحفة على سبيل الاعتذار.

- .....

- بلاش تعتبريها اعتذار واعتبريها هدية تخرجك من الجامعة اللي ما جبتهاش.

- .....

- سامحيني ما تبقيش رخمة.

- .....

- أيوه كده هي دي «تقى» العسل اللي أعرفها.

- .....

- هو بكرة الأربع؟ طيب تمام أنا هستأذن باباكي وآجي.

- .....

- سلام إيه؟ استني هنا.. مش المفروض تقولي لي: وحشتني يا حبيبي؟

- .....

- وربنا رخمة بس بموت فيكي برضه.

- .....

- ماشي يا قلبي.. مع السلامة.

ثم أغلق الهاتف، واندفع نحو والدته مجددًا كأنه طفل فرح بقدوم العيد:

- هاقابلها بكرة أخيرًا.

فطبعت قبلة على وجنته ثم سألته:

- صحيح يا «كريم».. هدية إيه اللي جبتها؟

فقال بحيرة وقد تذكر مقولته:

- آه صحيح.. هدية إيه؟!

- مش بقول لك أهبل.

- هروح أجيب لها هدية بسرعة.

ثم تركها واختطف مفاتيح السيارة وانطلق نحو الباب بسرعة.

- يا أهبل، هتنزل بالفانلة الحمالات وبنطلون البيجامة؟!

فتوقف أمام المرآة الموجودة بجانب الباب، فوجد أنه بملابسه الداخلية، وذقنه نامٍ مشعث وشعره مبعثر - كأنه مجنون فر لتوِّه من مستشفى المجانين - فقذف المفاتيح على الأريكة وتوجَّه بتخاذل نحو الحمام حتى يغتسل ويحلق ذقنه، ولم تمر ساعة حتى كان قد ارتدى ملابسه وحمل حقيبة الكمبيوتر المحمول الخاص به وخرج من المنزل وتوجه ناحية سيارته، فألقى حقيبته بداخلها

obeikan.com

وانطلق بها.
ظل يدور بسيارته يفكر في الهدية التي سيحضرها لحبيبته، حتى توقف أمام أحد المولات الشهيرة، فوضع سيارته بداخل الجراج المخصص بالمول، وصعد درجات السلم وأخذ يتجول في الممرات يشاهد المعروض، وفي أثناء تجوله وجد محل الكمبيوتر «Apple» فدخله حتى يبتاع بعض الملحقات لجهازه، وقبل أن يخرج واتته فكرة، فعاد إلى البائع وقال له وهو يريه جهازه:
- لو سمحت عندك نفس الجهاز ده بنفس اللون؟
- آه طبعا يا أفندم.
ثم قاده إلى جانب موضوع فيه نفس الجهاز:
- أهه يا أفندم.
- ممتاز.. طيب بعد إذنك هاخده.
- تحت أمرك.
جمع البائع الجهاز ودفعه إلى «كريم» مع حقيبة مماثلة لحقيبته فقال له «كريم» بعد أن دفع ثمن الجهاز بنظام «الفيزا»:
- طيب ممكن أكتب حرفين على الشنطة؟
فرد البائع وهو يبتسم بحرج:
- للأسف يا أفندم، الأوبشن ده مش عندنا.
- ولا يهمك.. السلام عليكم.
- وعليكم السلام.
ثم انطلق نحو سلم المول واستقله للأسفل نحو الجراج وهو يحمل حقيبته والكمبيوتر الجديد، واستقل سيارته وانطلق.. وما إن وصل إلى أمام بيته حتى أوقف السيارة، وظل بها قليلاً يفكر قبل أن يدير محركها مجددًا وينطلق بالسيارة وهو يقول محدثا نفسه:
- الأول فيه حاجة لازم أحلها.
بجانب المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه - في حي «بولاق الدكرور» - أوقف سيارته، ثم ترجل واتجه ناحية المقهى، حتى رأى من أتى من أجله.. رأى «زغلول».
كان جالسا وسط رفقته يدخن المعسل - كعادته منذ الأبد - فتقدم منه «كريم» وهو يقدم قدما ويؤخر الأخرى، حتى توقف أمامه فرفع «زغلول» رأسه إلى القادم وأخذ يتأمله بفتور:
- اؤمر.. أي خدمة؟
شعر «كريم» كأن أحباله الصوتية قد اختفت، فأخذ يفتح فمه ويغلقه عدة مرات قبل أن يجمع شتات نفسه ويقول بطريقة متلعثمة:
- إزيك يا «زغلول»؟
- أهلا وسهلا.. مين الأمور؟

- أنا «كريم» كنت جارك هنا من زمان.. مش فاكرني؟
قطب «زغلول» حاجبيه وهو يتأمل «كريم» للحظات وهو يحاول التذكر حتى هتف فجأة:
- «كريم»! «كريم عبد الله»!
فقال «كريم» بحذر:
- أيوه أنا.
فألقى «زغلول» ليّ الشيشة على المنضدة، وقام واندفع فجأة نحو «كريم» الذي تراجع بعض خطوات للخلف من الخوف، لكن على عكس توقعه قام «زغلول» باحتضانه بشدة حتى كاد يحطم أضلعه وهو يردد فرحا:
- إزيك يا «كريم».. ليك وحشة وربنا.. إزيك يا أخويا.
ثم أفلته وهو يقول بخجل:
- إوعاك تكون لسه زعلان من اللي حصل زمان؟
- بالعكس، ده أنا جاي أشوفك انت اللي زعلان.
- أزعل إيه بس يا راجل؟ ده أنا اللي كنت غلطان.
ثم جذب «كريم» وأجلسه أمامه وهو يقول معتذرًا:
- سامحني يا «كيمو» دي كانت لحظة شيطان وربنا.
- لا خلاص أنا نسيت من زمان.
- أصيل وربنا يا «كيمو».. شاي بوسطة هنا يا ابني.
كانت الأخيرة لعامل المقهى، قالها وأطرق برأسه، فعاجله «كريم» متسائلا:
- إلا صحيح، انت كنت فين المدة دي كلها؟
- مفيش والله، أنا طلعت من السجن بعد تلات سنين، وبعدها رحت قعدت في الشرقية الفترة الباقية، بس قلت أرجع منطقتي علشان وحشتني هي وأهلها الحلوين.
- نوَّرت منطقتك يا «زغلول».
- منورة بأهلها يا ساحبي.
ظلا يتحدثان طوال نصف ساعة، حتى قال «كريم» له:
- معاك موبايل طبعا يا «زغلول».
- آه طبعا.
- طيب هات رقمك بقى.
قالها ثم أخرج هاتفه حتى يدوِّن الرقم، فوجد الهاتف مغلقًا كما هو منذ عشرة أيام، ففتحه، وقبل أن يدون الرقم ظل الهاتف يصدر صوت وصول رسائل عدة تجاوزت الخمس عشرة رسالة من رقم غريب ففتح أول رسالة يقرؤها:
أستاذ «كريم».. النتائج الخاصة بيك خلصت والنتائج فعلا مذهلة، أتمنى إنك تكلمني في أي وقت..

دكتور «ألبير عياد».
شعر بأمل قادم، فتراقص قلبه فرحا.
- كتبت الرقم يا «كيمو»؟
- معلش قول الرقم تاني يا «زغلول».
دوَّن الرقم ثم استأذن «زغلول» في الانصراف، واتجه نحو سيارته على عجل وانطلق إلى بيته.
وصل إلى غرفته فدخلها، وأغلق الباب ثم جلس يقرأ الرسائل بعد أن وضع حقيبته والجهاز الجديد على الفراش:
أستاذ «كريم».. قدراتك ممكن ترجع تاني، وأنا الوحيد اللي أقدر أساعدك، أرجوك كلمني.. دكتور «ألبير عياد».
أستاذ «كريم».. أنا بحاول أوصل لك بقالي أسبوع ومش عارف، أتمنى تكون بخير.. دكتور «ألبير عياد».
أنهى قراءة الرسائل بسرعة وفرح، ثم أجرى اتصالا بالرقم وانتظر حتى أتاه صوت الطبيب:
- دكتور «ألبير»؟
- «كريم»؟ أخيرًا يا راجل؟!
- آسف يا دكتور، بس كان عندي ظروف الأيام اللي فاتت.
- ولا يهمك، أنا فعلا قلقت عليك.
- الله يخليك.
- المهم، أنا لازم أقابلك ضروري.. يا ريت لو ينفع دلوقتي.
نظر «كريم» إلى ساعة الحائط فوجدها قد تعدت الحادية عشرة مساءً.
- الساعة ١١ ونص يا دكتور، ممكن نخليها يوم تاني؟
- طيب بكرة تجيلي المركز.
- أنا بكرة عندي مشوار مهم.
- أرجوك يا «كريم» تيجي بكرة، وما تقلقش مش هاخد من وقتك كتير.
- مممممم، طيب على الساعة ١٢ الضهر كويس؟
- ممتاز.. بس أرجوك تيجي.
- أكيد يا دكتور.. شكرا على اهتمامك.
- ده أنا اللي المفروض أشكرك إنك جيت لي.. مستنيك بكرة.
- بإذن الله.. مع السلامة.
- مع السلامة.
أغلق الهاتف وهو يشعر بفرحة ممزوجة بكثير من التعجب من إلحاح الطبيب، كأنه هو المريض الذي يبحث عن علاج، ثم نفض عن ذهنه ذلك كله وقد عاوده شعور عارم بالفرحة، لا لأن الأمل

في عودة قدرته أصبح في الإمكان، لكن لأنه غدا سيلتقي توأم روحه.. «تقى».

* * *

المركز الطبي العالمي للأبحاث

في اليوم التالي وفي تمام الثانية عشرة كان قد وصل إلى المركز ووقف أمام حارس الأمن الذي لم ينتبه لقدومه.

- دكتور «ألبير عياد».

رفع حارس الأمن رأسه ليجد «كريم» يقف أمامه وهو يبتسم ابتسامة لزجة، فدفع إليه الكشف بحنق - دون أن يطرح أي أسئلة - فوقّع «كريم» في الكشف واتجه إلى الباب، ولم تكد تمر خمس دقائق حتى كان في مكتب الطبيب «ألبير» يتناقشان في ما وصلت إليه النتائج، كان الطبيب يتكلم بحماس بالغ وهو يعرض النتائج واحدة تلو الأخرى، وما إن انتهى حتى أغلق الملف وهو يقول:

- وده يدل بشكل قاطع إن مخك بالفعل يقدر يخليك تعمل حاجات خارقة للعادة.

ابتسم «كريم» من قول الطبيب:

- يا دكتور أنا متأكد من كده، المشكلة هنا إني فقدت القدرات دي.

لوَّح الطبيب بيده بثقة:

- قلت لك مفيش حاجة اسمها فُقدت، هي بس معطلة حاليا وبالتأكيد إعادة تفعيل الجزء ده من المخ في الإمكان.

راودت «كريم» المخاوف فقال على الفور:

- طيب إزاي؟ عملية جراحية مثلا؟

- لا ما تخافش، عملية الاستعادة هتبقى مسئوليتك انت، أما أنا دوري هيبقى عامل مساعد ليس أكثر.

- إزاي؟!

- سيبك دلوقتي من الطريقة، واحكي لي كل حاجة من الأول.

نظر «كريم» إلى ساعة يده، فوجدها قد تجاوزت الواحدة والنصف ظهرا، فرفع رأسه مجددًا إلى الطبيب وقال بحرج:

- آسف جدًّا يا دكتور، بس أنا لازم أمشي، علشان عندي مشوار مهم جدًّا.

- أهم من استعادة قدراتك؟

- بصراحة أيوه.. هروح أقابل خطيبتي، علشان ما شفتهاش بقالي فترة.

قالها وهو يبتسم، فضحك الطبيب ثم فتح درج مكتبه وأخرج علبة بلاستيكية بلا اسم مدون عليها وقدمها إلى «كريم» وهو يقول:

- ماشي يا سيدي.. خد الحبوب دي تلات مرات في اليوم، وتستمر عليها لحد ما أقول لك خلاص.

- اسمه إيه الدوا ده؟

- لا، ده دوا جديد طوَّره مركز الأبحاث هنا، وأكيد مش هينزل الأسواق، لأن مرض فقدان القدرات الخارقة مش منتشر أوي زي ما انت عارف.

قالها وهو يغمز، فردَّ «كريم» بحيرة وهو يتأمل العلبة:

- مش فاهم.. طيب انتو عملتوا دوا زي ده ليه إلا لو كان فيه حالات مشابهة لحالتي؟!

- إحنا عندنا قسم كامل لأبحاث القدرات العقلية - سواء استعادتها أو جعل الإنسان العادي عنده القدرات دي - ومش شرط إن حالات زيك تقابلنا علشان نطور دوا زي ده.

- طيب يعني إيه «جعل الإنسان العادي عنده القدرات دي»؟ مش مستوعب.

- سيبك من الأسئلة دي كلها دلوقتي، ولما نتقابل أبقى أفهمك.. إيه رأيك نتقابل تاني النهارده؟

تبسم بحرج وهو يرد:

- النهارده مش هفضى قبل الساعة ٧، وأكيد المركز هيبقى قفل.

- لا يا راجل مركز إيه؟ إيه رأيك تقابلني النهارده في «سيتي ستارز» الساعة ٨ مثلا؟

- أوك.. شكرًا جدًّا يا دكتور على اهتمامك ده.

- ولا يهمك طبعا.. انت من النهارده الحالة الوحيدة اللي هاهتم بيها.

- شكرًا جدًّا.. السلام عليكم.

- مع السلامة.

قام من المقعد وصافح الطبيب وانصرف.

بعدما استقل سيارته وقبل أن ينصرف أتاه صوت ينبئ بقدوم رسالة على الهاتف، ففتحها ليجدها من «تقى» تطلب منه إحضار والدته معه - بناءً على رغبة والدتها - نظر إلى ساعة الهاتف فوجدها قد تعدت الثانية ظهرا، إلا أنه لم يملك إلا الاستسلام لطلبها، فأدار السيارة وانطلق إلى بيته أولا ليقل والدته.

ولم تمضِ ساعتان حتى كان هو ووالدته قد وصلا إلى منزل «تقى»، بعد الكثير من السلامات والسؤال عن الحال وعن رحلته الوهمية إلى شرم الشيخ، انفرد بحبيبته في أحد أركان الردهة وهو يقدم لها الهدية:

- أحلى هدية لأحلى «تقى» في الدنيا.

- أنا ما يهمنيش الهدية قد ما يهمني إني أتطمّن عليك.

- يا شيخة قولي كلام غير ده، ده انتي عينيكي طول القعدة على الهدية.

فضيّقت عينيها بغيظ:

- بقى كده؟! طيب مش عايزة منك حاجة يا رخم، وكمان هقوم وأسيبك.
- خلاص خلاص بهزر والله.
قالها وهو يضحك، ثم قدم لها علبة مغلفة فتحتها لتجد جهاز الكمبيوتر المحمول:
- إيه ده؟ مش ده الجهاز بتاعك؟
- لأ طبعا يا حبيبتي، أنا جهازي في العربية، وبصراحة أنا حبيت إنك يبقى معاكي نفس الجهاز اللي معايا.
فتحت الجهاز وفي عينيها فرحة الانبهار:
- واااااو.. ربنا يخليك يا «كريم».
- ويخليكي ليَّ يا حبيبتي.
حانت منها التفاتة إلى المكان الذي كان يجلس فيه منذ قليل، فوجدت حقيبة الكمبيوتر فسألته بحيرة:
- طالما جهازك في العربية شايل شنطته معاك ليه؟
- آه صحيح.
قام من مكانه وأحضر الحقيبة وقدمها إليها.
- قلت برضه إن شنطتك تبقى زي شنطتي بالظبط.
- جميلة.
تقرب منها قليلاً وهو يهمس حتى لا يسمعه أحد:
- طيب بالمناسبة دي مفيش كلمة حلوة ليَّ؟
- آه طبعا.
قالتها وهي لا تزال تتفحص الجهاز، ثم صمتت ولم تعقب فعاجلها بسعادة:
- طيب قولي.
- أقول إيه؟
- الكلمة الحلوة.
- بسبوسة.
عدل ظهره بغيظ واضح، وأطبقت هي شاشة الجهاز على لوحة المفاتيح وهي تبتسم ابتسامة واسعة وتكتم ضحكتها:
- هو أنا قلت لك قبل كده إنك رخمة؟
- كتيييير، ده أنا بيتهيألي إنك بعد كده هتقول لي يا رخمة بدل صباح الخير.
- ماشي يا «تقى».
- يا «كريم» ما تستعجلش، بعد كتب الكتاب هتزهق من كتر ما هقولها.
- أما نشوف.. يا رخمة.

obeikan.com

لم يعرف كيف مر الوقت سريعا إلا عندما حانت منه التفاتة إلى ساعة الحائط، فوجدها قد قاربت على السادسة والنصف، فقام مسرعا وهو يجذب أمه:

- معلش أنا مضطر أستأذن دلوقتي علشان عندي مشوار ضروري.

فردت «تقى» بغيظ:

- النهارده يا «كريم»؟! جاي دلوقتي ويبقى عندك مشوار مهم؟!

- آسف جدًا يا «تقى»، بس بجد غصب عني.

- طيب ما دام مشوار مهم يبقى روح انت، وأنا هبقى أوصل والدتك.

كانت هذه من والد «تقى» فجلست والدة «كريم»، وأشارت له أن يذهب هو.

- ربنا يكرمك يا عمي.. معلش هتعبك معايا.

- لا يا حبيبي ولا يهمك.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

ثم أشار لـ«تقى» بيده وهو يهمس لها:

- سامحيني.

ثم أدار ظهره وانطلق.

بعد ساعة ونصف الساعة كان يقف وهو يجول بعينيه في الكافيه الذي حدده له الطبيب، حتى وجده يجلس في أحد الأركان يشير إليه، فتوجه ناحيته وجذب مقعدًا وجلس.

- اتأخرت عليك؟

- همَّ عشر دقايق بس.

- سوري.. الطريق كان زحمة جدًا.

- ولا يهمك.. ندخل في المهم.

- وحضرتك مستعجل ليه كده؟

- الوقت يا «كريم»، لازم أقدر أفهم المشكلة في أقرب وقت علشان نوصل للسبب اللي خلى قدراتك تتعطل.

- تحت أمرك.

ثم ابتسم وهو يسأل الطبيب:

- تسمحلي أستفسر عن حاجة الأول؟

- طبعا.

- أنا ملاحظ إن كلامك كله بالعربي من غير إدخال جمل إنجليزية في الكلام زي أغلب الدكاترة!

- أنا بتكلم أربع لغات يا «كريم»، وقضيت حياتي ما بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وأمريكا، تفتكر وأنا في ألمانيا ممكن أكلمهم إنجليزي؟ أو وانا في أمريكا هكلمهم ألماني؟ اللي بقى بيكلمك إنجليزي في

obeikan.com

وسط العربي ده يا إما عاش معظم حياته بره لدرجة إنه نسي العربي، يا إما متنطع.
- متنطع! دي كلمة عربية جامدة جدًّا!
- يعني فاكرني هجيد اللغات التانية أكتر من لغتي الأم؟
- ممتاز يا دكتور بجد.
- يا ابني ركِّز وخلينا في مشكلتك انت.
- ماشي ماشي.. تحب تعرف إيه؟
قالها وهو يضحك فرد الطبيب بجدية:
- احكي لي كل حاجة من الأول، كل حاجة تخطر على بالك.
- أوك.. نقول الأول بسم الله.
قالها وهو يخلع ساعة يده ويشمر أكمامه كأنه سيدخل في قتال لا سيقص على الطبيب ما حدث.. ثم أسند ذراعيه على المنضدة وبدأ في الحديث.. ساعتان كاملتان قص فيهما كل شيء، من أول الأحداث الغريبة التي كانت تحدث في المنزل وهو صغير، والطبيب ينصت له باهتمام شديد دون أن يقاطعه - سوى بضحكة تارة على بعض الأشياء أو يدون في مدونة صغيرة أمامه بعض الجمل والملاحظات - وما إن انتهى «كريم» حتى صمت الطبيب قليلاً يشخبط في مدونته وهو يفكر قبل أن يرفع رأسه وهو يبتسم ابتسامة نصر:
- مذهل.
- إيه اللي مذهل؟ امتلاك القدرات ولا فقدانها؟
- امتلاك العدد ده من القدرات مستحيل، مش قصدي أكدبك؛ لأن الفحوصات أظهرت بالفعل وجود نشاط غريب في مخك، ممكن يبقى تأثيره هو وجود قدرات استثنائية.. لكن...
ثم أخذ يهز يده بانفعال وحماس:
- الاستبصار، القدرة على التحريك عن بُعد، ذاكرة الأشياء - زي ما سميتها - مع الأخذ في الاعتبار قدرات والدك، نقدر نضيف إن في المستقبل هتقدر تقرأ الأفكار، وكمان يبقى عندك قدرة التخاطر.
- في المستقبل؟!
قالها «كريم» بحيرة ثم أكمل:
- يا دكتور إزاي في المستقبل هيبقى عندي قدرات إضافية إذا كنت أنا فقدت...؟
أشار له الطبيب بيده مقاطعا وهو يقول:
- يا ابني قلت لك سيبك من موضوع الفقدان ده، اللي انت فيه مجرد حالة إرهاق أو تعطيل للقدرات؛ بسبب الضغط القوي من تراكم القدرات، واللي أنا متأكد منه إن المخ بيقدر يتكيف مع أي وضع، وأكيد قدراتك هترجع تاني، وثِق تمامًا إن القدرات مستحيل تختفي تمامًا إلا باستئصال الجزء المسئول عن النشاط ده في المخ..
ثم أخذ يدوِّن أشياء أخرى في المدونة وهو يقول:

- استغرابي يا «كريم» هو إن وجود شخص عنده قدرة واحدة استثنائية يعتبر طفرة نسبة حدوثها بتبقى واحد في المليون، فما بالك بنسبة حدوث إن شخص واحد يجمع أكتر من قدرة استثنائية؟!

ظل «كريم» صامتًا وهو ينصت إلى الطبيب الذي كان يتكلم بحماسة شديدة - كأنه مشجع ألتراس يقف في المدرجات - وما إن انتهى الطبيب حتى قال له وهو يبتسم:

- السؤال الأهم دلوقتي يا دكتور هو: هل ممكن أسترجع قدراتي تاني؟

- أكيد.

- طيب إزاي؟

- اختفاء القدرات كان بسبب تعرض المخ لصدمة، والحل هو تعرضه لصدمة عكسية تجبره إنه يعيد تفعيل الجزء المسئول عن القدرات دي.

- صدمة عكسية؟! ودي هتتعمل إزاي؟

مسح الطبيب بكفه على وجهه ببطء، ووضعه على فمه للحظات قبل أن يقول ببطء:

- مش عارف.. بس أكيد هلاقي حل.

هز «كريم» كتفيه بلا مبالاة وهو يبتسم:

- على العموم، أنا كده خلاص مش مستعجل، وقدامي لحد السنة الجاية؛ لأن - زي ما قلت لك - فترة الخطر السنة دي مرت على خير.

- آه بالنسبة لموضوع الفيلم ده.

ثم نظر إلى المدونة مجددًا - قبل أن يعقب -:

- سامحني يعني، بس تصورك ده ساذج جدًا.

- تصور إيه؟

- تحديدك إن الفيلم مش هيتذاع غير في فترة الاحتفالات بتأميم القناة ده ساذج جدًّا؛ لأن القنوات بتاعتنا ممكن تذيع الفيلم في أي وقت وفي أي مناسبة، مش شرط في الاحتفالات بالتأميم، يعني عندك «نصر ٦ أكتوبر»، أو يوم وفاة عبد الناصر، أو عيد ميلاد الريس بتاع أول طلعة جوية، أو حتى في عيد ميلاد أحمد زكي..

- يا نهار إسود!!

قالها «كريم» بقلق من وقع كلمات الطبيب عليه، فعاجله الطبيب:

- علشان كده استعادة قدراتك في أقرب وقت هي دلوقتي أهم حاجة، لازم تركز فيها علشان تقدر تعرف السبب اللي ممكن يوصلك للي شفته في الرؤى، بس فكرة مراجعة برامج القنوات الفضائية دي ممتازة، ومعناها إن قدامك شهر من غير قلق.

فرد «كريم» بشرود:

- أتمنى يا دكتور.. أتمنى.

- سؤال: هل حصل قبل كده إن الرؤى اللي بتشوفها ممكن تغلط أو تتغير؟

تفكر «كريم» قليلاً وكأنه يستعيد الذكريات قبل أن يرد بنفس شروده:
- لأ، عمرها ما اتغيرت.
- أصل أنا عندي نظرية في الموضوع ده.
- نظرية إيه؟
- الأول، إحنا متفقين إن الزمن تلات أقسام: ماضي حدث بالفعل، وحاضر بيحصل دلوقتي، ومستقبل لم يحدث.. معايا؟
- معاك.
- الماضي لا يمكن تغييره؛ لأنه حصل خلاص، والحاضر إحنا اللي بنكوّنه بتصرفاتنا والاختيارات اللي بناخدها، والمستقبل بيترتب على تصرفاتنا واختياراتنا اللي بناخدها في الحاضر.. صح؟
أمال «كريم» رأسه يمنة ويسرة وهو يفكر في الكلام قبل أن يجيب:
- صح.
- تمام جدًّا، يبقى ما دام المستقبل لم يحدث، يبقى - بقدرة الاستبصار اللي عندك - ممكن تغير الرؤيا دي بمجرد تغيير الاختيار أو التصرف اللي هيسببها.
- بس يا دكتور المستقبل بيد الله ومش ممكن تغييره.
- سيبك من الكلام الفارغ ده وهضربلك مثال.. لنفرض إن أنا عندي قدرة الاستبصار، وجاتلي رؤيا إن أنا دلوقتي وأنا في الكافيه هقوم وهخبط الجرسون اللي هناك ده وهو معدي، وإن المشروبات هتقع على الأرض.. معايا؟
- معاك.
- جميل.. طيب هل قيامي من مكاني ده اختيار ولا إجبار؟
- اختيار طبعا.
- طيب، بما إن أنا عارف إني لو قمت هخبط الجرسون، فقررت - بإرادتي - إني مش هقوم، هيحصل اصطدام بيه؟ وهل الرؤيا هنا هتتحقق؟
- المفروض لأ.
- ده بالظبط اللي بكلمك عنه، بالإضافة إن عندكم - كمسلمين - الرؤى يا إما بشرى يا إما تحذير، بمعنى إن الرؤى لا يشترط لها أن تتحقق.
ابتسم «كريم» من كلام الطبيب واتسعت ابتسامته عندما تذكر حديث صديقه السلفي «خالد» الذي حدثه من قبل عن رؤيا الصحابي «عبد الله بن عمر».
- ده انت كمان دارس الدين الإسلامي.. انت أسلمت في السر ولا إيه؟
رد عليه الطبيب بابتسامة ساخرة ولم يجِب «كريم» الذي أكمل:
- انت مش ممكن يا دكتور بجد!
- تقدر تقول إن أنا موسوعي شوية، وبحب أعرف كل حاجة.. المهم نفضل على اتفاقنا، ونتقابل

بشكل مستمر لحد ما أقدر أوصل لطريقة تخلي المخ يعيد تنشيط الجزء المسئول عن القدرات بشكل كافي.

- بس اعذرني الأسبوع ده، علشان خطيبتي زعلانة مني ولازم أزهقها مني اليومين دول، بإذن الله هاعدي عليك في المركز يوم الحد مثلا.

- لا لا، انسى موضوع المركز ده خالص، وما تجيش هناك تاني.

- أمال هقابلك إزاي؟

- انت مش محتاج تحاليل ولا فحوصات تانية، بعد كده ممكن نتقابل هنا أو في أي كافيه تاني.

أشار «كريم» إلى النادل أن يحضر الفاتورة، ثم قال للطبيب وهو يبتسم:

- هو انت ساكن قريب من هنا ولا إيه؟

- لا خالص، ده أنا عندي فيلا في «٦ أكتوبر»، بس أنا من النهارده هتفرغ ليك.

- ربنا يكرمك يا دكتور.

حضر النادل ووضع حافظة جلدية بداخلها الفاتورة على المنضدة، وابتعد قليلاً فمد «كريم» يده ليأخذها، فحدجه الطبيب بنظرة حادة ممزوجة بغضب:

- انت هتعمل إيه؟

- هحاسب.. كفاية تعبك معايا.

- انت عندك كام سنة يا حبيبي؟

تعجب «كريم» من السؤال الذي يدرك أن الطبيب يعرف إجابته مسبقًا، إلا أنه أجاب بحيرة:

- حوالي ٣١ سنة.

- وأنا عندي ٦٥ سنة، يعني انت بالنسبة ليَّ «سوري يعني» عيل.. عيب يا حبيبي تحاسب والأكبر منك موجود.

فدفع «كريم» الحافظة إلى الطبيب وهو يضحك:

- أوك أوك.. آسف يا دكتور.

- أيوه كده.

التقط الطبيب الحافظة ووضع بداخلها بعض المال وأعادها على الطاولة، فتقدم النادل وأخذ الحافظة وانصرف، وقام الطبيب وتبعه «كريم» حتى خرجا من الكافيه؛ فالتفت إليه الطبيب وقال قبل أن يصافحه:

- تحب أوصل لك لأي مكان؟

- ربنا يكرمك يا دكتور، عربيتي في الباركينج تحت.

- تمام.. كلمني الأسبوع الجاي علشان نتقابل.

- بإذن الله.

- بس يا ريت ما تكسلش.. مع السلامة.

- مع السلامة يا دكتور.

ظل «كريم» واقفا وهو يتابع الطبيب وهو يستقل المصعد إلى أسفل وهو يبتسم، ثم أخذ يدور في ممرات المول قليلا، ثم انطلق إلى الجراج واستقل سيارته عائدا إلى بيته، وفي الوقت نفسه كان الطبيب لا يزال جالسا في سيارته وقد أخرج الكمبيوتر المحمول الخاص به وولج إلى الإنترنت، ثم فتح برنامج المستشفى وأخذ يستعرض ملفات الحالات المسجلة حتى توقف عند ملف «كريم»، فأخذ يتأمله قليلاً قبل أن يستعرض القائمة العليا ويضغط زرا فيها، ثم انتظر حتى ظهرت جملة: «File has been deleted».

obeikan.com

الآلهة

٩ أغسطس ٢٠٠٨

جلس «كريم» على طرف الفراش وهو يجري اتصالا بـ«تقى»، فأتاه الجرس قبل أن يتغير الصوت ليعلن أنها قد ضغطت زر رفض المكالمة، فألقى الهاتف جانبا ثم وضع يده على المنضدة المجاورة للفراش وهو يسند رأسه إليها..

لم يشعر بمثل هذا الحزن منذ فترة طويلة، فطوال اليومين الماضيين لم تجب «تقى» على أي اتصال له، على الرغم من أنه هاتفها عشرات المرات، ليظل الجرس يرن دون أن ترد أو تضغط زر رفض المكالمة، وحتى عندما حاول الاتصال على هاتف المنزل كان الرد دائمًا من والدتها أو والدها بحرج أنها نائمة وترفض الاستيقاظ، وعلى الرغم من إرساله عشرات الرسائل النصية - وهو يرجوها أن تجيبه تارة أو يعتذر إليها تارة أخرى - فإن ذلك لم يشفع له عندها..

كان يعلم أنها غاضبة من تصرفه الأخير عندما تركها وانصرف، وود لو تتيح له فرصة الاعتذار، فظل يفكر ويفكر وهو على الوضعية نفسها، حتى اهتدى لفكرة، فقام فجأة وخرج إلى الردهة وجلس بجانب والدته:

- حبيبتي يا بطة.

- عايز إيه؟

ردت عليه وهي ممسكة بالريموت وتتنقل بين القنوات:

- إيه المعاملة السودة دي؟

- أصلك مش هتتمحلس كده غير لو عايز حاجة.

- لا والله أبدا، هو بس طلب صغير أوي.

- مش قلت لك؟ عايز إيه بقى؟

- أنا بس عايز أعمل مكالمة من موبايلك.

تركت الريموت والتفتت إليه وهي تنظر إليه بتعجب:

- يا سلام، وموبايلك ماله بقى إن شاء الله؟ فاصل شحن ولا مش معاك رصيد؟

- ولا ده ولا ده، بس بصراحة عايز أكلم «تقى».

- آآآآآآه.. قلت لي.

obeikan.com

ثم عادت لمتابعة التلفاز وهي تعقب:
- هي لسه مش عايزة ترد عليك؟
- أيوه.
- والله معاها حق.
- يا حاجَّة ده أنا ابنك مش هي.
- أيوه بس الحق حق، وانت حركاتك زي الزفت.
- ما أنا عايز أكلمها علشان أصالحها أهه.
- طيب اتنيل روح كلمها، التليفون في الأوضة بتاعتي على التسريحة.
فقام وقبل يدها وركض وهو يقول لها:
- ربنا يخليكي يا أحلى أم في الدنيا.
أمسك الهاتف بلهفة وأجرى اتصالا برقم «تقى»، وانتظر قليلاً حتى أتاه صوتها العذب وهي تقول:
- إزيك يا ماما؟
- طيب ما ينفعش إزيك يا حبيبي؟
سكون تام خيَّم عليهما، تخيَّل للحظة أنها ستغلق الهاتف في وجهه، لكن بدلاً من ذلك ظلت صامتة قرابة الدقيقة قبل أن ترد بجفاء:
- إزيك يا أستاذ «كريم»؟
قالتها وهي تضغط على حروف كلمة أستاذ، فلم يصمت هو وانهال عليها بكلمات الحب - وقد تذكر جملة قرأها من قبل أن كلمات الحب تذيب ثلوج الغضب عند المرأة -:
- إزيك يا حبيبتي يا روحي يا قلبي، والله العظيم وحشتيني يا أجمل وأرق «تقى» في الدنيا كلها.
لحظة صمت أخرى منها قبل أن تقول بلهجة أقل حدة:
- جزاك الله خيراً.
- خلاص بقى ما تبقيش رخمة.
- أنا اللي رخمة؟! ماشي يا سيدي زي ما تحب.
- «تقى».
- نعمين.
- سامحيني بقى.
- خليها على الله.
تناهى إلى مسامعه صوت سيارات كأنها في الشارع وليست في المنزل فسألها:
- إيه صوت العربيات ده.. انتي واقفة في البلكونة.
- لأ.. أنا جنب مركز كورسات.
- كورسات إيه إن شاء الله؟

obeikan.com

- أصل أنا اشتركت في كورس تويفل.
لا يعرف لماذا شعر كأن كلماتها تحمل قدرًا من محاولة إغاظته، وكأنها تخرج لسانها له وهي تقولها، فقال بدهشة ممزوجة بغضب:
- نعم.. وده من إمتى إن شاء الله؟
- اشتركت فيه من أسبوع.
- ومش المفروض برضه إن الواحدة تقول لخطيبها اللي هيبقى جوزها قبل ما تعمل كده؟
- آآآآه، معلش بقى، أصل أنا خطيبي اللي هيبقى جوزي قفل موبايله عشر تيام، ولما حنَّ عليَّ وجه زارني سابني فجأة علشان عنده مشوار مهم!!
أيقن أنه لن يفوز بحرب الكلام المتبادل معها، فقبل الهزيمة ورد برقة:
- نفسي أشوفك.
- وهو حد منعك؟
قالتها برقة وقد بات واضحا أن قلبها قد لان أخيرًا.. تمنى «كريم» وقتها لو استطاع أن ينتقل آنيًّا إلى مكانها، أن يحطم كل القواعد الفيزيائية السخيفة التي تحول بينه وبينها:
- «تقى» انتي فين دلوقتي؟
- قريب من محطة المترو بتاعة «الدقي».
- حبيبتي، أنا جايلك حالا.
- استنى يا مجنون.
- ما تحاوليش، أنا جاي حالا.. سلام.
- استنى بس.. انت فاكرني واقفة عند المحطة يعني؟
- آه صحيح.. طيب هاتي العنوان.
أملت عليه العنوان، فدوَّنه بسرعة قبل أن يغلق السماعة وهو يقول:
- جايلك حالا.. بحبك.
ساعة واحدة سار فيها بسيارته بسرعة جنونية، حتى لقد سار في عكس الاتجاه في عدة شوارع بسبب الازدحام غير مبالٍ بأي مخالفات قد تسجَّل عليه، حتى وصل إليها.. ورآها.
كانت قد انتهت من الدورة التدريبية لهذا اليوم وتقف أمام باب المركز، فاتجه إليها وقلبه يسابقه الخطى، كاد ينسى نفسه ويحتضنها من فرط شوقه إليها، لولا أن كبح جماح نفسه واكتفى بأن اقترب من جانبها وهي لم تره بعد ثم همس:
- وحشتيني.
انتفضت ذعرًا والتفتت إليه، ثم هدأت عندما رأته:
- إيه الحركات دي؟ خضتني.
- أعمل إيه طيب؟ أصل انتي والله وحشتيني.

- عارفة.
قالتها برقة ودلال يكفيان لإسقاط أشد الرجال صريعا في هواها:
- طيب مفيش «وانت كمان وحشتني»؟
- يا ابني انت مش بتيأس؟ قلت لك ما تستعجلش على رزقك، وكفاية إنك عارف أنا حاسة بإيه.
- أيوه حاسة بإيه بقى؟
نظرت إلى ساعة يدها ثم نظرت له وهي تبتسم:
- حاسة إني اتأخرت ولازم أروح.
- دلوقتي؟
قالها بيأس؛ فردت هي عليه بمرح وهي تتجه إلى سيارته:
- أيوه دلوقتي.. يلا وصلني، وأهه انت أولى بتمن التاكسي.
ضغط زر فتح السيارة ولحقها ليفتح لها الباب، ثم دار حول السيارة وركب خلف مقود السيارة، ثم أدار السيارة وانطلق وهو يسألها:
- مش جايبة اللاب توب معاكي يعني.
أشاحت بيدها:
- ما تفكرنيش.. اللاب ده عجيب الشكل والملامح بصراحة.
- نعم يا أختي.. اللاب الـ«Apple» وحش؟!
- يا سيدنا ما قولتش وحش، بس فيه زراير مكانها متغير، وأرخم حاجة بجد هو السيستم بتاعه.
- لا، لو كده يبقى عادي، انتي بس مستغربة علشان هو مختلف عن الويندوز شوية.
- قول مختلف جدًّا مش شوية بس، ثم المفروض لما تجيب لي جهاز السيستم بتاعه مختلف تعمل أي واجب.
- أعمل إيه يعني؟
- يعني تنزلي عليه برامج «Firefox» ،«IDM»، برامج تشغيل أفلام و«كودك».. كده يعني.
- أوامرك يا قلبي، هروح معاكي أقابل باباكي في موضوع، وأنا ماشي هاخد اللاب منك.
التفتت إليه بجسدها كله وهي تضع ذراعها خلف مسند مقعده وهي تسأله:
- موضوع إيه ده إن شاء الله؟
- حاجة كده هتبقى تعرفيها.
- بتخبي عليَّ يا «كريم»؟ براحتك.
- يا حبيبتي مش بخبي، بس حابب أخليها مفاجأة.
- ماشي يا Mr. surprise.
- هو اللي هتاخديه في الكورس هتطلعيه عليَّ ولا إيه؟
قالها وهو يضحك، فضحكت هي الأخرى وهي تقول بلهجة مسرحية:

- Of course.

أكمل الطريق وهو يتجاذب معها أطراف الحديث، حتى وصلا إلى أمام منزلها، فأوقف السيارة ونزلا منها، ولم تمر دقيقتان حتى كان يجلس في غرفة الاستقبال مع والدها ووالدتها - بعد طلب الانفراد بهما قليلاً - وذهبت «تقى» إلى غرفتها بناءً على طلبه، جلس معهما قليلاً وهو يعبث في أصابع يده كأنه يبحث عن بداية للكلام، فسأله والدها بود:

- مالك يا «كريم»؟ قول عايز إيه؟

- بصراحة يا عمي، كنت عايز أكلمك في موضوع «كتب الكتاب».

- جميل.. إيه بقى؟

- يعني حضرتك مش شايف إننا اتأخرنا أوي؟

- ما انت عارف الظروف يا «كريم».

- أيوه يا عمي بس دلوقتي فات حوالي شهر، والحي أبقى من الميت.

تبادل والد «تقى» النظرات مع والدتها التي أومأت برأسها إيجابا؛ فقال باستسلام وهو يبتسم:

- طيب تحب إيه؟

- يعني يا ريت لو نخلي كتب الكتاب والشبكة الشهر ده.

- طيب سيبني أفكر.

- صلِّ على النبي بقى يا عمي ووافق.

ثم وجه الكلام لوالدة «تقى» وهو يقول برجاء:

- ما تقولي حاجة يا طنط.

فابتسمت وهو تقول لزوجها:

- ما توافق بقى يا أبو «تقى» وخلينا نفرح، وكفاية إننا أجلنا كتب الكتاب الفترة دي كلها.

- يعني انتي شايفة كده؟

- بصراحة آه.

فقام «كريم» من مكانه وقبَّل وجنتها وهو يقول لها فرحا:

- ينصر دينك يا أحلى واحدة في الدنيا.

- بس يا بكاش.

ثم التفت إلى حميه:

- إيه رأيك في الجمعة الجاية يا عمي؟

- لأ حيلك.. خليها آخر جمعة في الشهر، علشان أكون عملت حسابي.

جلس «كريم» وأخذ يحسب اليوم.

- يعني يوم «٨/٢٩»؟ ماشي يا عمي.

- على خيرة الله.

ثم أشار لزوجته:
- روحي اندهي «تقى» وقوليلها.
فقامت مسرعة، وقام هو أيضًا وهو يقول:
- هقوم أنا كمان علشان تتكلم انت و«تقى» براحتكم.
- تسلم يا أبو الذوق كله.
لحظات وكانت «تقى» تجلس معه وحدها، وقد وضعت حقيبة الكمبيوتر المحمول بجانبها فقال لها بفرح:
- إيه رأيك في المفاجأة دي بقى؟!
هزت كتفيها وهي تضحك:
- ولا مفاجأة ولا حاجة.. هو انت هتكلم بابا في إيه غير كده يعني؟
- يا سلام على الرخامة.. ماشي يا ستي، بس عارفة بعد كتب الكتاب لو عملتي حركاتك الرخمة دي تاني؟
- هتعمل إيه؟!
- ولا حاجة، هفضل أحبك برضه.
- ما أنا عارفة.
- يا سيدي ع السيطرة!
ثم أشار إلى الحقيبة:
- هاتي الكمبيوتر طيب، هاظبَّطه وأجيبهولك في أقرب وقت.
- هتمشي دلوقتي ولا إيه؟
قالتها وهي تعطيه الحقيبة، فأخذها وهو يقوم من مجلسه:
- مش عايز أبقى تقيل يا حبيبتي، وكفاية إني جيت من غير معاد.
ضيقت عينيها وهي تنظر إليه وتقول ببطء:
- ماشي.
فترك الحقيبة وجثا على ركبتيه أمامها:
- زعلانة؟
ارتسمت على ملامحها ابتسامة عذبة، وفي عينيها ضحكة أجمل طفل:
- لا مش زعلانة.. وقوم قبل ما حد يشوفك.
فقام وحمل الحقيبة وقال وهو يخرج من الغرفة:
- كلها عشرين يوم يا حبيبتي.. سلام.
وقبل أن يخرج اصطدم بوالدة «تقى» فسألته:
- رايح فين يا ابني؟

obeikan.com

- لازم أمشي دلوقتي يا طنط.
- يا ابني استنى ده أنا خلاص جهزت الأكل.
- بالهنا والشفا انتوا بقى.. تتعوض إن شاء الله.
- ماشي يا حبيبي.. ربنا معاك.
- الله يكرمك.. السلام عليكم.

خرج على الفور ولم ينتظر ردها.. وبينما هو على درجات السلم أتاه صوت هاتفه، فأخرجه ونظر إلى شاشته فوجد المتصل هو الطبيب «ألبير» فأجاب على الفور وهو يخرج من المنزل:

- دكتور «ألبير».. إزي حضرتك.
- .....
- لا، أنا النهارده فاضي.
- .....
- طيب تمام، أقابل حضرتك الساعة ٨ في نفس الكافيه؟

كان قد وصل إلى سيارته، فأغلق الهاتف، وقبل أن يستقل السيارة لمح في المقهى المجاور آخر شخص يتمنى رؤيته، رأى «حازم حديدة» يجلس وحوله بعض المهنئين أو المنافقين - إن شئت الدقة - الذين هللوا فرحا عندما تم القبض عليه، واليوم يتسابقون إلى تقديم التهنئة بخروجه من المعتقل، يقبِّلونه على وجنته، ومن فرط حماستهم الزائفة ربما يقوم بعضهم بتقبيل يده حتى يثبتوا ولاءهم لبلطجي المنطقة، وكأن ما يحدث هو تجسيد لما كان يفعله الحرافيش مع فتوتهم المتجبر وحامي حمى الفساد!

بهدوء انسل إلى السيارة وانطلق في الاتجاه العكسي حتى لا يراه، وأخذ يتذكر ما تسبب هو في فعله لـ«حديدة»، وما الذي يمكن أن يفعله به إذا علم أنه هو من أبلغ عنه، لا يدري لماذا اعتقد أن الرؤى التي كانت تأتيه أصبحت لطيفة جدًّا بجانب ما قد تنتجه قريحة «حديدة» من وسائل التعذيب، تذكر ما قرأه عمَّا حدث لمن أخفوا إسلامهم، وكيف قامت محاكم التفتيش في «إسبانيا» بسلخ جلود بعضهم، أو وضعهم على مقاعد بها مسامير تدخل من جانب وتخرج من الجانب الآخر، جسَّد له شيطانه أنه مقيد في أحد تلك المقاعد، و«حديدة» يقف أمامه ويقوم بدور الجلاد.

ضرب مقود السيارة بغضب وهو يسير بها، وفي الأفق يبتسم ألف شيطان، الحظ العثر دائمًا يطارده أينما ذهب، كأنه ذبابة مصابة بمرحلة متقدمة من الزهايمر تدور حول وجهه باستمرار، في شهره هذا سيعقد زواجه على توأم روحه، وفي شهره هذا خرج مَن بيده أن يعكر صفو حياته، لو كان بطل فيلم أمريكي لكان الحل أن يستأجر قاتلا محترفا يخلصه من عدوه، لكن – للأسف - الحياة ليست في سهولة الأفلام، وعندما وصل إلى أمام المقهى في «بولاق الدكرور» أوقف سيارته ونزل منها، وتوجه إلى أحد مقاعد المقهى وهو يتمتم:

- استرها يا رب.

* * *

المركز الطبي العالمي للأبحاث

في الوقت نفسه، كان الطبيب «عماد» يجلس في مكتبه وهو يعبث في الكمبيوتر الموضوع أمامه، ويستعرض البرنامج الخاص بالحالات المسجلة مرة تلو المرة، والدهشة مرسومة على وجهه، وكلما وصل إلى نهاية القائمة عاد إلى أولها مجددًا، ثم ضغط أيقونة البحث وكتب «كريم عبد الله»، ثم ضغط على زر البدء، وانتظر قليلاً حتى ظهرت له كلمة واحدة «Unavailable»، فأغلق شاشة الكمبيوتر على لوحة المفاتيح بعنف، حتى كاد يحطمها، وظل صدره يعلو ويهبط في غضب، ثم نظر إلى الهاتف الموجود أمامه، ومن دون أن يرفع السماعة ضغط زرا مكتوبا عليه «IT manager» وانتظر قليلاً حتى أتاه صوت خشن نوعا:

- أيوه يا دكتور «عماد».

تمالك أعصابه وحاول التكلم بهدوء:

- بقول لك يا باشمهندس «أشرف»، في حالة كنت مسجلها على البرنامج باسم «كريم عبد الله» بس مش لاقيها، وعملت بحث أكتر من مرة وبرضه اختفت:

- طيب ثواني.

بصبر نافد صمت وانتظر الرد، حتى مرت دقيقتان قبل أن يأتيه الصوت من الهاتف:

- آه، الحالة دي اتحذفت، ومسجل عندي في الـ«Log file» إن اليوزر اللي شالها هو الدكتور «ألبير».

- إزاي يا باشمهندس؟! هو مش المفروض إنك انت الوحيد اللي تقدر تلعب في البرنامج ولا إيه؟!

خرجت عباراته بغضب رغما عنه، فأتاه صوت مدير المعلومات بهدوء ممزوج بالحزم:

- اهدى يا دكتور «عماد» بعد إذنك، صلاحيات دكتور «ألبير» بما إنه مدير المركز هي نفس صلاحيات الـ«Administrator» وأنا وإن كنت أقدر ألعب في البرنامج، فده ما يدينيش أي حق في حذف أو إضافة أي حالة، وانت عارف كده كويس، ويا ريت لو فيه مشكلة تخاطب دكتور «ألبير» مش أنا.

- أوك يا باشمهندس.. شكرا.

ثم ضغط زر إنهاء الاتصال، ووضع يده اليسرى على وجهه، وأغمض عينيه وهو يفكر قبل أن يقوم فجأة من مكانه ويتجه بسرعة إلى غرفة الطبيب «ألبير» فوجد الأخير يخرج من الغرفة ويغلقها ثم يلتفت إليه ويبتسم:

- مالك يا «عماد»؟ شكلك تعبان.
توقف أمامه وهو يصطنع الهدوء ومد يده وصافحه:
- مش تعبان ولا حاجة، أنا بس مرهق شوية.
- طيب يلا روح استريح، ولو عايز إجازة قول.
- لا إجازة إيه؟ حضرتك عارف إن الشغل حياتي.
- طيب يا سيدي.. أستأذنك أنا دلوقتي علشان عندي مشوار مهم.
وقبل أن يرحل عاجله الطبيب «عماد»:
- دكتور «ألبير»، بعد إذنك عايز أسألك عن حاجة:
بحنان أبوي أجابه:
- اتفضَّل يا «عماد».
- بالنسبة للحالة اللي جت من فترة اللي اسمه «كريم» ده.
بحذر رد الطبيب «ألبير».
- ماله؟
- أصلي النهارده - وأنا بستعرض الحالات - لقيت ملفه مش موجود فقلت أسأل حضرتك، يمكن حصل حاجة جديدة.
صمت الطبيب «ألبير» للحظات وهو يتطلع إلى عيني الطبيب «عماد» وكأنه يسبر أغوار عقله، ثم قال بهدوء:
- لا يا «عماد» مفيش جديد غير إن «كريم» ده طلع موضوعه فشنك (Fake) من الآخر.
- أيوه يا دكتور بس الفحوصات بتقول...
قاطعه بحزم هذه المرة:
- «عماد».. أنا في مجال القدرات الخارقة ده بقالي أكتر من تلاتين سنة، وعارف أنا بقول إيه، انسى بقى موضوع الفحوصات والكلام الفارغ ده.
توتر في وقفته وقلبه يغلي من الغيظ والغضب وهو ينظر إلى الطبيب «ألبير» وتخيل نفسه وهو يلكمه في وجهه ويحطم جمجمته، أو يضع يده في بطنه ويُخرج عموده الفقري من مكانه، إلا أنه حاول تمالك أعصابه وهو يبتسم ابتسامة مرتعشة ويقول:
- تمام يا دكتور.. أنا بس حبيت أعرف من حضرتك.
- حاجة تانية يا «عماد»؟
- لا يا دكتور، اتفضَّل حضرتك.. الرب يحفظك.
قالها وهو يمد يده ليصافحه، فقال الطبيب بسخرية وهو يغمز بعينه بعد أن صافحه:
- خليه يحفظك انت.
ثم انطلق صوب المصعد ودخله، في حين ظل الطبيب «عماد» يتطلع بغضب إلى المكان الذي كان

يقف فيه الطبيب «ألبير»، ثم عاد إلى غرفته وهو يغلق الباب بعنف وهو يتمتم:

- ملحد ابن وسخة.

ثم ارتمى على الأريكة الموضوعة بجانب المكتب الخشبي وفرد قدميه وظهره عليها وأغمض عينيه، وظل على الوضعية نفسها بلا حراك حتى مر نصف ساعة، فقام واتجه إلى الهاتف واتصل بحارس الأمن:

- دكتور «ألبير» خرج ولا لسه يا «فتحي»؟

- خرج يا دكتور من شوية.

- طيب فيه حد تاني في المركز؟

- لا يا دكتور، كله مشي خلاص، حضرتك الساعة ٦ ونص.

- طيب تمام.. شكرا يا «فتحي».

أنهى الاتصال وفتح درج مكتبه، وأخرج نسخة مفتاح غرفة الطبيب «ألبير» التي استنسخها في غفلة من الأخير، وأخرج جهاز تسجيل آخر، وبسرعة توجه إلى غرفة الطبيب «ألبير» وفتحها، ومن دون تردد توجه ناحية المكتب الخشبي ومد يده أسفله، وأخرج جهاز التسجيل ووضعه في جيب معطفه واستبدل به الآخر، وخرج بعد أن أغلق باب الغرفة وتوجه إلى غرفته، وبعد أن أخرج سماعة من درج مكتبه ووضع قطبها بداخل جهاز التسجيل وسماعتها في أذنه استلقى على الأريكة وضغط زر الاستماع وهو يسرع ما تم تسجيله حتى توقف عندما سمع اسم «كريم»، فأرجع التسجيل قليلاً ثم أغمض وهو ينصت باهتمام شديد..

* * *

في التاسعة مساءً كان «كريم» والطبيب «ألبير» يجلسان في أحد كافيهات «سيتي ستارز»، وقد مر عليهما قرابة الساعة وهما يتحدثان وأمام كل منهما قدح من القهوة، فأمسك «كريم» بقدحه وهو يرشف منه والضيق بادٍ عليه:

- مالك يا ابني؟ فيه حاجة شغلاك.

- لا مفيش، بس «حازم» زفت «حديدة» ده خرج من السجن وشوفته النهارده.

قطب الطبيب حاجبيه يتذكر الاسم، ثم ابتسم وهو يقول:

- مش ده اللي انت بلغت إنه عايز يفجر الكنيسة علشان تخلص منه؟

- أيوه هو.. مش عارف خرج إزاي ده!

- ما تقلقش منه، ولو تحب أنا ليَّ اتصالاتي، وممكن أرجعه السجن تاني.

- هشوف، لو رجع لنفس الرخامة بتاعة الأول أكيد هقول لك.

ثم تذكر أمرا فأخرج من حقيبته الموضوعة على المقعد المجاور كتاب «الإنسان الخارق.. الخطوة

القادمة للتطور» الذي ألفه الطبيب «ألبير» بنفسه وقال له:
- صحيح يا دكتور كنت عايز أستفسر منك عن حاجة.
- اتفضَّل.
أخذ «كريم» يقلب في صفحات الكتاب حتى توقف عند صفحة قد ثنى طرفها السفلي.
- انت قايل هنا: «القدرة على رؤية المستقبل، تحريك الأشياء بالقدرة العقلية وحدها، تجدد الخلايا تلقائيا، الانتقال الفوري من مكان لآخر، أو حتى القدرة على الطيران.. هل هذا خارج نطاق إمكانية البشر، أم أن الإنسان يدخل مرحلة جديدة من التطور تجعله يقف أخيراً على عتبة الإمكانات البشرية الحقيقية؟».. سؤالي هنا هو قصدك إيه بأن الإنسان بيدخل مرحلة جديدة من التطور؟
قطَّب الطبيب حاجبيه مليًّا ثم سأل باستغراب:
- مش فاهم السؤال؟
أغلق «كريم» الكتاب وأعاده إلى حقيبته، ثم اعتدل وهو يقول:
- قصدي هل معنى كلامك «إن ظهور أشخاص يمتلكون قدرات خارقة أو استثنائية» - زي ما بتسميهم - ده شيء جديد على البشرية وعمره ما كان موجود قبل كده؟
- أهاا.. لأ مش ده قصدي ده، كمان يمكن العكس هو الصحيح.
- بمعنى؟
- بمعنى إن نسبة وجود أشخاص يمتلكون قدرات استثنائية في العصور الأولى أعلى منها في أي عصر تاني متقدم، بص يا «كريم»...
ثم رسم منحنى في الهواء يتدرج من أعلى لأسفل وهو يكمل:
- وجود قدرات استثنائية زي «Curve» بدأ من أعلى نقطة وفضل يقل مع الزمن لحد ما وصل لنقطة السكون أو «نقطة الصفر» وفجأة بدأ يطلع تاني بشكل بطيء وتدريجي لأعلى تاني، لكن طبعا لم يصل إلى النقطة اللي كان فيها في البداية..
ظل «كريم» صامتًا وهو يتطلع إلى الطبيب وقد ارتسمت على ملامحه نظرة بلهاء، فضحك الطبيب بشدة وفهم أن «كريم» لم يستوعب شيئا، فقال معقبا:
- هضرب لك أمثلة مهمة، بس خلينا في أبسط مثال: الإنسان الأول بسبب الظروف الخطرة المحيطة كان بيقدر يتحكم في أجزاء من جسمه، إحنا دلوقتي ما نقدرش نتحكم فيها - زي الودن مثلا.
- الودن؟!
قالها «كريم» بتعجب، فأومأ الطبيب برأسه إيجابا وهو يكمل:
- أيوه الودن، الإنسان الأول كان بيقدر يتحكم في عضلة الأذن لدرجة إنه يحركها في الاتجاهات المختلفة بشكل مستقل؛ لتحديد موضع الخطر بالظبط، زي ما الحربايا بتقدر تحرك العينين وتشوف مكانين مختلفين في الوقت نفسه.

صمت الطبيب لما وجد أن «كريم» غير منتبه، وهو يحاول بحركة لا إرادية تحريك أذنيه، فأخذت حواجبه تتراقص بدلا من ذلك، فتبسم وسأله:

- بتعمل إيه يا ابني؟

انتبه «كريم» فضحك بارتباك:

- آسف، مش عارف ليه جاتلي حالة عصبية وكنت عايز أجرب موضوع تحريك الأذن ده!

ثم رفع قدح القهوة ورشف منه ثم أعاده إلى مكانه وهو يتساءل:

- بس انت كده بتكلمني عن التحكم في بعض عضلات الجسم، ودي مش القدرات الاستثنائية اللي أقصدها.

- فاهم طبعا، بس أنا حبيت أبدأ بحاجة بسيطة، قول لي بقى يا «كريم» إيه رأيك في الآلهة؟

- آلهة! لا إله إلا الله يا دكتور.

قالها بتلقائية فرد الطبيب بسرعة:

- يا سيدي زي ما تحب، بس أنا قصدي على الآلهة بشكلها الوثني، اللي ظهرت في العصور الأولى عند شعوب الإغريق والفراعنة وبلاد ما وراء النهرين وشعب المايا.

- آه، قصدك زينا وهرقليز والناس دي؟!

جملة «كريم» الأخيرة جعلت الطبيب يصاب بهستيرية ضحك شديدة أدمعت عينيه، حتى تخيل «كريم» أن الطبيب سيستلقي على ظهره ويرفص برجليه، ظل الطبيب يضحك حتى انقلبت الضحكات إلى سعال فأمسك صدره وهو يسعل بشدة، فهرع «كريم» وقدم له كوب الماء الموضوع أمامه، فتناوله الطبيب ورشف منه وأعاده إلى المنضدة وهو يحاول منع نفسه من الضحك وقال:

- يخرب عقلك.. إيه ثقافة المسلسلات دي؟!

فرد «كريم» بخجل:

- أصل أنا ما قريتش كتير في الميثولوجي.

- ده انت كده ما قريتش خالص.. أنا هفهمك.

ثم أخذ نفسا عميقا ومسح عينيه براحة يده اليمنى، وقد عاد إليه هدوءه وأكمل:

- عند الإغريق - مثلا - الأساطير بتقول: إن كان فيه مجلس من الآلهة اسمه المجلس الأولمبي بيتكون من ١٢ إله، هم: «زيوس، هيرا، بوسيدون، هايدس، أثينة، أفروديت، أبوللو، أرتميس، أريس، هيفاستيوس، هيستا وهيرميس» وممكن نضيف ليهم هيرقل علشان خاطرك.. معايا؟

- معاك.

- تعالى ناخد منهم تلاتة مثلا، أولا: «زيوس»، القدرة المنسوبة ليه هي: التحكم في البرق وإنه إله السماء، ثانيا: «أبوللو» إله التنبؤ، ثالثا: «هيرميس» الطائر، وده كان الرسول بين «زيوس» وباقي الآلهة.. إيه رأيك في الكلام ده لحد دلوقتي؟

- تخاريف طبعا.

قالها باستنكار واضح فعقب الطبيب:
- أكيد تخاريف، بس تعالى نطبق جملة سير «آرثر كونن دويل» الشهيرة على لسان بطل قصصه «شارلوك هولمز» وهي: «إذا تجاهلت كل الأشياء المستحيلة، فلن يتبقى إلا الحقيقة مهما كانت غرابتها»، بمعنى إننا أولا نتجاهل كلمة إله ونجردهم منها، وأكيد نتجنب قدرة التحكم بشكل مطلق في قوى الطبيعة.. هيتبقى لنا إيه؟
حك «كريم» رأسه وقطب حاجبيه دلالة على عدم الفهم، ثم قال:
- معلش يا دكتور اعتبرني غبي شوية، بس حقيقي أنا مش فاهم.
- «زيوس» يا «كريم» كان دائما يُقال إنه يعاقب أعداءه بإرسال الصواعق، طيب لو جنبنا التحكم في الصواعق إيه أقرب شيء ليها؟
ومن غير أن ينتظر رد «كريم» رشف من قدح القهوة وأكمل:
- هيتبقى لينا القدرة على إخراج شحنة كهربائية من جسمه وصعق عدوه، بالظبط زي ثعبان البحر اللي بيطلق شحنة كهربائية للدفاع عن نفسه.
ثم رفع يده وأمسك بيده اليسرى إصبع السبابة في يده اليمنى وهو يكمل:
- اتنين «هيرميس» الطائر، لو جنبنا خرافة إنه إله مش هيتبقى غير قدرته على الطيران.
قبل أن يكمل قاطعه «كريم» بدهشة:
- لحظة يا دكتور، إزاي قدرة على الطيران من غير أجنحة؟ أنا فاكر إني قريت قبل كده إن الإنسان علشان يطير محتاج يكون ليه جناحين طول الواحد منهم ٦ متر.
- قوة العقل يا «كريم» ممكن تتحدى كل القوانين الفيزيائية، وأقرب مثال هو رهبان التبت اللي وصل بعضهم للقدرة على الارتفاع عن الأرض بضع خطوات بمجرد التركيز، مع العلم إن دول اتولدوا من غير أي قدرة استثنائية، لكن بالتدريب قدروا يوصلوا للمرحلة دي.. تخيل بقى لو واحد زيك اتولد وهو يمتلك القدرة الاستثنائية دي بالفعل ممكن يعمل إيه؟
ثم ابتسم وهو يكمل:
- حاجة تانية كلنا بنشوفها وهي النحل، علميا المفروض النحل علشان يطير محتاج تكون أجنحته أكبر من كده، لكن مع ذلك النحل بيطير في تحدي قوي جدًا لكل القوانين اللي البشر وصلوا ليها.
- الكلام ده حقيقي؟!
- يا ابني هو أنا هغشّك.
- لا يا دكتور العفو، بس أنا أول مرة أعرف الكلام ده.
- المهم، ثالثا وأخيرًا: «أبوللو» وده قدرته انت أكتر واحد ممكن تفهمها، وهي الاستبصار أو رؤية المستقبل، حاجة تانية مهمة، هي إن عدد سكان العالم ساعتها كان مقارنة بدلوقتي قليل جدًّا، ومع ذلك كان ظهور أشخاص يمتلكون قدرات خارقة بعدد كبير نسبيا في أوقات متقاربة بيدل على إن الأصل في الإنسان هو وجوده بالقدرات دي، وده اللي أنا بتوقع إنه ممكن يرجع تاني في المستقبل.

شعر «كريم» بالدوار من كم المعلومات التي قالها الطبيب، فشبك أصابع يديه ووضعهما خلف رأسه ومال بظهره إلى الوراء وهو يتطلع إلى سقف الكافيه للحظات، ثم اعتدل وهو يفرك عينيه ثم قال بحيرة:

- كل القدرات اللي قولت عليها يا دكتور ممكن أفهمها باستثناء رؤية المستقبل، إزاي أشوف حاجة لسه ما حصلتش؟ أنا مؤمن بيها طبعا لكن مش فاهمها.

obeikan.com

فوضى الحواس

همَّ الطبيب أن يجيب لولا «كريم» الذي أكمل بسرعة وهو يبتسم:

- بس أرجوك بلاش الجزئية بتاعة «الزمن يسير بشكل دائري يكرر نفسه باستمرار» دي، علشان مش مقتنع بيها.

ابتسم الطبيب بدوره وهو يتساءل:

- ليه مش مقتنع بيها؟

- لأن فكرة إن الزمن بيتكرر بنفس الأحداث بتدي إيحاء إن الإنسان مُسيَّر مش مُخيَّر، وكأن الله - سبحانه وتعالى - بيتلاعب بينا، وده بالنسبة لأي مؤمن لا يمكن قبوله، وحاسس كأنها مقتبسة من فيلم «Groundhog Day» اللي كان في التسعينات.

أطرق الطبيب برأسه قليلا، ثم رفع رأسه مجددًا وهو يشير للنادل أن يأتي ويقول:

- الأول تشرب حاجة؟

- آه.. يا ريت قهوة تاني، أحسن أنا دماغي هتفرقع.

أتى النادل فطلب منه الطبيب قدحين من القهوة، ثم أخرج من جيبه العلوي قلما:

- هات ورقة من شنطتك.

فتح «كريم» حقيبته وأخرج منها دفترا وقدمه للطبيب الذي فتحه وأخذ يرسم خطوطا فيه ويقول:

- بص يا «كريم»، هنعتبر المساحة البيضة دي هي الزمن.

ثم رسم في المنتصف دائرة صغيرة يخرج من أسفلها خط له يدان وقدمان وكتب بجانبها كلمة «كريم»:

- وأنت الشخص الواقف ده.. تمام؟

- تمام.

رسم الطبيب خطًّا وراء الشخص الافتراضي في الورقة:

- والمساحة اللي ورا الخط ده هي الماضي، والنقطة اللي انت واقف فيها هي الحاضر.

ثم رسم خطًّا آخر أمام الشخص الافتراضي بشكل قريب:

- وده المستقبل القريب.

خط آخر بعيد نسبيا:

- والخط الأمامي التاني ده هو المستقبل البعيد.

obeikan.com

ثم رفع رأسه إلى «كريم» الذي ارتسمت على وجهه أعتى أمارات «عبيط القرية»، وابتسم ابتسامة بلهاء، فضحك الطبيب وهو يقول:

- يا ابني ما تقلقش، أنا لسه ما قولتش حاجة، وهفهمك دلوقتي.

- يعني فيه أمل أفهم يا دكتور؟!

بدعابة قالها، فرد الطبيب مبتسمًا:

- أكيد هتفهم، بس علشان اللي هتسمعه دلوقتي صعب نوعا فأنا لازم أجيبهولك بالتدريج.

- يا مسهل الحال يا رب.

أتى النادل وهو يحمل قدحي القهوة؛ فسكت الطبيب حتى وضعهما النادل وانصرف، ثم أدار الطبيب الورقة حتى يراها «كريم» وأشار إليها وهو يقول له:

- دلوقتي عايزك تبص في الرسمة كويس.

أمسك «كريم» الورقة وأخذ يدقق فيها وهو لا يفهم الغرض منها.

وبعد أن تأملها أعطاها للطبيب مجددًا وهو يقول:

- ماشي.. شوفتها.

- تمام.

وضعها الطبيب مجددًا وهو يشير إلى منطقة المستقبل:

- انت دلوقتي في الحاضر، بس السؤال: هل انت شايف اللي بيحصل في المستقبل؟

- لأ.

قالها «كريم» باستنكار، فسأله الطبيب على الفور:

- ليه؟

- لو هجاوبك إجابة منطقية - لشخص عادي عمره ما كان عنده قدرة الاستبصار – هقول..

ثم تفكر حينا وقال ببطء وتردد:

- علشان المستقبل لسه ما حصلش.

- أقول لك أنا إجابة تانية؟

- اتفضَّل طبعا.

- الإجابة التانية هي علشان اللي هيحصل في المستقبل عادي، ومفيهوش حاجة تسترعي انتباهك، ولو فيه حاجة خطيرة أو مهمة هتحصل في المستقبل المفروض إنك تشوفها..

- إزاي؟!

- طيب خليك معايا واحدة واحدة واستحملني شوية وهفهمك في الآخر.

- ماشي.

- هسألك سؤال.. لما كان عندك قدرة الاستبصار عمرك حلمت إنك في الحمام؟

ظهرت علامات الاشمئزاز على وجه «كريم» وهو يجيب:

obeikan.com

- لأ.
- طيب هل عمرك حلمت إنك بتاكل في مطعم أو قاعد مع والدتك بتتفرجوا على فيلم، أو قاعد مع أصحابك على القهوة، أو إنك بتغير هدومك؟
- لأ.
- طيب إيه الرؤى اللي شوفتها؟
همَّ «كريم» أن يجيبه، لولا أن الطبيب أشار له بيده وهو يكمل:
- أنا هقول لك..
ثم أخذ يعد على أصابع يده وهو يكمل:
- الرؤيا الأولى هي: وفاة والدك، والتانية هي: «زغلول» لما كان بيخطط لسرقة شقتكم، والتالتة: هي الرؤيا الظلامية لما كنت متكتف، والرابعة: الرؤيا الدموية.. صح؟
- صح.
- تقدر تقول لي إيه الرابط بين الرؤى دي؟
رفع «كريم» قدح القهوة ورشف منه، ثم برقت عيناه ببريق النصر وأجاب بحماس:
- إن الأحداث دي كلها مهمة وتسترعي انتباهي.
- بالظبط.
هز «كريم» كفيه وقد تملكته الحيرة:
- بس برضه يا دكتور أنا مش فاهم، إزاي ده بيحصل؟ وإيه الآلية اللي بتسبب ده؟
- يا ابني اهدى شوية وأنا هفهمك.
- آسف آسف.. اتفضَّل.
- هسألك سؤال تاني، إحنا دلوقتي قاعدين في الكافيه والمفروض إنك شايف كل حاجة قدامك.. صح؟
- صح.
- متأكد؟
- طبعا متأكد.
هز الطبيب رأسه نافيا وهو يبتسم ويعدل وضع سماعة البلوتوث الموجودة على أذنه:
- غلط طبعا.. انت مش شايف كل حاجة موجودة في نطاق رؤيتك.
- لا إله إلا الله.. انت هتشككني في نفسي يا دكتور ولا إيه؟
تلفت الطبيب إلى جانبه الأيمن، ثم عدل وجهه ناحية «كريم» وهو يسأله:
- طيب الراجل اللي على يميني ده في نطاق رؤيتك ولا لأ؟
تطلع «كريم» إلى الرجل حينا - في الوقت الذي أزال الطبيب سماعة البلوتوث من أذنه - وعاد «كريم» ينظر إلى الطبيب ثم أجاب:

- أيوه في نطاق رؤيتي.
- طيب المكان ده كان فاضي لما انت جيت، فهل شوفت الراجل لما جه؟ وهل شوفته لما الجرسون جاب له «الميلك تشيك» اللي قدامه؟ طيب هل أخدت بالك إن الجرسون عدى جنبك دلوقتي حالا؟
- لأ.
قالها بحيرة بالغة وهو يهز رأسه غير مستوعب، فعاجله الطبيب:
- طيب انت شايف وشي كويس؟
- أكيد يا دكتور؛ لأن تركيزي كله معاك.
تبسم الطبيب بثقة وسخرية:
- متأكد؟
- آه طبعا متأكد.
هز الطبيب رأسه نافيا مرة أخرى، وقد اتسعت ابتسامته:
- طيب أخدت بالك إني شيلت سماعة البلوتوث من ودني؟ وهل كنت شايف ودني أثناء حوارنا أصلا؟
- انت عايز توصل لإيه يا دكتور؟
- باختصار: إن الجهاز البصري مستحيل يركز في كل حاجة موجودة في نطاق الرؤية؛ لأن ده هيبقى تشتيت وهو بينتقي - تلقائيا - الحاجة اللي تجذب انتباهه، حتى لو الشخص نفسه مش مركز.. مثلا.
ثم أشار بإصبعه خلسة إلى أحد الجالسين على يمين «كريم» وهو يقول:
- شايف الشاب ده.. بص عليه كده؟
نظر إليه «كريم» فوجده ممسكا بقدح من «النسكافيه» ويبدو عليه التفكير، وكأن عقله في مكان آخر، فعاد «كريم» ينظر إلى الطبيب وهو يهز رأسه:
- شوفته.. شكله سرحان وبيفكر في حاجة.
- طيب بما إنه سرحان يبقى أكيد تركيزه مش هنا.. تتبع بقى نظره رايح فين؟
عاد «كريم» مجددًا ينظر إلى الشاب، وتتبع بصره فوجده يحدق في صدر إحدى الفتيات الجالسات على الطرف الآخر، ففلتت منه ضحكة وهو يقول للطبيب هامسًا:
- ده بيبص على صدر البنت اللي قاعدة الناحية التانية.
- بالظبط.. عارف ليه؟
ثم أكمل:
- لأن البصر في حالة الهدوء، وإن كان العقل مشغول بيستقر على الحاجة اللي تريحه، ومش بعيد وانت بتكلمني تكون بصيت على بنات قاعدة هنا في «الكافيه»، أو ممكن أكون أنا كمان عملت

كده بدون تركيز.
- دكتور.. أنا كده دماغي هربت مني خلاص.
- سؤال كمان: «الكافيه» دلوقتي مشغل موسيقى كلاسيك وحاسة السمع عندك خدت عليها لدرجة إنك بدأت تتجاهلها، تخيل لو «الكافيه» فجأة دلوقتي شغل موسيقى عنيفة زي «الميتاليك».. إيه اللي هيحصل؟
تخيل «كريم» ما قال الطبيب ورد:
- أكيد هنتبه.
- طيب ممكن سؤال أخير؟
- اتفضَّل.. مع إن دماغي جالها تهتك خلاص من المعلومات اللي قولتها.
- لا هو مثال أخير.. عايزك تتخيل إنك بتاكل «بيف برجر» ومستمتع بيه، وفجأة وانت بتاكل لقيت طعم ملح زيادة أوي.. إيه اللي هيحصل؟
بحركة لا إرادية حرَّك «كريم» لسانه وكأنه يتذوق بالفعل، وقال:
- أكيد هحس بيه وهتدايق جدًّا.
ثم أكمل ضاحكا:
- على فكرة يا دكتور انت عليك أمثلة عجيبة جدًّا.
تبسم الطبيب وهو يقول:
- استخدام الأمثلة في الشرح هو أقوى الأساليب وأسهلها لتوصيل المعلومات؛ لأن المعلومات بشكلها الرتيب بتخلي المخ بعد وقت يبدأ في تجاهلها والملل منها، لكن استخدام الأمثلة والتشبيهات بيحفز خلايا المخ وبيخليه بيرسم ويكوّن مشاهد من الكلام، ويمكن أكتر حاجة عجباني في القرآن عندكم هو استخدام التشبيهات بشكل مدهش جدًّا، زي الآية اللي بتوصف شجرة في النار وبتقول: «طلعها كأنه رءوس الشياطين».. انت ما تعرفش شكل الشيطان، ومع ذلك لما تقرا آية زي دي هتلاقي مخك – تلقائيًّا - بيحاول التخيل، وده بيربطك بالكلام اللي بعده.
تلقائيا تخيل «كريم» أقرب شكل رسمه مخه للشيطان، وتخيل شجرة معلقة على أفرعها رءوس كثيرة؛ ثم هز رأسه وهو يقول:
- مش بقول لك، شكلك أسلمت في السر.
- يا ابني زي ما قلت لك، أنا موسوعي، وتقريبا قريت كل حاجة من أول قصص «تان تان»، لحد آخر ما توصلت ليه علوم الفيزياء.. المهم..
ثم أكمل:
- إيه خلاصة اللي أنا قولته؟
- مش عارف.
قالها «كريم» بحيرة، فعقَّب الطبيب على الفور:

- الخلاصة إن كل حواس الإنسان - سواء العقلية أو البصرية أو السمعية أو حتى حاسة التذوق - بتتجاهل الإشارات والحوادث الهادئة الرتيبة، وبيزداد تركيزها بس في حالة استقبال أشياء شاذة عن الطبيعي.. صح؟

- صح.

ثم شبّك كفيه أمامه ووضعهما على المنضدة ومال بجسده بانتباه مستفسرا:

- ممكن بقى تفهمني إيه علاقة ده بالاستبصار؟

قالها «كريم» وصمت في انتظار إجابة الطبيب الذي صمت بدوره قليلاً يفكر، ثم قال:

- من البديهي أن كل حاسة من الحواس مخصصة لاستقبال إشارات معينة، يعني العين بتشوف مش بتسمع، واللسان بيتذوق مش بيشوف.. لكن في النهاية كل حاسة بتنبِّه باقي الحواس.

همَّ «كريم» أن يتكلم لولا أن أشار له الطبيب مبتسمًا وهو يقول:

- أرجوك، ما تتكلمش خالص غير لما أقول لك علشان حبل أفكاري، ولو عندك سؤال قوله في الآخر.. اتفقنا؟

- اتفقنا.

- تمام.. نيجي لحاسة الاستبصار، الماضي والحاضر والمستقبل، أو الزمن بشكل عام، هو عبارة عن موجات، أو ممكن نقول عبارة عن سيمفونية موجودة حوالينا، بتتخلل الهوا، والمخ المناسب بس هو اللي يقدر يلتقطها ويفهمها، بالظبط زي موجات المحمول، هي حوالينا بس جهاز الموبايل بس اللي يقدر يلتقطها.

ثم مد يده وأمسك بكوب المياه الموضوع أمامه ورشف منه رشفة وأعاده مكانه، وأكمل:

- كل حدث حصل في الماضي - وإن انتهى - إلا أنه بيفضل موجود أثره المادي والموجات الناتجة عنه، وكل حدث بيحصل في الحاضر بيشكل موجات جديدة بتتلاقى مع موجات الماضي، وده اللي بيكون موجات الأحداث المستقبلية قبل ما الأحداث نفسها تحصل، حتى التفكير والنوايا بتشكل موجات.. كأنها عمليات حسابية معقدة جدًّا، الكمبيوتر المسئول عن استقبالها وترجمتها وحلها هو المخ.

رفع «كريم» كفه يستأذن في الحديث كأنه تلميذ في فصل، فنظر إليه الطبيب بتساؤل.

- ممكن تشرح الجزئية دي؟ يعني لو سلمت إن كل حدث بيشكل لحن أو موجات - زي ما قلت - إزاي المستقبل بيبقى ليه موجات هو كمان؟

- أضرب لك مثال.. فاكر لما قلت لك إني لو مستبصر ممكن أشوف إني بقوم وفجأة اصطدمت بالجرسون والمشروبات وقعت عليَّ؟

- أيوه.

- طيب إحنا قلنا إن الماضي بيشكل موجات، والحاضر بيشكل موجات، والنوايا والتفكير بتشكل موجات.. صح؟

- صح.
- يبقى السيناريو كالتالي: الراجل اللي ورايا طلب من الجرسون مشروب، والجرسون راح وبيجهز المشروب.. ده يعتبر إيه؟
- يعتبر ماضي.
- جميل جدًّا، ده يعتبر ماضي شكّل موجات، طيب أنا دلوقتي قررت إني هقوم، وتجميع موبايلي وباقي حاجاتي هياخد دقيقتين، وفي نفس الوقت الجرسون جهّز المشروب وقرر إنه هيمشي جنب المكان اللي أنا فيه، ووصوله لهنا هياخد دقيقتين.. ده حاضر عمل موجات.
قطّب «كريم» حاجبيه للحظة وهو يفكر، في حين أكمل الطبيب:
- بالتقاء موجات الماضي مع موجات الحاضر، لو أنا مستبصر، مخي هيستقبل الموجات دي وهيطلع بنتيجة، هي إني هقوم وهصطدم بالجرسون والمشروبات هتقع عليّ، وبمجرد ده ما يحصل المخ هيحفز باقي الحواس وهيكون المشهد أمام عيني وهتسمعه وداني.. مستوعب؟
تبسم «كريم» وأشار برأسه إيجابا، فأكمل الطبيب:
- كمان شخصية مُصدِّر الموجة بتأثر على النتيجة، مثلا.. لو واحد شخصيته قوية بيرجع بيته يوميا الساعة ٦ المغرب وهو شايل مسدس لأي سبب، وفي نفس الوقت مراته بتخونه وهو في الشغل، في أحد الأيام قرر إنه يروح بدري فرجع وشاف مراته بتخونه، فقتلها وقتل عشيقها.. لو أنا مستبصر هشوف المشهد بمجرد تفكير الأشخاص دي، وهشوفه بيقتلها، في حين إن لو نفس الأحداث حصلت مع شخص شخصيته ضعيفة، هشوف المشهد إنه هو بيقتل نفسه من الصدمة.. ده طبعا بشكل مبسط جدًّا، لكن الموضوع أعقد من كده بكتير.
- سؤال يا دكتور.. معنى كلامك إن مجرد التفكير بيشكل موجة، طيب إزاي وأنا شوفت رؤيا من سنة تقريبا ولسه ما حصلتش، يعني شوفتها قبل ما أفكر في حاجة تؤدي لكده؟
- ما أنا قلت لك إن الموضوع أعقد من كده؛ لأن الأمر ممكن يتطور إلى إنك تفكر، فيتم تشكيل موجة، تتلاقى بموجة تفكير شخص تاني؛ فيحصل تنبؤ بموجة أخرى لسه ما حصلتش، والموجة الجديدة تنبئ بأخرى، ويفضل النمط ده مستمر لحد ما عقلك يستقبل النتيجة النهائية وهي المشهد المستقبلي، نرجع تاني ونقول إن على الرغم من إن المخ بيستقبل كل الموجات دي، فإنه بيتجاهلها كلها ومش بينبهك إلا للحاجة المهمة اللي تخصك.
- فعلا، أنا كل الرؤى اللي شفتها كانت تخصني، أو تخص حد قريب مني.
ثم تفكر قليلاً وهز رأسه وهو يتمتم:
- سبحان الله.
جزّ الطبيب على أسنانه بغيظ، ثم قال باستنكار:
- الله!! بعد كل اللي قلتهولك ده تقول لي سبحان الله؟!
توترت ملامح «كريم» من انفعال الطبيب المفاجئ فقال بدهشة:

- إيه المشكلة في جملة «سبحان الله»؟ أنا ممكن أتفهم إنك لا تؤمن بالإسلام لأنك مسيحي، لكن أكيد عندكم «الله» برضه.

ملأ الطبيب صدره بالهواء حتى يهدأ، ثم صمت ولم يعقب، وظل «كريم» يتأمله للحظات قبل أن يهتف باستنكار:

- دكتور.. انت ملحد؟!

صيحته جذبت انتباه بعض الجالسين، فالتفت إليهم «كريم» بحرج، ثم عاد إلى الطبيب ومال بجسده هامسًا:

- انت ملحد يا دكتور؟!

كقنبلة موقوتة، انطلق الطبيب يتحدث بسرعة وبصوت منخفض:

- تفتكر واحد زيي مجال أبحاثي في الظواهر الخارقة، وقرأت في كل المجالات ممكن يفضل مؤمن بالخرافات دي؟! اللي أنا مندهش له هو إزاي واحد زيك كان بيمتلك كل القدرات دي ولسه مؤمن بوجود شخص في السماء خلقنا وبيراقبنا وبيتحكم فينا؟! الإيمان بالإله ده للناس الجهلة المغيبة، وعيب إن ناس متعلمة زينا تردد كلام اتقال من آلاف السنين.

ثم رفع قدح القهوة ورشف منه بأصابع متوترة، ثم أكمل:

- الإله الوحيد في الكون ده هو الإنسان، مش كائن خرافي موجود بس في عقول البعض!

بمجرد انتهاء الطبيب من الكلام كان «كريم» يشعر بغليان في دمه وفورة غضب تعتمل في صدره من كلام الطبيب، تمنى لو أن يحطم رأسه أو يفقأ عينيه، إلا أنه هدَّأ نفسه وآثر استخدام المنطق والعقل، وبعد تفكير - للحظات - قال للطبيب:

- تسمح لي أكلمك بالعقل؟

لم يرد الطبيب، واكتفى بأن أومأ برأسه علامة الموافقة.

- طبعا إحنا متفقين على وجود القدرات الاستثنائية - زي الاستبصار - بس الأفضل ننحيها جانبا ونتكلم على أحلام الناس العادية.. إيه رأيك في الأحلام المرمزة؟

- يعني إيه مرمزة؟

- انت فاهم قصدي كويس يا دكتور.. أنا بتكلم عن الرؤى اللي الناس العادية بتشوفها وبتتحقق، مثلا طالب شاف في الحلم إن قميص المدرسة اتقطع منه، ويحصل في السنة دي حادثة ما تخليه ما يروحش الامتحان، أو واحد شاف في الحلم إن ابنه تاه منه، ويكتشف بعد كده إن ابنه بيهرب من المدرسة، أو واحدة تحلم إن أختها المتزوجة بتتزوج في الحلم، وبعد فترة يحصل طلاق لأختها، أو واحد يحلم إن قدامه شجرة ورقها بيتساقط وبعد فترة أبوه يموت.. إيه تفسيرك للأحلام المرمزة دي؟

- إيه علاقة ده بالموضوع؟

خرج الكلام من الطبيب بنبرة أهدأ نوعا، ما شجّع «كريم» على الإكمال بحماس:

- ليه علاقة كبيرة جدًّا يا دكتور؛ لأن الأحلام المرمزة دي بتعني إنها جاية من جهة ما أقوى وأعلى وأعلم بالمستقبل، لو كانت الأحلام بتكون واضحة كان ممكن نسقط عليها تفسير قدرة الاستبصار بأنها موجات بيلتقطها العقل، لكن دول ناس عادية جدًّا لا يملكون قدرة الاستبصار ورؤياهم شكلها مختلف تمامًا عن اللي أنا كنت بقدر أشوفه.. حاجة كمان بتدل إن الأمر بتسيره قوة أعلى.

ثم نظر في ساعته وأكمل:

- فيه مثال جميل جدًّا انت استشهدت بيه، وهو قصة «عمر بن الخطاب» لما شاف جيش العدو هيلتف حول الجبل فقال: «يا سارية.. الجبل الجبل»، وقائد الجيش «سارية» سمعه، تقدر تقول لي ليه «عمر بن الخطاب» هو اللي شاف الرؤيا دي مش قائد الجيش «سارية»؟! على الرغم من إن الأقرب للمنطق إن قائد الجيش هو اللي يشوفها لأنه أقرب للوضع.. لو فكرنا هنلاقي إن الإجابة الوحيدة هي: إن هناك قوة أعلى أرادت أن يكون «عمر بن الخطاب» هو اللي يشوفها قدام الناس حتى يشهدوا المعجزة دي.

انتظر من الطبيب أي رد، لكن بدلا من ذلك نظر الطبيب إلى ساعته ثم قال وهو يبتسم:

- يااااه، دي الساعة ١١.. كفاية كده النهارده.

ضحك «كريم» من تهرب الطبيب وهو يقول:

- ماشي يا دكتور.. زي ما تحب.

أشار الطبيب للنادل وهو يجمع أشياءه ويقوم:

- يا ريت تكون بتاخد الحبوب اللي اديتهالك.

- تلات مرات زي ما قلت لي.

ثم قام «كريم» بدوره وخرج هو والطبيب، بعد أن دفع الأخير الحساب وقبل أن يتركه سأله:

- طيب بالنسبة للقدرات.. هترجع إزاي؟

- ما تقلقش.. هوصل لحل أكيد.

ثم تذكر أمرا وقال:

- صحيح أنا هسافر أمريكا أحضر مؤتمر هناك.

- هتقعد كتير؟

- لا، همّ تلات تيام بس، هسافر يوم ١٨ وهرجع يوم ٢١ الصبح.

ثم صافح «كريم» الذي قال له مداعبا:

- بس أنا أحرجتك.. اعترف.

- امشي يالا.

ثم أشار له مودعًا وانصرف، وذهب «كريم» واستقل السلم إلى أسفل باتجاه جراج المول، واستقل سيارته وانطلق وهو يهاتف «تقى»، التي ما إن أجابت حتى عاجلها «كريم» وهو يقول ويصطنع التوتر:

- عايز أسألك على حاجة مهمة جدًّا.
- إيه؟
سألته بقلق، فابتسم وهو يقول:
- هو أنا قلت لك النهارده إني بحبك؟

obeikan.com

المأجور

١٧ أغسطس ٢٠٠٨

في منطقة «شبرا الخيمة» وفي أحد المقاهي، كان هناك حشد من العاطلين يشاهدون فيلم «In hell» لـ«فان دام»، وفي المقدمة كان البعض يلتفون حول شاب في العقد الثالث من عمره، جسده عبارة عن حائط بشري قمحي اللون، تكاد العضلات تمزق ملابسه الضيقة التي يتعمد ارتداءها؛ حتى يبرز جسده ويبرز وشم التنين الذي رسمه عليه، وبين الحين والآخر يسألونه عن الحركة التي يقوم بها مقاتلو الفيلم، أو يصيح هو بغضب ويسب بطل الفيلم:

- عليَّ النعمة «فان دام» ده ابن مرة ولا بيفهم حاجة.

- ليه يا «بروس لي»؟

- المفروض كان يضرب برجله ضربة جانبية مش خلفية طايرة.. بص ابن الجزمة بيعمل إيه؟!

ثم ضرب بيده المنضدة التي أمامه بحنق وهو يشرح:

- الحركة الأخيرة دي بقى غلط؛ لأن المفروض جسمه يكون مايل شوية، والأحسن يعمل صينية أمامية مش خلفية.

وقبل أن يكمل ربت أحدهم على كتفه بإلحاح، فالتفت إليه بغضب فوجده طفلا صغيرا يحمل صندوقا متوسط الحجم.

- عايز إيه يالا.

فقدم له الطفل الصندوق وهو يقول فرحًا:

- فيه واحد راكب عربية «مرسيدس» اداني العلبة دي وقال لي أديهالك وادالي مية جنيه ليّ لوحدي..

قالها وهو يلوح بورقة المائة جنيه، فاختطفها «مجدي» منه وأعطاه بدلاً منها عشرين جنيهًا.

- كفاية عليك عشّين جنيه.

فصرخ الطفل وهو يبكي:

- وربنا انت حرامي.. الراجل ادَّهالي أنا.

- امشي من هنا يا ابن الكلب بدل ما أقسمك نصين.

فانصرف الطفل وهو يبكي، وظل الشاب يتطلع إلى الصندوق ويقلبه فوجد على جانبه اسمه مكتوبا «مجدي هاشم» وتحته مكتوب «لا تفتحه إلا وأنت وحدك».. فحمل الصندوق وقام فقال له

أحدهم بانبهار:
- هو الصندوق ده من المخابرات يا «بروس لي»؟
فتطلَّع إليه «مجدي» وهو يضيق عينيه بنظرة ذات معنى:
- الحاجات دي ما ينفعش أتكلم فيها يا بقرة.
فأطرق الآخر رأسه احترامًا وإجلالاً، ثم انصرف «مجدي» بخطوات بطيئة وهو يحمل الصندوق ويشعر بالفخر من الهمهمات - التي ظل من كانوا يجلسون حوله يصدرونها - وأحدهم يحكي عن البطولات التي لا يعرفها سواه عن «مجدي» أو «بروس لي» كما يلقب نفسه، وعن التدريبات التي تلقاها في أحد المعابد السرية.
لم يكن «مجدي» سوى شاب ساعدته الظروف على تعلم بعض الفنون القتالية في صغره في إحدى الصالات المنتشرة في الأحياء، وأكمل تدريبه ثم اكتفى بدراسة المرحلة الثانوية، بعدها أصبح لصًّا وبلطجيًّا ذائع الصيت بين بلطجية المنطقة والمناطق المجاورة ومشهورًا بقوته وليونته الفائقة، حتى تم القبض عليه وتم سجنه ثلاث سنوات، كان أفضل ما حدث له - منذ القبض عليه - هو الخبر الذي نُشر في الجريدة بعنوان «القبض على خبير فنون قتالية يتزعم تشكيلا عصابيا» ومن يومها وهو يحمل خبر الجريدة في جيبه ويريه لكل من يقابله متفاخرًا بجملة «خبير فنون قتالية» وبدأ في نسج الأساطير حول نفسه، من أول تدريبه في معابد «شاو لن» في الصين حتى تعاونه مع أجهزة المخابرات.
وصل إلى غرفته التي يقطنها، غرفة متهالكة لا تحوي سوى سرير بنى فيه البعوض قصورا مشيدة له، وعلى جانب الحائط الأيمن مقعدان خشبيان أوشكت أرجلهما على التآكل.
ما إن دخل «مجدي» حتى أغلق بابها وجلس على طرف الفراش، وفض غلاف الصندوق يتأمل محتوياته، وجد في أعلى الأوراق صورة للجريدة التي تتحدث عن خبر القبض عليه، وتحتها ملف آخر يتضمن معلومات عنه، لكن أكثر ما أثار انتباهه وأسال لعابه هو رؤيته لرزمة مالية كبيرة من فئة المائتي جنيه، فظل يعدها بلهفة ثم وضعها جانبا ليرى باقي المحتويات، مجموعة صور خارجية لإحدى الفلل الفاخرة، ومسدس عجيب الشكل فتحه ليجد مجموعة رصاصات زجاجية تحتوي على سائل شفاف ورأسها كالإبرة، تأمله بدهشة، ثم وضعه جانبًا هو الآخر ليقرأ ورقة موجودة في الأسفل ومكتوبة بالكمبيوتر:
«مجدي هاشم محمد».
لاعب كونغ فو سابقا وبلطجي وشمام حاليا، أنا عارف إن المخدرات أكلت جسمك، لكن أتمنى إنك تقدر تنفذ المهمة اللي اخترتك ليها، في الصندوق هتلاقي عشرين ألف جنيه ودول مقدم، ولو نفذت اللي هطلبه منك هتاخد تلاتين ألف جنيه كمان، في الصندوق مجموعة صور لفيلا موجودة في منطقة «السادس من أكتوبر»، وهتلاقي في آخر الورقة دي رسم كروكي للفيلا من الداخل، كل المطلوب منك إنك تدخل الفيلا، وتجيبلي كل الملفات الموجودة في الخزنة، وحلال عليك أي حاجة

تانية تلاقيها في الخزنة من فلوس، الأهم إنك تدور على ملف باسم «كريم عبد الله عبد المجيد» وما تخرجش من غيره، فيه رقم موجود ما تتصلش بيه غير في يوم التنفيذ بعد ما تخلص واليوم ده هو ٨/٢٠؛ لأن صاحب الفيلا مش هيبقى موجود يومها، يعني قدامك تلات تيام تشوف موقع الفيلا براحتك، في الصندوق مسدس بيحتوي على مخدر قوي وفوري، علشان فيه كلبين في جنينة الفيلا وغفير واحد على البوابة.

انتهى من قراءة الرسالة، وبحث عن أي توقيع باسم صاحب الخطاب فلم يجد، ثم أخذ يتطلع إلى الرسم الموجود الذي يصف الفيلا، وفي الغرفة السفلى لها دائرة مكتوب عليها بخط أحمر «الخزنة» وفي آخر الورقة رقم هاتف محمول، وعنوان تفصيلي لموقع الفيلا.

أمسك بهاتفه وجرّب الاتصال بالرقم المكتوب فوجد الهاتف مغلقًا، فألقاه جانبا وأمسك بالمسدس يتأمله ويتأمل طلقاته بتعجب، ثم قام ونظر من نافذة الغرفة حتى وجد أحد أصدقائه، فناداه:

- بقول لك يا «سيد».. تعالى عايزك.

- فيه حاجة يا «بروس لي»؟

- تعالى بس، عايز أجرب حاجة.

دقيقة وكان صديقه معه في الغرفة فأخذه «مجدي» من يده وأوقفه أمام المقعد خشبي المتهالك في طرف الغرفة:

- خليك واقف هنا.

- قل لي بس يا شقيق، فيه إيه؟

اتجه نحو المسدس وهو يقول:

- اثبت مكانك يالا وهتعرف دلوقتي.

ثم أمسك المسدس والتفت إلى صديقه، وفجأة أطلق عليه طلقة خرجت بلا صوت واستقرت في ذراعه اليمنى فصرخ بألم غير مصدق ما حدث؛ ثم سقط على الكرسي فاقدًا الوعي فاقترب منه «مجدي» وتحسس وريده واطمأن عندما وجده نابضا بالحياة، ثم رفع المسدس يتأمله وهو يتمتم:

- آه والله شغال زي الفل.. كده يبقى على بركة الله.

ثم نزع الرصاصة الزجاجية المستقرة على ذراع صديقه، وجلس على المقعد المجاور وهو يمرر أصابع يده على شعره الأكرت الذي أجبره باستخدام الجل أن يجعله يلتصق بجبهته كما كان شعر «بروس لي»، ثم أمسك بالرسالة التي تحتوي على عنوان الفيلا يتأملها وعقله يحلق في سماء المستقبل، ويخيل له ما يمكن أن يحدث.

* * *

٢٠ أغسطس ٢٠٠٨

في «السادس من أكتوبر» وعلى مقربة من الفيلا المنشودة أوقف «مجدي» دراجته البخارية وهو يرتدي قفازين أسودين من الجلد وسترة جلدية سوداء اللون بها رقعتان على جانبها الأيمن، ويرتدي بنطالاً قماشيًّا أسود هو الآخر، نظر في ساعته فوجدها قد تخطت الحادية عشرة مساءً بدقائق.
كان الطريق خاليًا إلا من السيارات القليلة التي تمر بسرعة محدثة الصوت المميز «فووووووو»، وبالطبع لم يكن هناك مارة في الشوارع، ببطء دار حول الفيلا دورتين ثم أوقف الدراجة بجوار أحد أسوارها بعيدًا عن البوابة التي يجلس الغفير خلفها من الداخل في غرفة أسمنتية، وضع يده على صدره وهو يتنفس بعمق وتحسس مسدس التخدير حتى يقنع قلبه بأن يهدأ قليلاً، كان أمر اقتحام المنازل جديدًا عليه، فكل ما يبرع فيه هو تثبيت المارة أو فرض إتاوة على سائقي الميكروباص والتكاتك، لكنه أقنع نفسه أن المبلغ الذي تقاضاه وسيتقاضاه يشجّع على المجازفة، كما أن الأمر تطلب أن يشاهد عدة أفلام «أكشن» وسرقات، وهو يتخيل نفسه دائما مكان بطل الفيلم الذي يهرب بغنيمته ويحظى بالفتاة الجميلة، صحيح أنه لا فتاة سيحظى بها، لكن الغنيمة تكفي.
نزل من على الدراجة وارتدى قناعا قطنيا يخفي وجهه بالكامل ولا يُظهر سوى عينيه وفمه، ووقف يتطلع إلى السور المغطى من أعلى بقطع زجاجية مدببة حتى تمنع اللصوص، ثم أحضر من مؤخرة الدراجة بطانية سميكة وقذفها فوق السور حتى يستطيع العبور من فوقها دون أن يتأثر بالزجاج، وحمل حقيبة ثقيلة على ظهره وتراجع عدة خطوات إلى الوراء، ثم جرى باتجاه السور وقفز وهو يسند إليه قدمه اليمنى، ووضع يده اليسرى على البطانية وهو يرفع كلتا قدميه إلى مستوى رأسه، حتى استقر على السور وقدماه تتدليان إلى الداخل.
ظل على الوضعية نفسها قرابة الدقيقة، ولما لم يرَ كلبي الحراسة أرهف السمع، فلم يسمع أي صوت، بخفة قفز على أعشاب الحديقة من دون أن يُحدث أي صوت، وألصق ظهره إلى السور، وأخرج المسدس ورفعه أمام وجهه وهو يسير ببطء حتى رأى الكلبين يجلسان بجانب الغرفة الأسمنتية ورأى الغفير نائمًا وهو جالس على كرسيه، وبحذر وجَّه المسدس نحو الكلبين، وأحكم التصويب ثم أطلق طلقتين متتابعتين أصابتا الكلبين، فنبحا نباح الكلب المحتضر ثم سقطا مغشيًّا عليهما، وقبل أن يتحرك سمع مزلاج باب الغرفة يُفتح وقد تنبه الغفير إلى صوت الكلبين وخرج، ثم رأى «مجدي» بقناعه، وقبل أن يصرخ أو يفعل أي شيء أطلق عليه «مجدي» رصاصة استقرت في عنقه فخر على الأرض في سُبات عميق بجانب الكلبين.
تملكت «مجدي» أحاسيس النصر والبطولة، فسار بثقة نحو نافذة زجاجية للفيلا، وأخرج من حقيبته قاطعا زجاجيا وضغط على الزجاج وهو يرسم مربعا ثم دفعه بيده وقبل أن يسقط اللوح الزجاجي في الداخل أمسك به «مجدي» في حذر، وأخرجه ووضعه بجانب الحائط الخارجي، ومد

يده وفتح المزلاج ثم قفز إلى الداخل، ووقف يتأمل قاعة الفيلا بانبهار.
أثاث وديكور لم يشاهدهما في حياته سوى في الأفلام، سار ببطء وسط الأثاث، ويقف أمام كل قطعة يتحسسها برهبة وهو يفكر فيما يمكن سرقته، ثم نفض كل ذلك عن ذهنه وأخرج الورقة التي تحدد مكان الخزنة، فاتجه إلى حجرة في آخر القاعة وفتحها دون عناء، ثم دلف إلى الداخل ووجد الخزينة موضوعة بجانب مكتب خشبي ضخم مواجه لباب الغرفة..
وبسرعة أشعل إضاءة الغرفة وتوجه نحو الخزينة، ووضع حقيبته على المكتب الخشبي ثم فتحها وأخرج منها قاطعا حديديا (صاروخ) استعاره من أحد معارفه ممن يعملون في «الفيرفورجيه»، وأوصل به من أسفل أسطوانة مخصصة له، بحث عن مصدر للكهرباء فوجد واحدًا خلف مقعد المكتب، فأوصله به وتوجه إلى الخزينة وجلس أمامها، وارتدى نظارة شمسية ثم شغَّل الصاروخ وبدأ في قطع باب الخزينة.
دقيقتان كانتا كافيتين حتى يستسلم بابها، ففتحه وكاد قلبه يتوقف مما شاهده.
في مقدمة الخزينة كان هناك بعض الملفات موضوعة فوق بعضها، لكن الأهم بالنسبة له هو كمية الأموال الرهيبة التي تراصت فوق بعضها حتى سقف الخزينة في شكل جمالي يستحق بالنسبة لـ«مجدي» أن يوضع مكان «الموناليزا»، جذب حقيبته وأخذ يُسقط الأموال بداخلها بسرعة ولهفة وقلبه يتراقص بداخل صدره، وعقله يهيئ له أنه جالس في قصر مثل هذا، والخدم من حوله يأمرهم فيطيعون..
انتهى من تعبئة الحقيبة بكل الأموال التي في الخزينة، ثم مد يده وأخذ الملفات يتفحصها.
كان من الواضح أن أغلبها ملفات طبية في كل منها صورة لشخص مختلف، وأغلبهم مختوم على صورته بختم أحمر يتوسطه كلمة «Eliminated»، ثم أخيرًا وجد ملفا مكتوبا عليه الاسم المطلوب «كريم عبد الله عبد المجيد»، فلملم الملفات ووضعها جميعا بداخل الحقيبة وفوقها الصاروخ، ثم أحكم إغلاقها وحملها وخرج من الغرفة متجها بسرعة صوب النافذة التي دخل منها، ثم إلى السور عند المكان الذي دخل منه، قذف الحقيبة الثقيلة إلى الجانب الآخر من السور.
وقفز - بنفس طريقه دخوله - من الداخل إلى الخارج، ووضع الحقيبة على مؤخرة الدراجة البخارية، وأحكم ربط حبل فوقها، ثم خلع القناع ووضع بدلاً منه خوذة القيادة، وأدار الدراجة وانطلق مسرعًا..
وبعد مسافة كيلومتر واحد أوقف الدراجة وأخرج هاتفه المحمول وأجرى اتصالاً بالرقم الخاص بصاحب المهمة، فأتاه صوت الرنين ثم رفض المكالمة، تعجب مما حدث، لكن تعجبه زال عندما أتته رسالة نصية فتحها ولم يجد سوى كلمتين «جبت الملف؟»، إذًا فصاحب المهمة يريد التعامل بالرسائل، فتح «مجدي» رسالة فارغة وكتب فيها «أيوه» وضغط زر الإرسال وانتظر فأتته رسالة بسرعة قرأها «امشي لحد الدائري، وقبل الطلعة هتلاقي عربية مرسيدس مشغلة الانتظار، شنطتها مفتوحة وهتلاقي باقي فلوسك فيها، حط الملفات وخد فلوسك».

أغلق الهاتف وانطلق بالدراجة وهو يشعر أنه بطل أحد الأفلام التي طالما شاهدها، وقبل أن يصل إلى الدائري وجد سيارة «مرسيدس» فاخرة، أضواؤها تشتعل وتنطفئ، علامة الانتظار، فتوقف خلفها وتوجه نحو حقيبتها المفتوحة، فوجد المبلغ المتبقي من الاتفاق، فأمسك بالأموال ووضع الملفات في الحقيبة وأغلقها برفق، وتوجه ناحية باب السائق:

- أي خدمة.. مش هنتعرف بقى يا باشا؟

كان الرد هو أن انطلق السائق - الذي لم يرَ «مجدي» أي شيء من ملامحه - بالسيارة على الفور، فهتف «مجدي»:

- طيب لو عوزتني انت عارف هتلاقيني فين.

ثم حمل المال واتجه نحو الحقيبة الموضوعة على مؤخرة الدراجة ووضعه بها وأغلقها، واستقل دراجته وانطلق باتجاه منطقته تسابقه أحلام الرفاهية والغنى..

obeikan.com

الأولى

٢١ أغسطس ٢٠٠٨

لم يكد الطبيب ينهي إجراءات عودته إلى أرض مصر في السابعة صباحا، حتى فتح هاتفه وهو يتجه ناحية سيارته التي تركها في جراج مطار القاهرة، وعلى الفور أتته رسالة بأن رقم الغفير قد حاول الاتصال به عشرات المرات فاتصل بالرقم، فأتاه صوت الغفير مذعورا وهو يقص عليه ما حدث:

- أكلم البوليس يا دكتور؟

- لا بوليس ولا زفت.. ما تعملش أي حاجة وأنا جاي حالا.

قالها بغضب وذعر، ثم أنهى المكالمة وهو يسرع الخطى إلى سيارته المرسيدس الفارهة، ففتح بابها وألقى الهاتف على المقعد الجانبي واستقل السيارة وانطلق.

ساعة واحدة وكان يقف في الغرفة التي تحوي الخزينة ويتطلع إلى الفوضى، ثم رفع الرصاصات الزجاجية التي أعطاها له الغفير وظل يتأملها لحظات:

- حضرتك أعمل أنا حاجة دلوقتي؟

تنبه إلى أن الغفير ما زال موجودًا معه، فالتفت إليه بحدة:

- امشي انت دلوقتي يا «محمود» وما تتكلمش عن أي حاجة.

أطاعه الغفير وانصرف على الفور، وانتظر الطبيب لحظات في مكانه ثم اتجه خلف مكتبه الخشبي وجلس على المقعد، ثم فتح حقيبة تحتوي على الكمبيوتر الخاص به وأخرجه، مد يده تحت المكتب وظل يتحسسه حتى وجد ضالته، فأخرج سلكًا ينتهي بوصلة «USB» وأدخلها في المكان المخصص لها في الكمبيوتر، وضغط زر التشغيل وانتظر قليلاً حتى انتهى نظام التشغيل من البدء، ثم ضغط أيقونة وبدأ في استعراض ما سجلته الكاميرا الموضوعة في قاعة الفيلا، وغرفة الخزينة.

رأى «مجدي» وهو يدخل القاعة ويتجول فيها قليلا، ثم رآه يتجه على الفور إلى غرفة الخزينة كأنه يعلم جيدًا أين يقع هدفه، انتقل إلى تسجيل الكاميرا الثانية في غرفة الخزينة - الموضوعة أعلى الخزينة - فوجد «مجدي» يتجه على الفور إليها ويفتحها ويأخذ الأموال، ثم يمسك بالملفات يتفحصها.

مال الطبيب إلى الأمام يدقق النظر ويعيد تشغيل الجزء الذي يتفحص فيه اللص الملفات، وأوقف التسجيل عدة مرات ثم بدأ في الاستعراض لقطة لقطة، حتى رأى اللص وقد توقف عند ملف

obeikan.com

«كريم» وبدأ بعدها في لملمة أشيائه ورحل على الفور..

ظلت نظرات الطبيب مثبتة على شاشة الكمبيوتر وعقله يجمع الخيوط، ثم انتفض فجأة ولملم الكمبيوتر ووضعه في الحقيبة، وركض بسرعة باتجاه سيارته وهو يجري اتصالاً بـ«كريم» فوجد هاتفه مغلقًا، فتح السيارة وانطلق بها بسرعة حتى كاد يصطدم ببوابة الفيلا، ثم وبسرعة جنونية انطلق إلى المركز الطبي في «العاشر من رمضان».

* * *

في التاسعة والنصف صباحا وفي وسط ممرات المركز، تجاوز الطبيب كل من قابله بالترحاب دون أن يجيب أحدهم، ودخل غرفته ثم جلس على مقعده وهو يضغط زرا مكتوبا عليه «IT manager» وظل يدق بأصابعه على المكتب حتى أتاه صوت مدير النظم والمعلومات:

- حمدًا لله على السلامة يا دكتور.

- تعالى لي حالا يا «أشرف» وهات معاك الكمبيوتر بتاعك.

- دقيقتين وأكون عندك.

مر الوقت على الطبيب كمن يشاهد سلحفاة في سباق ماراثون، حتى سمع صوت طرقات على الباب:

- ادخل يا «أشرف».

دخل مدير النظم بقامته الفارعة وكرش صغير يتدلى أمامه، كان في أواخر العقد الثالث من عمره وشعره أسود من غير سوء، بسرعة توجَّه ناحية الطبيب ومد يده يصافحه، فصافحه الأخير بسرعة وسحب يده وهو يشير له أن يجلس، فجلس وهو يقول بتوتر من طريقة الطبيب غير المعتادة:

- فيه حاجة يا دكتور؟

- افتح الكمبيوتر بتاعك وادخل على السيستم.

أطاعه على الفور، ونظر إليه متسائلا، فقال الطبيب بسرعة:

- في حالة كانت مسجلة عندنا باسم «كريم عبد الله عبد المجيد».

- ثواني.

همَّ مدير النظم أن يبحث عن الاسم، ثم توقف وهو يقطِّب حاجبيه مفكرًا ثم قال:

- مش دي الحالة اللي حضرتك مسحتها؟

- أيوه هي.

- طيب ما أنا كده مش هعرف أشوفها لأنها اتشالت خلاص.

بنفاد صبر أشار له الطبيب وهو يقول بعصبية:

- اتصرف يا «أشرف».
- يا أفندم ده مستحيل، بمجرد مسح الملف ما ينفعش أستعرضه تاني.
وضع الطبيب كفه اليمنى على وجنتيه وهو يضغط بعصبية كأنه يريد تحطيمهما، ثم انتبه وهو يشير لمدير النظم:
- تقدر تقول لي مين اللي شاف الملف ده قبل ما يتمسح.
- دي ممكن أعملها.
على الفور بدأ «أشرف» في استعراض بعض القوائم، وضغط على زر فيها مكتوب عليه «History» وانتظر انتهاء التحميل، ثم قال ونظره مثبت إلى الشاشة:
- اتنين بس اللي استعرضوا الملف ده: دكتور «عماد»، وده يوم ما وضع الملف على السيستم والتاني...
ثم أخذ يتطلع إلى الشاشة، فعاجله الطبيب بصبر قد نفد:
- سيبك من «عماد».. مين تاني غيره؟
رفع مدير النظم رأسه وهو يكمل:
- التاني هو حد من المركز الطبي في «كندا»، مش مكتوب مين، لكن اللي دخل كان ليه نفس صلاحياتك، وقبل مسح الملف بيوم تمت طباعته مرتين من هناك.
- Dam it.
بأصابع مرتعشة رفع يده ووضعها على فمه، فسأله مدير النظم وقد أصابته نوبة التوتر هو الآخر:
- فيه إيه يا دكتور؟ الحالة دي برضه سألني عليها دكتور «عماد» من فترة وكان متدايق جدًّا.
نظر إليه الطبيب بنظرات زائغة وهو يقول ببطء وتوتر:
- «عماد» مش مهم.. مش مهم.
ثم أشار له:
- شكرا يا «أشرف».. اتفضَّل انت دلوقتي.
انصرف مدير النظم، ورفع الطبيب هاتفه وهو يجري اتصالا برقم «كريم»، فوجده ما زال مغلقًا فظل يعيد الاتصال بذهن شارد وقلب مضطرب.

* * *

في منزل «كريم»، في الواحدة والنصف ظهرًا، جلست والدته وحدها وهي تشعر بالملل وتفكر في كيفية إمضاء يومها، فقد تعودت طوال الشهر الماضي على وجود «كريم» معها معظم الوقت، لكن ما إن انتهت إجازته وعاد إلى العمل، حتى أصبح الملل هو جليسها الوحيد، قامت وحاولت التشاغل بتنظيف الصحون للمرة المائة، حتى كادت الصحون تختفي من كثرة تحرش سلك المواعين

بها، وبينما هي كذلك إذا بصوت الهاتف المحمول الخاص بها، فمسحت كفيها في المنشفة المعلقة على جانب المطبخ، وأسرعت إلى الهاتف وهي تجيب:

- ألو.. سلام عليكم.

- أيوه يا ماما.. صباح الخير.

كانت «تقى» هي المتصلة.

- صباح النور يا حبيبتي.

- هو «كريم» فين يا ماما؟ بتصل بيه من الساعة ١٠ وتليفونه مقفول.

- هو ما كلمنيش من ساعة ما راح الشغل.

كانت تحدثها وهي تتجه ناحية غرفة ابنها، ففتحتها ووجدت هاتفه موضوعًا على المنضدة، تفحصته فوجدته مغلقًا.

- أيوه يا «تقى» ده تليفونه هنا أهه بس مقفول.. شكله نسيه.

- والله «كريم» ده مسطول يا ماما.

- انتي هتقولي لي.. ما أنا عارفة.

- انتي وراكي حاجة النهارده؟

- لا والله، ده أنا حتى زهقانة من القعدة لوحدي.

- طيب ما تيجي يا ماما بالله عليكي تقعدي معانا شوية.

- بس يا بنتي...

- بالله عليكي بقى.. ده حتى ماما بتحب قعدتك.

أتاها طوق النجاة لينقذها من بحر الملل الذي كادت تغرق فيه، فأجابت:

- خلاص شوية وأجيلك.

- ربنا يخليكي يا أحلى حماة في الدنيا.. ممكن طلب رخم وانتي جاية؟

- قولي يا حبيبتي.

- الكمبيوتر اللي «كريم» جابهولي، هو كان قال لي إنه ظبَّطه خلاص، ممكن تجيبيه معاكي؟ لو ينفع يعني.

تلفتت في الحجرة فوجدت حقيبة الكمبيوتر موضوعة بجانب الفراش:

- آه موجود.. هجيبهولك يا حبيبتي وأنا جاية.

- ماشي يا ماما.. مستنياكي.

أنهت الأم الاتصال، وبعد أن ارتدت ملابس الخروج أحضرت حقيبة الكمبيوتر من غرفة «كريم»، وخرجت من المنزل ووقفت أمام باب العمارة وهي تشير لإحدى سيارات الأجرة التي توقفت أمامها ومال السائق يتطلع إليها.

- «عين شمس» يا أسطى؟

obeikan.com

- اتفضَّلي يا أمي.
فجلست على الأريكة الخلفية، وانطلق السائق على الفور.
الرابعة والنصف عصرًا

دخل «كريم» شقته وهو ينادي أمه، فلم تُجِب، بحث عنها في أرجاء الشقة فلم يجدها، ألقى حقيبة الكمبيوتر بسخط ودخل غرفته، فتعجب عندما لم يجد حقيبة الكمبيوتر الخاص به؛ لأنه في الصباح اكتشف أنه قد أخذ حقيبة «تقى» بدلا من حقيبته هو، أمسك بهاتفه وأوصل به الشاحن ليعطيه قبلة الحياة الكهربائية، وانتظر قليلاً ثم ضغط على زر بدء التشغيل، وأجرى اتصالا برقم أمه:
- أيوه يا ماما.
أتاه صوت مغاير يقول بدلال:
- مفيش ماما.. تنفع «تقى».
- «تقى»؟! هي ماما عندكم؟
- أيوه.. منورانا النهارده.
- بنت الـ... ما قالتليش يعني.
- كان نفسها تقول لك والله، بس فيه واحد صاحبنا مسطول كان سايب تليفونه في البيت، بس برضه هي غلطانة كان المفروض تبعت لك إيميل.
- اتريقي اتريقي.. وحشتيني والله.
- انت أوحش.. صحيح أنا قلت لمامتك تجيبلي الكمبيوتر معاها علشان سيادتك مش فاضي تجيبهولي.
- آه بالنسبة للكمبيوتر...
قبل أن يكمل أتاه صوت بأن هناك مكالمة أخرى، فنظر إلى الشاشة فوجد المتصل الطبيب «ألبير»:
- ثواني يا حبيبتي، جيالي مكالمة من.. الشغل.
- أوك.
ضغط زر الرد فأتاه صوت الطبيب باندفاع وعصبية:
- انت فين يا «كريم» من الصبح؟ تليفونك مقفول ومش عارف أوصل لك.
- حمدًا لله على السلامة يا دكتور.. معلش أصلي كنت ناسي التليفون في البيت.
- انت بتهزر يا «كريم»؟ المهم أنا هستناك في الكافيه اللي بنتقابل فيه.. تعالى حالا.
- أيوه يا دكتور بس...
قاطعه الطبيب وهو يصرخ به:
- بلا بس بلا زفت.. ضروري تقابلني هناك حالا.

obeikan.com

صمت «كريم» لحظات وقد تملكته الدهشة من عصبية الطبيب وإلحاحه الغريب في مقابلته فرد أخيرًا:

- طيب يا دكتور أنا هروح هناك دلوقتي.

- وما تجيش بعربيتك يا «كريم»، وما تركبش تاكسي نضيف، تعالى بأعفن تاكسي تلاقيه.

- هو فيه إيه يا دكتور؟!

- لما تيجي هفهمك، المهم تنفذ اللي بقول لك عليه.. مستنيك.

ثم أتى «كريم» صوت إنهاء المكالمة من طرف الطبيب من غير أن ينتظر أي رد منه، فعاد إلى «تقى» يكمل معها الحديث:

- أيوه يا حبيبتي، معلش كانت مكالمة مهمة شوية.

- ولا يهمك يا سيدي.. ما تيجي تقعد معانا.

- كان نفسي والله، بس جالي شغل مهم دلوقتي ولازم أرجع.

- ربنا معاك.. ابقى طمني عليك.

- إن شاء الله.. لا إله إلا الله.

- محمد رسول الله.

وضع الهاتف في جيب بنطاله والتقط مفاتيحه ونزل من البيت، كاد يوقف سيارة أجرة لكنه وجد أن طلب الطبيب في غاية الغرابة والسخافة فتوجه إلى سيارته القابعة أمام مدخل البيت وانطلق بها..

في «الكافيه» - وفي المكان المعتاد - وجد الطبيب جالسًا، ولأول مرة يراه «كريم» ممسكًا بالسيجار ويكاد يلتهمه بأسنانه ويطلق حلقات الدخان في الهواء.. وما إن رأى «كريم» حتى أشار له بعصبية، فذهب إليه وجلس أمامه وهو يسأله بقلق:

- فيه إيه يا دكتور؟ قلقتني.

- فيلتي اتسرقت إمبارح بالليل.

حدقه «كريم» بنظرة عجيبة هي خليط من الدهشة والاستنكار فقال:

- طبعا ده خبر يدايق جدًا، بس سامحني يعني في السؤال.. إيه علاقتي بالموضوع؟

- علاقة كبيرة.. انت الهدف من اللي حصل يا «كريم».

لم يرد «كريم» وظل يحدق في الطبيب بالنظرة نفسها، فدس الطبيب السيجار في المطفأة التي أمامه كأنه يقتله، ثم سحب نفسًا عميقًا ملأ به صدره، ثم أخذ يقص على «كريم» ما حدث، وما استنتجه من مشاهدته لشرائط الكاميرا، مع إغفاله الجزء الخاص بملفه الذي تم سحبه من المركز في «كندا»، ثم صمت وصمت «كريم» أيضًا وهو يحاول الاستيعاب قبل أن يقول كأنه يحدث نفسه:

- الفيلا اتسرقت، واللي سرقها كان هدفه الأساسي هو ملفات الحالات الطبية، خصوصا الملف بتاعي.. صح؟

- أيوه صح.

أشار «كريم» إلى النادل:

- قهوة دبل لو سمحت.

ثم التفت إلى الطبيب:

- السؤال هو ليه؟ إيه الاستفادة اللي ممكن حد يحصل عليها من ملفي؟

رفع الطبيب قدح القهوة واحتساه كله كأنه يشرب زجاجة بيرة، ثم وضعه مجددًا على المنضدة:

- أنا طبيب أغلب مجال أبحاثي عن القدرات الخارقة، وأنا مش الوحيد اللي في مصر اللي بدوّر على الحالات دي، وفيه غيري مراكز كتير غير معلنة بتتمول من دول تانية بتهتم بالأبحاث دي وبتدوّر على أي حد ممكن يكون عنده قدرات استثنائية.

- برضه أنا ما فهمتش.. ليه؟

- يا «كريم» المراكز دي عبارة عن شوية جزارين مش أطباء، ليهم عيون في كل المستشفيات وهمّ المسئولين عن حاجات كتير بتحصل، زي تجارة الأعضاء الشرعية أو حتى غير الشرعية.

قاطعه «كريم» بدهشة:

- غير الشرعية؟!

- أيوه غير الشرعية، زي خطف أطفال الشوارع وتقطيعهم وبيع أعضائهم، وكل الحوادث اللي حصلت في مصر في آخر عشر سنين من خطف أطفال، أو حوادث قتل اتاخد فيها من الضحية بعض أعضائه، وحتى عمليات اختطاف وقتل المتسللين من أفريقيا إلى سينا وسرقة أعضائهم، همّ المسئولين عنها.

- طيب وده إيه علاقته بيّ؟

- انت بالنسبة ليهم السمكة الكبيرة.. فاكر لما قلت لك إن هدفي هو إني أقدر في يوم أنقل القدرات الاستثنائية للناس العادية؟ همّ ليهم نفس الهدف لكن الطريقة مختلفة، أنا طريقتي طريقة علمية من غير ما أسبب أذى لحد، لكن همّ ممكن يشرّحوك قطعة قطعة علشان يوصلوا للهدف ده.

مر في ذهن «كريم» ذكريات عن عم «عبده» الذي باع كليته، وخبر مذبحة «بني مزار»، وسرقة أعضاء الضحايا، وتجسد في ذهنه المشهد الذي يرقد فيه على منضدة تشريح وأحدهم يشرع في قطع جبهته، انتابه ذعر بالغ وتراقص قلبه في صدره رقصة الموت، فزاغت عيناه وهو يحاول التفكير، ثم أخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

- ثواني ثواني.. أنا متأكد إن باقي الشهر ده مستحيل حاجة تحصل فيه؛ لأني راجعت برامج القنوات...

قاطعه الطبيب بانفعال:

- انسى خالص موضوع الفيلم ده، ما تجازفش اعتمادًا على حاجة مش مضمونة.

- طيب أعمل إيه؟
- حاول تختفي الفترة دي، تقلل خروجك على الأقل، وخلي تنقلاتك بتاكسي من العادي، وما تركبش تاكسي نضيف؛ لأنهم مش هيفكروا في ده، لو تعرف تسافر سافر.
- أنا كتب كتابي يوم ٢٩ الجاي يا دكتور، ومستحيل أأجله لأي سبب.
- يبقى تقلل خروجك إلا لسبب مهم، وغيَّر نمرة تليفونك، وابقى ابعتهالي على الرقم ده.
ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة مدونا عليها رقم هاتف محمول.
- ما تكلمنيش تاني على رقمي؛ لأنهم ممكن يكونوا مراقبينه.
اتسعت عينا «كريم» في دهشة:
- يراقبوا تليفونك؟! همّ واصلين للدرجة دي؟
لوح الطبيب بيده:
- أكتر مما تتخيل، دول واصلين لناس كبيرة في الوزارات.. أمال انت فاكر الطرمخة على كل الحوادث اللي حصلت دي، ودايما الجاني بيبقى مختل عقليا جت إزاي غير بالرشاوي وسيطرتهم على قيادات عليا؟!
ثم قام الطبيب وهو يلملم أشياءه بعصبية، حتى إن هاتفه سقط على الأرض فانحنى والتقطه، ثم أشار إلى النادل وهو يقول:
- امشي دلوقتي، ومش هنتقابل لحد ما أتأكد إن الموضوع هدي، وما تنساش تبعتلي رقمك الجديد على الرقم اللي اديتهولك.
ثم اتجه ناحية النادل ونقده الحساب وانصرف على الفور تاركا «كريم» وحده والخوف يأكله..
لحظات وقام من مكانه، وبخطوات تائهة استقل السلم الكهربائي إلى أسفل، وظل يسير ببطء حتى وصل إلى سيارته وعقله مشغول بما قاله الطبيب، والخطر الذي لاح فجأة في الأفق، مشغول لدرجة أنه لم يهتم بأن جراج المول التجاري كان خاليا من أي شخص إلا شخصًا واحدًا ممشوق القوام ويرتدي حلة رسمية أنيقة، ويسير بخطوات هادئة وراء «كريم» على مسافة خمسين مترًا..
فتح «كريم» باب السيارة وجلس خلف مقود السيارة، سمع صوت الهاتف معلنا وصول رسالة نصية من رقم غريب، فتحها فلم يجد سوى كلمة واحدة «Run».. نظر إليها بدهشة ثم انتفض عندما أتته طرقات خفيفة على زجاج النافذة، فالتفت ليجد شخصًا أبيض اللون شعره أسود وعيناه زرقاوان، ويضع يده اليمنى داخل جيب بنطاله ويتطلع إليه بنظرات ود كأنه يعرفه، ففتح «كريم» باب السيارة وهو يتطلع إلى الشخص ويسأله:
- أفندم؟
- MR. Kareem?
قالها بلهجة أجنبية خالصة فرد عليه «كريم» على الفور:
- Yes ..Can I help you?

اتسعت ابتسامة الرجل وهو يرد ويومئ برأسه إيماءة خفيفة:

- Indeed.

وفي حركة خاطفة أخرج الرجل يده من جيبه وفيها جهاز صاعق صغير، ومد يده ناحية عنق «كريم» الذي مال برأسه فجأة كأنه مدرب على ذلك، وتحاشى الصاعق ثم أدار جذعه وأمسك يد الرجل بيده اليسرى، ورفع يده اليمنى التي تحمل مفاتيحه الشخصية وغرز أحدهم في راحة يد الرجل الذي صرخ بألم عندما قام «كريم» بإدارة المفتاح داخل راحة يده وسالت دماؤه على باب السيارة، لكن الرجل تماسك ومد يده اليسرى والتقط الصاعق - قبل أن يسقط على الأرض - وغرز أطرافه في فخذ «كريم» وأطلق شحنة كهربائية فيه، فصرخ «كريم» وأفلت يده، وعلى الفور رفع الرجل الصاعق ووجّهه إلى رقبة «كريم»، وظل يطلق شحناته الكهربائية فيه والأخير ينتفض بشدة، حتى سال الزبد من فمه وسقط مغشيًّا عليه، ألقى الرجل الصاعق على الأريكة الخلفية، ثم أزاح «كريم» إلى المقعد الجانبي وجلس خلف مقود السيارة، وأخرج منديلا ووضعه على كفه الذي ينزف للحظات وهو يجز على أسنانه من الألم، ثم أخرج هاتفه وأجرى مكالمة، ولم ينطق سوى بكلمة واحدة:

- Done.

ثم أغلق الهاتف وأدار السيارة بمفتاح «كريم»، ثم انطلق إلى مخرج المول، و«كريم» بجانبه فاقد الوعي.. وعلى وشك أن يفقد كل شيء آخر.

* * *

في الثامنة مساءً في منزل «تقى» نظرت والدة «كريم» إلى ساعتها فقامت وهي تستأذنهم في الانصراف لتأخر الوقت وهي تقول لـ«تقى» ووالدتها:

- والله قعدتكم ما يتشبعش منها.. بس لازم أمشي.

فقالت لها «تقى» برجاء:

- طيب ما تخليكي شوية.. ده لسه بدري.

- بدري من عمرك يا بنتي.

- طيب حتى كلمي «كريم» يوصلك.

- لو كان فاضي كان كلمني.. سلام عليكم.

فقامت والدة «تقى» وصافحتها وأوصلتها و«تقى» إلى الباب ووالدة «تقى» تقول لها:

- كلمينا أول ما توصلي علشان نطمن عليكي.

- أكيد إن شاء الله.

عادت «تقى» إلى غرفتها وحاولت الاتصال برقم «كريم» فوجدته مغلقًا، فوضعت هاتفها على

التسريحة وأمسكت بحقيبة الكمبيوتر المحمول وأخرجته وفتحته، وانتظرت قليلاً حتى انتهى نظام التشغيل من البدء، فوجدت صورة لها موضوعة خلفية لسطح المكتب، فتمتمت:

- حاطط لي صورتي.. طيب حط صورتك انت يا فالح.

فتحت تقسيمات القرص الصلب فوجدته بأسماء غريبة، نظرة أخرى كانت كفيلة بأن تعرف أن هذا الجهاز لـ«كريم» وليس لها، قامت إلى هاتفها مرة أخرى وحاولت الاتصال به حتى تخبره بذلك، فوجدت هاتفه مغلقًا كما هو، تملكها فضول «باندورا» حينما لم تستطع مقاومة رؤية ما في الصندوق الذي أهداه إليها «زيوس»، فجلست تتجول في القرص الصلب فوجدت «فولدر» باسم «فيديوهاتي» فتحته وبدأت في مشاهدة الفيديوهات التي سجلها «كريم» لنفسه والدهشة تتوغل بداخلها، حتى سيطرت على كيانها كله.

ظلت تشاهد الفيديوهات كلها، وما إن انتهت حتى أعادت تشغيل الفيديو الأول وتوقفت عند آخر مقطع فيه:

.. واليوم ده هيكون الكمبيوتر بتاعي بطريقة ما عند «تقى»، وهيكون حد فتش الأوضة بتاعتي.. «كريم عبد الله» بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢.

انتفضت ذعرًا من صوت رنين هاتفها المفاجئ، فقامت مسرعة لعل المتصل يكون «كريم»، لكن بدلا من ذلك وجدت الاتصال من والدته فضغطت زر الإجابة، وقبل أن تتكلم أتاها صوت والدته وهي تصرخ:

- «تقى»، أنا رجعت البيت ولقيت أوضة «كريم» متبهدلة كأن حد فتشها، وبكلم «كريم» لقيت تليفونه مقفول.

امتقع وجه «تقى» وبنظرات تائهة نقلت بصرها بين الهاتف وشاشة الكمبيوتر وهي متوقفة عند اللقطة التي كان «كريم» يحكي فيها عن اختطافه، شعرت أن كل شيء يتراقص حولها، وبسحابة تمر أمام عينيها، فمادت بها الأرض، فأفلتت الهاتف من يدها ليسقط على الأرض، وتسقط هي بجانبه مغشيًّا عليها والصوت يخرج من الهاتف صارخًا:

- أعمل إيه يا «تقى»؟ «تقى».. «تقى».

* * *

فجأة.. استيقظ «كريم».

بجهد حاول فتح عينيه فلم يستطع، وكأن هناك شيئًا موضوعًا عليهما، حاول أن يرفع رأسه، أن يحرك يديه أو قدميه، فوجدها جميعًا مكبلة بشدة.. انتباه، ذعر بالغ؛ فظل يحاول التحرك بعصبية وخوف، وازداد خوفه عندما شعر بيد تُوضع على جبينه تبعها صوت خافت قرب أذنه اليسرى:

- شششششش، اهدى اهدى، تعاون معانا ومفيش حاجة هتحصل.

ثم ازداد الصوت وضوحا، وسمع صوت أوراق:
- «كريم عبد الله عبد المجيد»، قدرات استثنائية متنوعة.. استبصار، تحريك عن بعد.. كلام فارغ.
ثم صوت اصطدام خفيف على شيء معدني، كأن الرجل قد ألقى الملف وهو يكمل:
- انت لسه ما تعرفش حاجة عن قدراتك الحقيقية يا «كريم»، فيه جزء تاني مكتوب فيه إن «أنسجتك العضلية تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب، والأنسجة العضلية البيضاء اللاإرادية»، طبعا ما حدش قالك ده معناه إيه؟
- عندي ملف قديم جدًّا هنا لواحد اسمه «عبد الله عبد المجيد محمود»، أعتقد إنه أبوك، مكتوب إنه هرب من حوالي ٣٥ سنة قبل التجارب ما تكمل.
ثم تأوّه «كريم» بألم، عندما شعر بإبرة محقن تنغرز في ذراعه اليسرى والرجل يُكمل:
- نام دلوقتي وهنبدأ بكرة.
ثم أردف ساخرًا:
- بس اوعى تكون شقي زي أبوك.
أحس «كريم» بالسائل يجري في دمائه، وبسحابة كثيفة تغلف عقله، ولم يسمع أي شيء بعدها وسقط في سبات عميق..

* * *

٢٣ أغسطس ٢٠٠٨

اكتظت صالة الشقة ببعض الأقارب والجيران يواسون والدة «كريم» التي جلست تبكي وبجانبها جلست «تقى» تربت على ظهرها ودموعها تترقرق في عينيها هي الأخرى؛ في حين وقف أمامهم ضابط شرطة يسألهم أسئلة روتينية عمّا حدث وعن أي خيط قد يُوصلهم إلى سبب الاختطاف وقد سأل «تقى» في نهاية الأمر:
- طيب فيه أي حاجة تخصه ممكن تبقى خيط نمشي وراه؟
هل تُقدم الكمبيوتر إلى الضابط أم لا؟ وهل إذا قدمته سيتعامل مع الأمر بجدية أم سيظن أن «كريم» مجنون يعاني خللا في عقله؟ ظلت تلك الأسئلة تعصف بعقل «تقى» طوال اليومين الماضيين بلا هوادة، هالها ما شاهدته في التسجيلات التي كان «كريم» يحتفظ بها على حاسبه، صدقته وآمنت بما قال، هي تعرفه جيدًا، تحبه وتعشقه وتخشى عليه، لكن شيئًا ما منعها من تقديم ما لديها لمسئولي التحقيق، فمدت يدها وضمت حقيبة الكمبيوتر المحمول الخاص بـ«كريم» وهي متوترة:
- لا لا مفيش.

أكمل الضابط التحدث مع «تقى»، ثم جاءته مكالمة، فتنحى جانبا يستمع للمتحدث، ثم أنهى المكالمة وقال لأحد رفاقه:

- لقوا عربية «كريم» ده على الدائري وفيها دم.

سمعت والدة «كريم» ما قاله الضابط، فانفجرت في البكاء، وتساقط الدمع من عيني «تقى» وصوت يتردد في أذنها.. قد تحققت النبوءة.

في ذلك الوقت كانت سيارة الشرطة تقف أمام العمارة التي يقطن فيها «كريم»، وأمام السيارة كان ضابطان يقفان فلمح أحدهما «سيد» جار «كريم» يتجه إلى مدخل العمارة، فأشار الضابط إليه وهو يحدث زميله:

- شوف الواد المتني ده.

ثم اعتدل وأشار بيده لـ«سيد» أن يأتي.

- تعالى هنا يالا.

فتقدم «سيد» نحوه بتوتر، ثم صرخ في ألم عندما جذبه الضابط من القرط الذي يضعه في أذنه:

- إيه يا ابني العلوقية اللي انت فيها دي؟! حاطط لي حلق في ودنك، وداهن لي نص شعرك بني ونصه اسود؟! انت بسكلتة يالا؟!

قالها ثم ترك أذنه فتحسسها «سيد» بألم، وهو يقول بصوت ممزوج بتأوه:

- بسكلتة إزاي؟

صفعه الضابط على قفاه:

- وكمان مش عارف يعني إيه بسكلتة؟! انت رايح فين يالا؟

أشار «سيد» إلى العمارة:

- أنا ساكن في العمارة دي.

- طيب اطلع يا روح أمك، بس اعمل حسابك إني لو شوفتك بالمنظر ده تاني هاركبك.. ابقى استرجل شوية يا حبيبي.

قالها وهو يدفعه في صدره فانطلق «سيد» بخطوات مسرعة بارتباك، حتى دخل العمارة ووقف أمام باب المصعد وضغط زر الاستدعاء وانتظر قليلاً وهو يلتفت بتوتر إلى الضابط الذي أشار له إشارة بذيئة.. وما إن نزل المصعد حتى دخله «سيد» بسرعة، وضغط زر الصعود، لحظات قليلة كان قد وصل إلى الدور الذي يقطن فيه هو و«كريم» فخرج ووجد ضابطًا يقف أمام شقة «كريم» يتحدث في الهاتف، فمر من جانبه، وقبل أن يصل إلى شقته اهتز هاتفه المحمول معلنًا عن اتصال قادم، تبعه صوت النغمة التي يضعها: «في كلامي هقول ديليسبس.. هي دي كلمة السر.. ديليسبس»، فالتفت الضابط إليه بنظرة استنكار رد عليها «سيد» بابتسامة لزجة وهو يقول:

- آسف.. الرنة بتاعتي..

الظلام

نفس اليوم

حجرة متوسطة الحجم في منتصفها فراش طبي عليه «كريم» وهو مقيَّد بشدة من قدميه ويديه وعنقه، وعيناه معصوبتان، وتتصل برأسه ووجنتيه وجبهته وذقنه وأنفه أقطاب عدة كلها مثبتة بشرائط لاصقة، والأقطاب موصولة بجهازين يوضحان قياس حركة عضلات الوجه وقياس الموجات الدماغية.

وبجانب الفراش - وعلى مقعد صغير - جلس رجل أبيض البشرة متوسط القامة أسود الشعر مع بعض الشيب الذي بدأ في غزو الجانبين ويرتدي معطفًا طبيًّا، ظل الطبيب يتابع جهاز قياس نشاط الموجات الدماغية بصبر كأنه قد تعوَّد على ذلك، كان الجهاز يعرض موجات تعلو وتهبط في رتابة قرابة الساعة، والطبيب كما هو لا يتحرك، حتى تغيرت الموجات وأصبحت ذات سعة منخفضة وسريعة، فقام الطبيب بهدوء واتجه صوب هاتف داخلي ورفع السماعة وهو ينظر إلى كاميرا موضوعة في أعلى الحائط المواجه للفراش.

- دخل في مرحلة «REM sleep».. أبدأ؟

ثم انتظر قليلاً يستمع للطرف الآخر:

- Ok.

ثم أغلق السماعة، واتجه ناحية ثلاجة صغيرة بجانب الهاتف، وأحضر منها وعاءً شفافًا مملوءًا بماء تطفو عليه قطع من الثلج، ثم سار ببطء ناحية «كريم» وسكب الماء المثلج على رأسه؛ فانتفض «كريم» بذعر وهو يشهق من الصدمة ويفتح فمه ويغلقه مرارا، في حين عاد الطبيب إلى مقعده ووضع إحدى قدميه على الأخرى، وانتظر حتى انتهى «كريم» من الانتفاض، ثم سأله بهدوء مستفز:

- حلمت بإيه؟

ظل «كريم» يحرك رأسه يمنة ويسرة بتوتر وخوف - في الحيز الذي يسمح به قيد عنقه - دون أن يجيب، فأعاد الطبيب السؤال مرة أخرى:

- حلمت بإيه يا «كريم»؟

- أنا فين؟

قالها بخوف، فرد عليه الطبيب بهدوء:

- «كريم».. خلينا نتجاوز شغل الأفلام العربي ده وتعاون معايا، انسى خالص الأسئلة الساذجة من نوعية أنا فين وهتعملوا فيَّ إيه.. خلينا نكبر شوية.

ثم قرب المقعد من الفراش وهو يكمل:

- وعلشان نقرب من بعض شوية أحب أعرفك بنفسي، أنا دكتور «شادي»، ممكن تقول لي «شادي» على طول.. المهم بقى حلمت بإيه؟

استكان «كريم» أخيرًا، وتوقف عن الحركة وهو يتنفس ببطء ويقول بتهالك:

- ريَّح نفسك.. أنا من بعد الغيبوبة اللي دخلت فيها وفقدت قدراتي وأنا مش بحلم؟

مال عليه الطبيب «شادي» باهتمام متسائلا:

- يعني إيه مش بتحلم؟

- مش بحلم يعني مش بحلم.. نوم إسود من غير أي حاجة كأني في غيبوبة.

هز الطبيب «شادي» رأسه ببطء ثم أردف:

- جميل.

مد يده إلى طاولة معدنية صغيرة بجانب الفراش، وأحضر منها محقنا، ومن دون مقدمات غرزه في ذراع «كريم» الذي تأوه للحظات قبل أن يسقط مجددًا في سباته، وأخرج الطبيب «شادي» من جيب معطفه مسجلا صغيرا وبدأ تشغيله:

«من الواضح أن الحالة (كريم عبد الله عبد المجيد) حصلت له إصابة في الفص الجداري من المخ بسبب السكتة الدماغية المؤقتة، واللي كان أثرها هو عدم قدرته على رؤية الأحلام وفقدان قدراته الاستثنائية.. التاريخ ٢٠٠٨/٨/٢٣ الساعة ٧,٣٠ مساءً».

ضغط زر إنهاء التسجيل، وأعاد المسجل إلى جيب معطفه، ثم ربت برفق على كتف «كريم» النائم وهو يقول بخفوت:

- بكرة نبقى نكمل.

* * *

«٢٦ أغسطس ٢٠٠٨».

بعد ثلاثة أيام.

وقف الطبيب «شادي» للحظات أمام جسد «كريم» وهو ممسك بالوعاء الشفاف، وما إن تغيرت الموجات الدماغية التي يظهرها الجهاز إلى موجات ذات سعة منخفضة وسريعة، حتى سكب ما بالوعاء من ماء مثلج على رأس «كريم» الذي انتفض صارخًا وهو يشهق بعنف من الصدمة ثم

هتف بعنف:
- يا ابن الكلب.
جلس الطبيب «شادي» على المقعد وهو يقول بهدوئه المستفز:
- تؤ تؤ تؤ.. كده أزعل منك يا «كريم»، إحنا ناس محترمة ومتعلمة، والألفاظ دي ما تطلعش مننا.
- انت إنسان مستفز.
صرخ بها «كريم»، فضحك الطبيب:
- مش مهم رأيك في شخصيتي يا «كريم»، المهم تتعاون معايا علشان كلنا نستريح.. أنا هعمل معاك حاجة كويسة.
قالها، ثم قام وبدأ في نزع العصابة الموضوعة على عيني «كريم» وعاد مجددًا إلى مقعده:
- علشان أثبت لك حسن نيتي، أديني شيلت الرباط اللي على عينيك، ساعدني بقى انت كمان.
أغلق «كريم» عينيه بشدة عندما رأى النور فجأة بعد ظلام دائم أياما، ثم بدأ في فتحهما مجددًا ببطء، حتى تعوَّد على الإضاءة، فأخذ يتطلع إلى سقف الغرفة وأدار وجهه الذي نحل بشدة من اعتماده طوال الأيام الماضية على المحاليل الموصولة بجسده، ووجنتاه بارزتان وذقنه نامٍ، وظل يتأمل محتويات الغرفة، الغرفة نفسها التي رآها في الرؤيا الظلامية، الأحداث نفسها تسير كما قد قُدر لها، تذكر الرؤيا الدموية التي تُقطَّع فيها جبهته فانقبض قلبه، وأيقن أنه سائر إلى نهايته لا محالة.
- رُد عليَّ يا «كريم».
نظر إلى الطبيب «شادي» يتأمله ومشهد نزع ظافره يمر في ذهنه، تنفس بعمق، وحاول تهدئة قلبه المتواثب في صدره، وفكر في أن النجاة قد تأتي من عدم استفزاز الطبيب وإظهار التعاون معه، فقال بتهالك وصوت متهدج يقطعه أنفاسه المتقطعة:
- أساعدك إزاي؟
- لازم تستعيد قدراتك يا «كريم».
لاحت ابتسامة ساخرة على طرف شفتي «كريم» وعقَّب:
- تفتكر لو الموضوع بإيدي كنت استنيت الوقت ده كله؟
- أنا عارف إن طلبي مش سهل.
ثم مال ووضع سبابته على جبهة «كريم» وأردف:
- لكن الحل الوحيد هنا يا «كريم»، في مخك.. انت الوحيد اللي تقدر تستعيد قدراتك.
تنهد «كريم» في إرهاق:
- عايزني أعمل إيه وأنا أعمله.
- عايزك تضغط على مخك، عايزك تتمسك بفكرة تستفز خلايا مخك.. مش انت عايز تخرج لخطيبتك اللي اسمها...

ثم قطب حاجبيه مفكرًا وهو يطرقع بإصبعيه الإبهام والوسطى، فرد «كريم»:
- «تقى».
- أيوه «تقى»، مش انت بتحبها؟ فكر إن تذكرتك الوحيدة للخروج والرجوع لحبيبتك هي استعادة قدراتك.. فكر في أمك وأصحابك وحياتك العادية.
ثم مد يده في جيب معطفه وأخرج هاتف «كريم» المحمول «I phone» وضغط زر فتحه فخرج من الهاتف رنين متواصل يشير إلى وصول رسائل نصية كثيرة فأكمل الطبيب «شادي».
- كل الناس اللي بتحبها، فكر في الناس القلقانة عليك، الناس اللي عمالة تبعت لك رسايل ونفسها تشوفك تاني.. فكر يا «كريم»...
قطع حديثه صوت رنين الهاتف معلنا وجود اتصال، فنظر الطبيب «شادي» إلى المتصل، فتهللت أساريره ووضع الهاتف في مواجهة وجه «كريم» وهو يقول بحماس:
- شوفت يا «كريم»، دي «تقى» حبيبتك لسه بتحاول تتصل بيك.
ثم ضغط زر الرد وزر مكبر الصوت فخرج صوت «تقى» هاتفا بقلق:
- «كريم».. «كريم».. انت فين يا «كريم»؟
همَّ «كريم» أن يقول أي شيء، لكن الطبيب ضغط زر إنهاء المكالمة، ثم أغلق الهاتف وأعاده إلى جيب المعطف وهو يقول:
- «تقى» يا «كريم» لسه مستنياك ولازم ترجع لها.. تمسك بالفكرة دي.
ثم أردف ساخرًا:
- أو فيه فكرة تانية.. إني ممكن أجيبهالك هنا.
زام «كريم» في غضب، وحاول التخلص من قيوده، ثم بصق على وجه الطبيب وهو يقول بغضب:
- أو فيه فكرة أحسن.. إني أقتلك.
أخرج الطبيب منديلا من جيبه ومسح البصقة من على وجهه ببطء ثم قال بغضب:
- دي فكرة ممتازة برضه.. بس هتحتاج مساعدة مني علشان الفكرة تستقر في دماغك.
ثم مد يده إلى الطاولة المعدنية المجاورة للفراش وأمسك بمبضع جراحي، وبيده الأخرى أمسك بالقميص الطبي الذي يرتديه «كريم» ومزق جزءا منه بالمبضع حتى كشف صدر «كريم» ثم مرر المبضع عليه ببطء وهدوء محدثًا جرحًا قطعيًا بطول منطقة الصدر وهو يبتسم كلما علت صرخات «كريم»، ثم قال بهدوء:
- مش انت نفسك تقتلني؟ حاول تحرك أي حاجة في الأوضة وخليها تقتلني.. ركّز يا «كريم».
ظل «كريم» يتأوه ويتلوّى بشدة، فرفع الطبيب المبضع مرة أخرى، وقبل أن يُحدث جرحًا جديدًا أتاه صوت الهاتف الداخلي، فاتجه نحوه ورفع السماعة ينصت للمتكلم على الطرف الآخر، ثم وضع السماعة وعاد إلى جانب الفراش، وأمسك بالمحقن بعدما أعاد المبضع مكانه، وغرز المحقن في ذراع «كريم» وهو يقول:

- كفاية كده النهارده.. بكرة هبقى أديك سبب تاني لقتلي.
اندفع السائل المخدر في عروق «كريم» الذي سقط في سباته مجددًا والدماء تنزف من الجرح وتغرق صدره وفراشه.. فخرج الطبيب من الغرفة وأشار لأحد المساعدين:
- حد ييجي يشوف الجرح وينضف السرير.
فاندفع المساعد ومعه آخر إلى الغرفة، بينما انصرف الطبيب بخطوات بطيئة وهو يرفع كفه أمام وجهه ويفرك أصابعه ببعضها البعض ويتطلع إلى الدماء.. دماء «كريم»..

* * *

٢٧ أغسطس ٢٠٠٨

- والله العظيم يا ماما تليفون «كريم» اتفتح امبارح بالليل شوية بس اتقفل بعديها على طول.
لم تيأس «تقى» من تكرار الاتصال برقم «كريم» طوال الوقت، منذ عرفت بخبر اختطافه، شيء ما في قلبها يخبرها أنه سيعود إليها لا محالة، حدس قوي يخبرها بأنها لن تفقده هكذا، لا تعلم هل حدسها صحيح أم أنه قشة أمل تحاول التمسك بها حتى لا تغرق في بحار الحزن والألم اللذين يعتملان في قلبها..
- ما تخافيش يا ماما.. «كريم» هيرجع أكيد.
أنهت المكالمة مع والدة «كريم» وجلست أمام الكمبيوتر الخاص بحبيبها وهي تشاهد تسجيلاته مجددًا، توقفت كثيرًا عند الفيديو الذي يقص فيه «كريم» نشر جمجمته والدماء تتناثر وقلبها ينتفض خوفًا من مجرد تخيل المشهد ومن مجرد تخيل ما يحدث له الآن.
ظلت تشاهد التسجيلات حتى توقفت عند واحدة يحكي فيها عن الطبيب «ألبير» وعن أنه يساعده على استرجاع قدراته، راودتها فكرة ففتحت موقع البحث «جوجل» وكتبت فيه «دكتور ألبير عياد» وضغطت زر البحث، فأتتها نتائج عدة عن الكتاب الذي ألفه، وبعد قليل من البحث وجدت عنوان المركز الذي يديره، نظرت في ساعة الحائط فوجدتها تشير إلى تمام الثانية عصرًا، ظلت تتأمل العنوان قليلاً حتى اكتملت الفكرة في رأسها، فأتت بقلم وكتبت في ورقة أمامها عنوان المركز، وقامت ترتدي ملابسها، ثم غادرت المنزل ووقفت أمام باب العمارة، حتى توقفت سيارة أجرة:
- العاشر من رمضان؟
- اتفضَّلي يا آنسة.
فتحت الباب الخلفي وجلست على الأريكة، وانطلق السائق إلى الوجهة التي أخبرته بها.
بعد ساعة ونصف الساعة كانت تطرق باب غرفة الطبيب «ألبير» الذي كان في انتظارها، بعد أن أخبره حارس الأمن بهويتها فسمح لها بالدخول فدخلت، وقام هو بلهفة يحييها ويشير لها أن

تجلس على المقعد المقابل لمكتبه، وجلس على مقعده:
- إيه اللي حصل؟ وفين «كريم»؟
قصت عليه بتوتر كل شيء، بداية من غيابه المفاجئ، حتى خبر اختطافه وتحقيق الشرطة، وسيارة «كريم» التي وجدوها على الدائري وبها بُقع من الدم، ووجه الطبيب يمتقع رويدًا رويدًا ونظراته أصبحت ذاهلة مضطربة، حتى عندما انتهت «تقى» من الحديث ظل صامتًا وصدره يعلو ويهبط، ثم وضع يده على قلبه فخشيت أن يصاب بأزمة قلبية، لكنه نظر إليها وسألها:
- انتي قلتي لي العربية بتاعته لقوها على الدائري.. كانت في أنهي اتجاه؟
- كانت في الاتجاه اللي رايح «٦ أكتوبر».. اشمعنى؟
أغمض عينيه للحظات وهو يجز على أسنانه قبل أن يفتح عينيه ويقول ببطء وشرود:
- لا أبدا سؤال عادي.. بس أنا هحاول أوصل لمكانه بأي طريقة.
ثم قام معلنا انتهاء الحوار، فقامت هي الأخرى:
- طيب أستأذن أنا يا دكتور.
دار حول مكتبه وسبقها إلى باب الغرفة:
- لأ طبعا، أنا لازم أوصلك لحد أقرب مكان على الأقل.. «كريم» زي ابني وأي حد يخصه يبقى يخصني.
همت أن تعترض، فأشار بيده وأردف:
- وده كلام نهائي.. ما تحاوليش.
هزت كتفيها في استسلام وخرجت من الغرفة بعد أن فتح بابها وخرج خلفها فأغلق الباب، وقبل أن يصلا إلى المصعد قابله الطبيب «عماد»:
- إيه يا دكتور «ألبير».. هتمشي؟
- إيه يا دكتور «عماد»؟ عندي مشوار مهم.
ثم أشار لـ«تقى» ثم للطبيب «عماد».
- دكتور «عماد» أقدم لك الآنسة «تقى».. آنسة «تقى» ده دكتور «عماد».
هزت رأسها مرحبة فرد عليها بالمثل، ثم التفت إلى الطبيب «ألبير» الذي تحرك نحو المصعد:
- لو فيه أي حاجة ضروري ابقى كلمني يا «عماد».
ظل واقفا مكانه، حتى تأكد من رحيل الطبيب «ألبير»، فأسرع إلى مكتبه وأحضر مفتاحًا صغيراً ومسجلاً، وبخطى مسرعة توجه إلى غرفة الطبيب «ألبير» وأبدل بالمسجل الموجود تحت المكتب الخشبي آخر، ثم عاد إلى غرفته وأغلقها، وظل يسمع الحوار الذي دار بين «تقى» والطبيب «ألبير»، ثم توقف عند الجزء الذي سأل فيه عن وجهة سيارة «كريم»، وعند إجابتها وهي تقول «٦ أكتوبر»، أوقف المسجل وظل ينقر بإصبعه على المكتب وهو يفكر، ثم فتح الكمبيوتر الخاص به واستعرض صور ملفات تم سحبها بالماسح الضوئي، حتى توقف عند إحداها، ثم كبَّر الصفحة قليلا،

وضغط زر الطباعة وانتظر حتى خرجت الورقة من الطابعة، فأطبقها ووضعها في جيب معطفه، ثم أخرج هاتفه وأرسل رسالة نصية إلى رقم ما، وقام من مكانه وأخذ يتحرك بعصبية في الغرفة ذهابًا ومجيئًا وعقله يحلق في مكان آخر.

* * *

٢٨ أغسطس ٢٠٠٨

ترددت صرخات «كريم» في أرجاء الغرفة، والدماء تنفجر من ذراعه اليمنى بسبب الجرح القطعي الذي يحدثه الطبيب «شادي» فيه بالمبضع الجراحي.

- ياه يا «كريم».. ده انت متسامح أوي.

أعاد المبضع مكانه، وجلس على المقعد، ووضع قدمًا على الأخرى وهو يلقي نظرة على جهاز قياس الموجات الدماغية، ثم عاد إلى «كريم» ويقول بهدوئه المعتاد:

- كل اللي عملته ده مش قادر يخليك تحفز خلايا مخك؟ صدرك ودراعك اليمين خلاص ما بقاش فيهم مكان.

ظل «كريم» يفتح فمه ويغلقه بلا صوت؛ كأنه لا يستطيع التنفس وجسده ينتفض من الألم، وأكمل الطبيب حديثه:

- اللي أنا مستغرب له إن كتير من الناس العادية في حالات الخطر جسمهم الأثيري بينطلق علشان يحميهم، والمفروض واحد بقدراتك يكون أولى بحاجة زي دي، تلاقيك ما تعرفش يعني إيه الجسم الأثيري.

ثم أنزل قدمه ومال ناحية «كريم»، وشبَّك أصابعه وهو يكمل باهتمام كأنه محاضر يشرح لتلامذته:

- الجسم الأثيري ده يا «كريم» هو حالة الخروج من الجسد، الإنسان بيتكون من جزئين: جزء مادي محدود، وجزء تاني غير محدود، عايز تسميه الروح أو أي حاجة تانية براحتك، المهم إن في حالات الخطر أحيانا الجسم الشفاف ده بيخرج من الجسد ويتحرك، وممكن يعمل أي حاجة؛ لدرجة إنه يقدر يتحد بأي مادة تانية ويحركها، أو يستغيث بحد تاني عن طريق حلم أو رسالة عقلية؛ علشان يحمي الجسد.. والمفروض إن جسمك الأثيري يتحرك بما إن جسدك في خطر.

ثم تفكر قليلاً وقال ببطء:

- أو ممكن يكون عقلك لسه مش مقتنع إن جسمك في خطر.

ثم أردف وهو يبتسم:

- وده يخليني أنتقل للجزء الممتع من وسائل الإقناع.

قالها ثم قام من مكانه؛ فنظر إليه «كريم» بنظرة غضب وغل وهو يتأوه، فهز الطبيب رأسه بسخرية وهو يقلد صوت «كريم»:

- انت ابن كلب، فأنا هقول لك: عيب كده يا «كريم»، هتقول: انت إنسان مستفز، أقول لك: عادي جدًّا، هتقول: هقتلك، هقول لك: انت لسه مش مقتنع بفكرة قتلي.. خليني بقى أديك سبب مقنع.

ثم وضع يده في جيب معطفه، وأخرج كماشة صغيرة جربها في الهواء، فانتفض «كريم» ذعرًا وقبض أصابع كفه اليسرى فنظر الطبيب إليه وإلى أصابعه المنقبضة، وهو يقترب من الفراش ويقول بانبهار:

- واااااو.. واضح إنك شوفت الجزء ده قبل كده وأكيد عارف أنا هعمل إيه دلوقتي.. آه يا خلبوص.

ثم أمسك كف «كريم» وفرد أصابعه بقوة وأمسك إصبع الخنصر ووضع الكماشة على طرف ظافره، وبدأ في نزعه ببطء وهو يتطلع إلى وجه «كريم» الذي علت صرخاته، فأطال الطبيب وقت نزع الظفر وصرخات «كريم» تتعالى وتتعالى حتى ملأت الممر خارج الغرفة.

* * *

في الوقت نفسه وخارج المركز الذي اختُطف فيه «كريم» كان هناك حارس أمن، شاب طويل القامة مفتول العضلات يقف أمام البوابة الرئيسية، فأشار له حارس آخر يجلس داخل كشك خشبي أن ينظر إلى جهة اليمين، التفت فرأى وسط ظلام الليل شابا يسير بجانب السور ببطء، ويرتدي «سويت شيرت» يخرج منه غطاء رأس يخفي رأسه ونصف وجهه ويقترب منه وهو يضع يديه داخل جيبي «السويت شيرت»، فأشار له بيده أن يبتعد:

- ممنوع المشي هنا يا كابتن.

لم يبدُ على القادم أنه قد سمع حرفا مما قيل، وظل يقترب بخطوات بطيئة، فتحفز الحارس.

- قلت لك امشي من هنا.. انت أطرش؟!

توقف القادم على مسافة مترين، وأخرج يده اليمنى من جيبه بسرعة وهي حاملة مسدسا، وأطلق منه طلقة استقرت في رقبة الحارس الذي وضع يده عليها وأخرجها وهو ينظر بدهشة إلى الرصاصة الزجاجية، ثم سقط مغشيًّا عليه، وبسرعة تحرك ذلك القادم وأطلق رصاصة أخرى على الحارس الجالس في الكشك الخشبي، فسقط هو الآخر، ثم جر الحارس ووضعه في الكشك بجانب زميله وهو يتمتم بسخرية:

- اسمي «بروس لي» يا ابن المرة.

وعلى الفور تحرك وسار بجانب السور من الداخل، حتى وصل إلى مصدر الكهرباء، ففتح غطاءه ومزَّق الأسلاك الداخلية فانطفأت أضواء المركز كله، اتجه بسرعة بعدها إلى أمام البوابة، وأخرج

هاتفه وأجرى اتصالا وهو ينظر إلى الجهة الأخرى، فتحركت سيارة «مرسيدس» من الجانب الآخر، ودارت حتى توقفت أمام البوابة، وفي الظلام الدامس رأى «مجدي» رجلا ينزل من السيارة ويتجه بسرعة إلى الداخل، ويشير إليه أن ينتظر بجانب الكشك، ثم رآه يمسك بمطفأة حريق ويضعها أمام باب المركز الداخلي، وبعدها سمع صوت طلقات مكتومة وتأوهات من الداخل.. فأسند ظهره إلى الكشك وأشعل سيجارة وأخذ يطلق دخانها في الهواء باستمتاع.

* * *

تأوَّه «كريم» بألم وعيناه تدوران في محجريهما، فربت الطبيب «شادي» على وجنته بشدة وهو يقول:

- إوعى يُغمى عليك يا «كريم».. انت لسه عندك ٩ صوابع كمان.

رفع الكماشة أمام وجهه وهو يبتسم، ومد يده يمسك بإصبع «كريم» الوسطى وقبل أن ينزع ظافرها انطفأت الأضواء فجأة، فاعتدل بتوتر وأعاد الكماشة إلى جيبه، وتوجه ناحية الباب:

- جايلك تاني ما تقلقش.

لم تكد تمر ثلاث دقائق حتى سمع «كريم» أصوات تأوهات خارج الغرفة، تبعها صوت فتح الباب ودخول شخص بخطوات ثقيلة، توترت عضلاته وازدادت توترًا، خاصة عندما شعر بيد تتحسسه وضوء كشاف قوي يستقر على وجهه، ما دفعه إلى إغلاق عينيه بشدة وصوت يقول بتوتر:

- ولاد الكلب.. عملوا فيك إيه؟

ثم شعر بالقادم يقطع قيوده بمدية وهو يقول:

- ما تخافش يا «كريم»، أنا جاي علشان أخرجك.

دس القادم ورقة في يد «كريم»، وكشافا ضوئيا آخر، وأسند ظهره ورفع يده ووضعها على كتفه هو، وأسنده حتى خرج من الغرفة ووقفا في الممر، ثم قال بخفوت:

- الورقة دي هتوريك المخرج فين.. اخرج بسرعة، وهتلاقي واحد واقف بره هيركِّبك في عربيتي.. أنا هحصلك حالاً بس محتاج أصوَّر حاجات الأول.

قالها وانطلق إلى الجهة المعاكسة وترك «كريم» الذي سار ببطء وبخطى مترنحة بمحاذاة الحائط، وهو يقاوم الدوار العنيف والألم الذي يشعر به في ذراعه وصدره، وعلى ضوء الكشاف أكمل سيره فارتطم بشيء على الأرض فسقط بجانبه في فزع وخوف، فوجه الكشاف ناحية الشيء فوجده رجلاً فاقدًا للوعي يرتدي معطفًا طبيًّا وهناك رصاصة زجاجية تستقر في رقبته.

أسند «كريم» ذراعه إلى الحائط، وقام مجددًا وأكمل سيره؛ فرأى طبيبين آخرين فاقدين للوعي على الأرض، فتحاشى الارتطام بهما، وقبل أن ينتقل للممر الثاني تناهى إلى مسامعه صوت الطبيب «شادي» وهو يهتف بأحدهم أن يبحث عنه، تبعها صوت خطوات سريعة تقترب منه، فدخل إلى

أول غرفة قابلته واختبأ فيها.
سمع صوت الخطوات تقف أمام غرفته، والطبيب «شادي» يأمر أحدهم بأن يبحث في الممر الآخر.
خاف «كريم» أن يدخل إلى الغرفة ويراه فسلط الضوء في الغرفة؛ فرأى طاولات متراصة بالطول وعليها أجساد مغطاة بغطاء بلاستيكي.. تملكه الذعر وهو يسير بين الطاولات، حتى رأى واحدة خالية فنام عليها وغطى جسده بغطائها البلاستيكي، وأطفأ الكشاف، كتم أنفاسه عندما سمع بعدها صوت دفع باب الغرفة وأحدهم يسير بخطوات بطيئة عرف أنها للطبيب «شادي» عندما تكلم:
- طيب يا «كريم» لمّا تستخبى في حتة لازم تقفل بابها الأول علشان ما أعرفش إنك هنا.
سار الطبيب ببطء وسط الغرفة على ضوء هاتفه المحمول، وظل ينظر إلى الطاولات ثم تناول سكينًا كبيرة تُستخدم في تقطيع أجساد الموتى وغرزها في صدر إحدى الجثث وأردف:
- الإنسان ده عجيب أوي يا «كريم»، يبقى بيكبر ويحلم ويتألم.. وفجأة:
أدار السكين في الجثة ونزعها وأكمل سيره.
- يبقى مجرد جماد مكون من لحم وعضلات من غير أي أحاسيس.. تفتكر ساعتها مين أَولى بيه: الأرض ولا العلم؟
- الناس الجهلة هتقول الأرض أولى بيه، لكن أنا بقولك لأ يا «كريم».. الأفضل إننا نستفيد بالأجساد دي في الأبحاث.
- زمان كان الأطباء بيسرقوا الجثث علشان يقدروا يشرحوها، لحد ما تم تقنين الأمر ده، تفتكر لو الأمر فضل مُحرم كنا هنوصل لعلاج الأمراض اللي وصلنا ليها؟
ثم غرز السكين في ساق جثة أخرى وأردف:
- بس الناس مش هتفهم التضحيات دي إلا لما تشوف النتيجة.
مع كل صوت يصدره غرز السكين في إحدى الجثث كان جسد «كريم» يرتعد بخوف وهو يحاول أن يكتم أنفاسه؛ حتى لا يسمعه الطبيب، وفجأة خيَّم على المكان صمت تام لمدة دقيقة تبعها صوت ابتعاد الخطوات، ثم فتح الباب وغلقه مجددًا، انتظر «كريم» دقيقة ثم بحركة متوترة عدَّل ظهره، وحاول إنزال قدميه ببطء وهو يشغل الكشاف فتعثر وسقط على جانب المنضدة، وسقط بجانبه شيء آخر من فوق المنضدة المجاورة، فالتفت ليجد شخصًا ميتًا له نصف رأس مقطوع رأسيًّا وقد اختفى مخه، كادت تفلت منه صيحة فزع، فوضع كفه على فمه يكتمها، ثم قام وهو يقاوم الغثيان ويمنع نفسه من التقيؤ، وسار بخطى مترنحة.. وما إن وصل إلى منتصف الغرفة، حتى عادت الأضواء للعمل، فأغلق عينيه من الصدمة وفتحها مجددًا فتراجع في ذعر عندما وجد الطبيب «شادي» على مقربة منه، ويمسك سكينًا ضخمة ويبتسم:
- إيه رأيك يا «كريم» في فيلم الرعب ده؟!
تراجع «كريم» قليلاً حتى اصطدم بطاولة معدنية، فالتفت إليها بتوتر، فوجد عليها مبضعا جراحيا

فأمسكه بيده اليمنى ورفعه أمام وجهه وأخذ يلوّح به وجسده يترنح، فاقترب منه الطبيب بنفس الهدوء والابتسام بخطوات بطيئة، وهو ممسك بالسكين بيده اليمنى ويرخيها بجانب جسده:

- ما تخافش يا «كريم» أنا مش هقتلك.. أنا لسه محتاج عقلك.

ثم قطع المسافة الباقية بسرعة وهجم بغتة وهو يرفع السكين إلى أعلى وهو يقول:

- بس مش جسمك كله.

نزل بالسكين بسرعة باتجاه كتف «كريم» الذي رفع يده اليسرى مدافعا عن نفسه فأصابت السكين إصبع الخنصر فقطعتها، وفي سرعة ومرونة غريبة أمال «كريم» جزعه كأنه استعاد نشاطه فجأة، ودار دورة جانبية ثم وجّه المبضع إلى رقبة الطبيب فقطع وريده الذي انفجرت منه نافورة دماء.. أمسك الطبيب رقبته بعد أن أسقط السكين وسقط هو الآخر، ونظره مثبت بدهشة وذهول إلى «كريم» الذي جلس على صدره وقرب وجهه إلى وجه الطبيب وقال بإرهاق وغل:

- قلت لك إني هقتلك.

خرجت الدماء من فم الطبيب وقال بصوت محشرج:

- هو ده قصدي إن أنسجتك العضلية شبه أنسجة عضلة القلب.

لم يلتفت «كريم» إلى ما قاله الطبيب، ورفع المبضع ثم طعنه في حنجرته وظل يكرر ذلك عدة مرات، حتى تطايرت الدماء وغطت وجهه وصدره، ثم توقف وهو ينهج بشدة:

ألقى المبضع جانبا ورفع ذراعه يستند إلى طاولة بجانبه وقام ثم بصق على بقايا وجه جثة الطبيب، ومسح الدماء من عينيه، وخرج من الغرفة مترنحًا.

ظل يسير على الخريطة المرسومة في الورقة التي أعطاها له منقذه، حتى تراءت له بوابة المركز الداخلية فتوجه نحوها، وقبل أن يصل إليها ببضعة أمتار انتصر عليه الدوار أخيرًا فسقط مغشيًّا عليه.

* * *

في الخارج - أمام البوابة الرئيسية - كان «مجدي» يقف وهو يسند كوعه إلى مقدمة السيارة، فلما شعر أن الوقت قد طال اقترب من نافذة السيارة وهو يقول:

- يا باشا الوقت طوِّل أوي.

فأتاه صوت من بالسيارة بتوتر:

- مش عارف يا «مجدي»، همّ كده شغلوا مولِّد الكهربا ومش عارف هو أخد الوقت ده كله ليه.. خد مسدسك وبص بصة كده يا «مجدي».

على الفور اندفع «مجدي» - وهو يغطي وجهه بغطاء الرأس - وما إن اجتاز البوابة الرئيسية، حتى شاهد «كريم» وهو يسقط على الأرض، فاندفع بسرعة ودخل إلى المركز، وقبل أن يحمل «كريم»

وجد طبيبًا يخرج من أحد الممرات الجانبية، فأطلق عليه «مجدي» بسرعة طلقة استقرت في عينه اليمنى وفجَّرت دماءها، ثم حمل «كريم» على كتفه وركض نحو السيارة وفتح بابها الخلفي وألقى جسد «كريم» بالداخل، ثم أغلق الباب ودار حول السيارة وركب في المقعد المجاور لقائد السيارة، التي انطلقت على الفور و«مجدي» يقول:

- والله يا باشا كان المفروض نفجَّر المكان ونبقى ماشيين كده والنار طالعة من المبنى ورانا.

بعد ساعتين كانت السيارة تجتاز مدخل البوابة الرئيسية لمستشفى «عين شمس التخصصي» ثم توقفت، والتفت قائد السيارة إلى «مجدي»:

- عايزك تشيل «كريم» لحد جوه، وأول ما ينشغلوا بيه تخرج بسرعة من غير ما أي حد ياخد منك أي تفاصيل.

ثم أعطاه حقيبة يد صغيرة:

- ودي الحاجات بتاعة «كريم» اللي لقتها جوّه، بطاقته وموبايله.. كل حاجة تخصه يعني.. تسيبها جوه وتيجي على طول وأنا هستناك.

على الفور اختطف «مجدي» الحقيبة ونزل وحمل جسد «كريم» واتجه إلى الداخل وهو يصرخ بالأطباء:

- حد يلحقنا.. الراجل هيموت.

اندفع الممرضون بعربة طبية، ووضعوا جسد «كريم» عليها ودفعوها إلى الداخل فتأخر عنهم «مجدي» قليلا ووضع الحقيبة على أحد المقاعد ثم تسلل إلى الخارج حتى وصل إلى السيارة، فقفز إلى داخلها..

وعلى الفور انطلقت السيارة إلى الخارج، ثم توقفت على مسافة قريبة، ومد قائدها يده إلى التابلوه وأخرج رزمة من المال، وهمَّ أن يعطيها لـ«مجدي» الذي رد يد قائد السيارة مستنكرًا:

- عليَّ الطلاق أبدًا.. ده انت بتعمل خير يا باشا وكفاية الخير اللي جالي من المرة اللي فاتت.

ثم فتح باب السيارة ونزل، وقبل أن ينصرف عاد ومال ناحية نافذة السيارة ومد يده يصافح مَن بالداخل:

- مش هنتعرف بقى يا باشا؟

تبسم مَن بداخل السيارة وهو يصافح «مجدي» ويشد على يده:

- اسمي «عماد».. دكتور «عماد مسيحة».

القرار

٢٩ أغسطس ٢٠٠٨

- «كريم».. «كريم».

صوت قادم من بئر سحيقة ظل يتردد في رأسه، صوت انتزعه من سباته، تجمعت كوابيس الكون كله وتجسدت في ذهنه، لم يستطع الهرب، لم يستطع الخروج، والآن سينتقمون منه شر انتقام لما فعله في طبيبهم «شادي».

- «كريم».. قوم يا «كريم».

يد تُوضع على كتفه جعلته يتذكر ما كان يفعله به الطبيب الذي قتله، استعاد عقله نشاطه، فانتفض فجأة وأمسك اليد التي على كتفه وعدل ظهره - وهو يصيح خوفًا - فأتاه صوت رقيق عذب:

- «كريم».. ما تخافش يا حبيبي.

تلفت حوله بذعر وقلبه ينتفض في صدره، فوجد نفسه في غرفة طبية مغايرة للتي كان فيها، وعلى جانبه وجد «تقى» دامعة العينين وهي تمسح على شعره حتى يهدأ، فظل يتأملها بخوف، ثم مد يده يتحسس وجهها برفق - كأنه يتأكد أنها حقيقية وليست خيالاً صنعه عقله - ثم أفلت يدها وأراح ظهره مجددًا ولم يعقب، فمدت يدها تتحسس الضمادات التي على صدره وذراعه، ثم قالت بجزع وهي تنظر إلى يده ذات الإصبع المفقودة:

- همّ عملوا فيك إيه يا حبيبي؟!

أشاح بوجهه للناحية الأخرى وقد أفلتت دموع من عينيه وهو يتذكر ما لاقاه طوال الأيام الماضية، تذكر الطبيب وهو يُقطِّع في صدره وذراعه، تذكره وهو ينتزع ظافره، ثم وهو يقطع إصبعه، وأخيرًا تذكر منظر الطبيب بحنجرته المهزقة والدماء من حولها، ظل هكذا للحظات قبل أن ينظر إليها مجددًا ويسألها السؤال الكوني:

- أنا فين؟

مدت أناملها الرقيقة تمسح دموع عينيه، وقالت برفق وحنان:

- أنت في مستشفى «عين شمس التخصصي»، حد جابك هنا إمبارح وساب موبايلك وكل حاجاتك ومشي، ولما فتحوا الموبايل كنت أنا بتصل، وعرفت منهم إنك هنا..

obeikan.com

ثم أجهشت بالبكاء، وأردفت من وسط دموعها:

- طول الفترة اللي فاتت كنت دايما بتصل على رقمك.. كنت عارفة إنك مش هتسيبني بالطريقة دي.

- حد برضه يموت ويسيب روحه زعلانة؟!

قالها بتهالك وهو يمد أنامله يتحسس وجهها ويحاول التبسم، فكفكفت دموعها وأمسكت بيده وقبّلتها:

- بعد الشر عنك يا حبيبي.

ترك كفه في يدها باستسلام وهو يقول بحنان:

- لو كنت أعرف إني هسمع الكلام الحلو ده منك وهشوف لهفتك عليَّ لمَّا أتخطف، كنت خليتهم يخطفوني من زمان.

رفعت راحة يده إلى شفتيها وقبَّلتها مرة أخرى، ثم أمسكتها بكلتا يديها:

- لو ما كنتش اتخطفت كان زمان النهارده بنكتب كتابنا.. إحنا في يوم ٢٩ يا حبيبي.

- والله حاسس إن فيه حد باصص لنا في الجوازة دي، المرة اللي فاتت عمك مات قبلها، والمرة دي اتخطفت.. بالشكل ده ممكن المرة الجاية تحصل حرب.

- مهما حصل مش هتخلى عنك أبدا.

التفت إلى كفه اليسرى ذات الإصبع المقطوعة وقال بألم:

- حتى بعد اللي حصل لي ده؟

- ولو ما بقاش منك حاجة، برضه مش هتجوز غيرك.

لم يشعر برغبة في أن يستمر في ذلك الحوار، فتلفت بنظره في الغرفة وسألها مغيراً مجرى الحديث:

- فين ماما؟

تفهَّمت رغبته فردت عليه بسرعة:

- أول ما عرفت مكانك كلمت مامتك وقلتلها، بس ما قدرتش أستنى وجيت جري لوحدي.

ثم أردفت بلهجة ذات معنى:

- وكمان كلمت دكتور «ألبير».

نظر إليها بدهشة، فربتت على كفه:

- أنا شوفت الفيديوهات اللي سجلتها لنفسك.. ليه ما قولتليش قبل كده يا «كريم»؟

- ما كنتيش هتفهمي اللي بيحصل لي يا «تقى».. كنتي هتفتكريني مجنون.

- كنت هصدقك، عارف ليه؟ علشان والله العظيم بحبك.

سالت الدموع من عينيه، وشعر بقبضة تعتصر قلبه ألمًا وحزنًا:

- عارفة أكتر حاجة كنت بفكر فيها وأنا مخطوف إيه؟ انتي.. وعارفة أكتر حاجة كنت خايف منها؟

إني ما أقدرش أشوفك تاني.
- بس أنا كنت متأكدة إني هشوفك تاني.
ثم قالت مداعبة:
- بس أنا كده فهمت أخيرًا انت عرفت إزاي الأكل اللي أنا بحبه لما كنا في المطعم.
- وأكيد فهمتي أنا ليه حبيتك أول ما إيدي لمست إيدك في أول مرة شوفتك فيها.
- لما طلبت تخطبني؟ والله ساعتها افتكرتك مجنون.
- مش بقول لك.
قبل أن ترد، قاطعتهما صيحة فرح من عند باب الغرفة:
- «كريم».
التفت فوجدها أمه التي قالتها واندفعت بفرح واحتضنته بشدة، فتأوه بألم عندما ضغطت على صدره، فتركته وأخذت تتحسس الضمادات بأناملها، ثم ندت منها صيحة جزع ووضعت كفها على فمها وهي تنظر بذهول وحزن إلى كفه وإصبعه المقطوعة، ثم انخرطت في البكاء وهي تضم رأس ابنها وتنهال عليه بالقبلات ودموعها تبلل وجهه:
- حمدًا لله على سلامتك يا حبيبي.. حمدًا لله على السلامة.
تحسس وجهها برفق، ثم ربت على كفها مطمئنًا:
- خلاص يا أمي أنا رجعت أهه.. بطّلي عياط بقى.
- الحمد لله، الحمد لله.
- فيه ظابط هنا عايز يكلمك يا أستاذ «كريم».
جاءهم الصوت من خلفهم، فالتفتوا ناحيته فوجدوا فتاة ترتدي زي الممرضات وتقف عند الباب، وقبل أن يرد أحدهم أزاحها برفق أحد الضباط يتبعه شخص آخر، ثم تقدم الضابط وجذب مقعدًا وجلس بجانب الفراش:
- أستاذ «كريم»، أنا الظابط المسئول عن التحقيق في واقعة اختطافك.. أظن إن الحاجَّة والآنسة «تقى» عارفنِّي.
ثم نظر إلى «تقى» ووالدة «كريم» وهو يبتسم، فأومأت كلتاهما برأسها إيجابا، فعاد إلى «كريم» وأردف:
- أنا عارف إنك تعبان جدًّا، بس لازم أعرف منك كل حاجة علشان نقدر نوصل للجاني.
أومأ «كريم» برأسه متفهمًا، والتفت الضابط إلى الباقين:
- بس بعد إذنكم يا ريت تستنوا بره الأوضة شوية، علشان نعرف نتكلم:
- أكيد طبعا.. يلا يا ماما.
قالتها «تقى»، ثم جذبت يد والدة «كريم» واتجهتا ناحية الخارج والضابط يسأل «كريم»:
- احكي لي كل حاجة حصلت.

أغلقت «تقى» الباب خلفها، ووقفت بجوار حماتها تربت على كتفها، ثم رأت في آخر الرواق الطبيب «ألبير» يندفع بسرعة ورشاقة لا يتناسبان مع سنه المتقدمة، وما إن وصل إليهما حتى توجه إلى غرفة «كريم» مباشرة فأشارت له «تقى» بيدها:

- ثواني يا دكتور.. الظابط جوه بياخد أقوال «كريم».

توقف قبل أن يفتح الباب، والتفت إليها والقلق بادٍ عليه.

- و«كريم» صحته أخبارها إيه؟

- الحمد لله.. لما تدخل هتشوف بنفسك.

قالتها بألم، ففهم من وجهها أن الأمر ليس على ما يرام، فتوجه إلى أقرب مقعد وجلس عليه مثبتا نظره إلى الحائط المقابل، وفي الوقت نفسه أتته رسالة نصية، ففتح هاتفه ليجدها من رقم خارج مصر ومكونة من سطر واحد «Are you In or out؟» فظل يتطلع إليها قليلاً ثم أغلق الهاتف تمامًا وأعاده إلى جيبه وقلبه يشتعل توترًا وقلقًا مما سيأتي.

* * *

- طيب إيه السبب اللي خلاهم يخطفوك؟

قالها الضابط بحيرة - بعد أن قص عليه «كريم» كل ما حدث من أول الاختطاف حتى قتله للطبيب «شادي»، وعن ذلك المجهول الذي ساعده على الهرب مع إغفال كل شيء عن القدرات الخارقة - صمت «كريم» قليلاً قبل أن يرد على الضابط:

- مش عارف، بس اللي أنا فهمته إن الناس دي مش أول مرة تعملها، خصوصًا إني شوفت أوضة مليانة جثث متقطعة بشكل بشع، وتلاجة مليانة أعضاء بشرية.. وكلام «شادي» ده اللي أنا قتلته إنهم أولى بالجثث دي علشان يعملوا تجاربهم عليها.

- مأجور أجنبي خطفك، ورصاصات تخدير، وقتل بشر، وسرقة أعضائهم، وأطباء مشاركين في ده.. انت كده بتتكلم عن مافيا منظمة مش مجرد عصابة عادية!

- لو كنت شفت اللي أنا شفته هناك كنت هتقول أكتر من كده.

ثم رفع كفه اليسرى - ذات الإصبع المقطوعة - فنظر الضابط إليها بألم وهو يتخيل ما حدث:

- طيب انت مش فاكر أي حاجة تقدر توصلنا للمكان ده؟

هز رأسه نافيًا، ثم قال:

- بس أقدر أقول لك عن شكل الراجل اللي خطفني وشكل الدكتور «شادي».

نظر الضابط إلى مرافقه الذي قلب الدفتر الذي في يده على صفحة بيضاء، وأمسك بقلم رصاص، وأخذ يرسم المواصفات التي أدلى بها «كريم» عن الطبيب وعن الرجل الذي اختطفه.

وبعد أن انتهى رفع الصورتين أمام وجه «كريم» حتى يراهما فتطلع إليهما قليلاً قبل أن يومئ

برأسه إيجابا:
- هو ده شكلهم بالظبط.
- جميل جدًّا.. أنا هبعتلك عسكري يقف على الباب علشان يحميك لحد ما نقدر نعرف مين الناس دي.
ثم قام الضابط وأشار لمرافقه، وربت على كتف «كريم» برفق قبل أن يتجه إلى الخارج:
- حمدًا لله على السلامة.
- الله يسلمك.
خرج الضابط ومرافقه من الغرفة وأشار إلى «تقى» ووالدة «كريم» بأن تدخلا، لكن الطبيب «ألبير» قام بسرعة وتوجه إلى الباب وهو يقول لوالدة «كريم» بتوتر:
- معلش، ممكن بس أستأذنكم أقعد مع «كريم» شوية لوحدنا؟ مش هاخد وقت كبير، بس محتاج أتكلم معاه شوية.
- اتفضَّل يا دكتور.
- شكرا يا حاجَّة.
دخل الغرفة وأغلق بابها، وتوجه إلى فراش «كريم» وجلس على المقعد المجاور وهو يتطلع بحزن إلى جروحه:
- قلت لك ما تعتمدش على موضوع الفيلم ده.
- أول مرة أشوف رؤيا وتتغير.
ثم ابتسم بإرهاق:
- إزيك يا دكتور.
- أنا كويس يا «كريم».. المهم انت.
- أنا أهه.. روحت ورجعت ناقص صباع.
- ترجع بصباع ناقص أحسن من إنك ما ترجعش خالص.
أشاح الطبيب بوجهه للحظات، ثم أردف:
- إيه اللي حصل يا «كريم»؟

* * *

نفس اليوم

نظر الطبيب «عماد» إلى ساعته فوجدها قد تخطت الخامسة مساءً، فأخذ يلملم حاجياته في حقيبة كبيرة وهو يصرخ باسم زوجته:

- بسرعة يا «مريم».. الساعة بقت خمسة وربع.
خرجت زوجته وقد ارتدت ملابس الخروج وعقصت شعرها الأسود خلف ظهرها في شكل ذيل حصان، وهي تجر حقيبة أخرى وبجانبها طفل صغير لم يتعد السادسة من عمره:
- أنا مش فاهمة، هو فيه إيه يا «عماد»؟
- قلت لك ما تخافيش من حاجة بس لازم نختفي شوية.. يلا علشان الطيارة معادها الساعة ٩.
اقتربت منه وقالت بتوسل:
- طيب ما أستناك لحد ما تيجي ونروح مع بعض أحسن.. لسه بدري على الطيارة.
- مش هينفع.. انتي تاخدي «يوسف» معاكي وتسبقيني على هناك، وأنا هحصلك بعد ما أسلم الفلاشة للشرطة.
ثم حمل حقيبته وحقيبتها واتجه ناحية الباب:
- يلا يا «مريم» بسرعة.
أمسكت بيد ابنها الصغير ونزلت خلف زوجها حتى وصلا إلى سيارتها (هيونداي إلنترا)، ففتح الطبيب «عماد» شنطتها ووضع بها الحقيبتين وأغلقها، ثم التفت إلى زوجته التي أمسكت يده وهي ترتجف:
- أنا خايفة أوي يا «عماد».. قلبي مش متطمن.
رفع كفه ثم مسح على شعرها بحنان:
- ما تخافيش يا حبيبتي.. كلها ساعتين وأحصلك على المطار.
- بابا.. هو إحنا رايحين فين؟
أتاه صوت ابنه الصغير فمال ناحيته وقبَّل رأسه:
- إحنا رايحين حتة اسمها «تركيا»، وهنقعد شوية عند عمتك «جورجيت».
- ودي يا بابا فيها ملاهي؟
- طبعا يا حبيبي.. دي فيها ملاهي أحسن من اللي هنا كمان.
ثم ضمَّه مجددًا وقبَّل رأسه:
- يلا بقى روح مع ماما وأنا هجيلكم على طول.
استقلت زوجته السيارة بعد أن جلس ابنها في الأريكة الخلفية، ونظرت إلى زوجها ودموعها تسيل على وجنتيها من الخوف، فابتسم لها مشجعًا.
أدارت محرك السيارة وانطلقت، وظل الطبيب «عماد» مكانه حتى غابت سيارة زوجته عن نظره. وضع كفه على جيب بنطاله يتأكد من وجود الفلاشة، ثم تنفس بعمق وأخرج زفيرًا معبأً بالقلق والتوتر، ثم اتَّجه ناحية الجراج المجاور لمنزله حتى يستقل سيارته دون أن يلتفت إلى أي شيء أو أي شخص، وعلى الجانب الآخر من الشارع وقف رجلان يتطلعان إليه خفية، ثم تحرك أحدهما خلفه والآخر صعد إلى عمارة الطبيب «عماد» الذي ما إن اقترب من سيارته في الجراج الخالي حتى

تناهى إلى مسامعه صوت أقدام تسير وراءه، وصوت هادئ من خلفه، فالتفت بتوتر:

- Doctor Emad?

وجد رجلا فارع القوام وشعره أسود وعيناه زرقاوان، ويضع يديه في جيبيه، فركض الطبيب بسرعة ناحية سيارته وفتح باب السيارة وقفز بداخلها، والرجل الآخر يقترب من السيارة بخطى واثقة وهادئة.

أدار الطبيب محرك السيارة، وقبل أن ينطلق بها أخرج الرجل يده اليمنى من جيبه وهي حاملة مسدسا في مقدمته كاتم للصوت، ثم رفع المسدس باتجاه النافذة، وأطلق منه عدة رصاصات حطمت نافذة السيارة، وفجرت رأس الطبيب «عماد»، ثم ببطء فتح باب السيارة وأخذ يفتش جيوب جثة الطبيب «عماد»، حتى عثر على الفلاشة فوضعها في جيبه، ثم عاد أدراجه وهو يخرج هاتفه ويجري اتصالا ويقول كلمة واحدة: «Done»، ثم أعاد الهاتف إلى جيبه والمسدس في حزام البنطال وانصرف.

* * *

في اليوم التالي.. ركض الطبيب «ألبير» داخل أروقة مشرحة زينهم التي وصل إليها فور إبلاغه بخبر مقتل الطبيب «عماد»، فوجد في آخر الرواق زوجة الطبيب «عماد» تصرخ بشدة، وحولها بعض أقاربها يواسونها، فتجاهلهم ودخل غرفة جانبية، ووقف يتأمل جثة الطبيب برأسها المدمر وملامحه التي اختفت، اعتصر الألم قلبه، وظل هكذا للحظات قبل أن تأتيه رسالة نصية فيها صورة التقطتها كاميرات المراقبة للطبيب «عماد» خارج المركز يوم هروب «كريم» وتحت الصورة جملة واحدة «Are you in or (out)?»، فتطلع إليها بخوف إلى كلمة «Out» الموضوعة بين قوسين ثم تطلع إلى الجثة قليلاً وهو يتخيل نفسه راقدًا مكانه، ثم رفع الهاتف أمام وجهه بتخاذل، ورد على الرسالة بأصابع مرتعشة وبكلمتين لا غير:

- I›m in.

obeikan.com

الثانية

٤ سبتمبر ٢٠٠٨

في مستشفى «عين شمس التخصصي» وفي حجرة «كريم» جلست والدة «كريم» التي ظلت بجوار ابنها طوال الأيام الماضية، والطبيب «ألبير» الذي كان يزوره بشكل يومي.

- تاعبينك معانا يا دكتور والله.

- ما تقوليش كده يا حاجَّة، ده «كريم» زي ابني.

- أبوه، الله يرحمه، لو كان عايش ما كانش عمل أكتر من اللي بتعمله.

ابتسم «كريم» وهو يتابع الحوار بين والدته والطبيب «ألبير» ثم تدخل بصوت استعاد حيويته:

- الدكتور «ألبير» تعبان معايا من فترة كبيرة يا أمي.

- ربنا يقدرنا ونرد جمايلك يا دكتور.

نظر الطبيب في ساعة يده ثم قال لها:

- لو عايزة تردي جمايلي بصحيح يبقى تقومي تروحي دلوقتي، الساعة ٨ بالليل وانتي هنا بقالك كتير.

هزت رأسها بعلامة الرفض وتشبثت بكف ابنها:

- مش هقدر أسيبه لوحده.

- ولوحده ليه يا حاجَّة؟ أنا كده كده قاعد معاه النهارده.

نقلت بصرها بينه وبين ابنها - الذي ربت على كفها برفق -:

- روحي انتي يا ماما.. أنا بكرة الصبح همشي من هنا وهجيلك، والدكتور هيروحني.. مش كده يا دكتور؟

نظر إلى الطبيب، فأومأ الطبيب برأسه إيجابا وهو يبتسم:

- أكيد يا «كريم».. يلا يا حاجَّة اسمعي الكلام بقى.

أراحت كتفيها في استسلام، ثم قامت بعد أن عدَّلت حجاب رأسها وقبَّلت جبين ابنها والتقطت حقيبتها واتجهت نحو الباب، فأردف الطبيب:

- تحبي آجي أوصلك؟

- لا يا دكتور، الله يكرمك.. أنا هاخد تاكسي من الباب للباب.

obeikan.com

هتف بها «كريم» قبل أن ترحل وهو يقول مداعبًا:
- ما تنسيش بقى تعمليلي الأكلة اللي بحبها: مكرونة بشاميل ومحشي ورق عنب.

- من عيوني يا حبيبي.
ثم أشارت لهما مودعة وانصرفت، خمس دقائق كانت قد خرجت من البوابة الرئيسية ووقفت أمامها تبحث عن سيارة أجرة تقلها للبيت، وعلى مقربة من الباب كانت تقف سيارة أجرة اقتربت من والدة «كريم» وتوقفت أمامها، وأنزل السائق الذي يرتدي «كاب» يخفي وجهه زجاج السيارة ومال ناحيتها:
- رايحة فين يا حاجَّة؟
- «جامعة الدول العربية» يا ابني.
- اتفضَّلي يا حاجَّة.
فتح لها الباب بجواره، فجلست وأغلقت الباب وراءها وهي تنظر إلى السائق الذي انطلق على الفور بالسيارة، حاولت أن تتبين ملامحه وقد شعرت أنها مألوفة لديها.
- هو أنا شوفتك قبل كده يا ابني؟
لم يجبها، واكتفى بأن مد يده إلى جيب معطفه وأخرج بخاخة صغيرة وأدارها نحو والدة «كريم»، وضغط على أعلاها فانطلق الرذاذ في وجهها أفقدها وعيها على الفور، وسائق السيارة يبتسم بسخرية ويخلع الكاب - بعد أن ألقى بخاخة المخدر على الأريكة الخلفية:
- أيوه شوفتيني طبعا.. أنا «حازم» يا أم «كريم».
ضغط على دواسة البنزين حتى يزيد السرعة وهو ينطلق إلى وجهة قد حددها أو حُددت له سلفًا..

* * *

- اللي مش قادر أفهمه هو إزاي أتخطف وأنا متأكد إن ده لازم يحصل في وقت إذاعة فيلم «ناصر ٥٦».. أنا عمري ما شوفت رؤيا واتغيرت.
ضحك الطبيب من الكلام عن الفيلم.
- يا ابني قلت لك سيبك من الفيلم.. ده غير إن تغير الرؤيا ليه معنى جميل جدًّا.
نظر «كريم» بتساؤل، فأردف الطبيب:
- مش انت قولت إنك شوفت في مرة إن حد بيقطع راسك؟
- آه.
- طيب هل ده حصل؟ قبل ما تجاوب أنا هقول لك إنه ما حصلش، وده معناه إن الحدث ده اتلغى، ممكن بسبب إنك عملت حاجة مغايرة أدت إلى تقديم ميعاد الاختطاف، وأدت برضه إلى

تغيير المستقبل كله.
- يعني انت شايف إن كده خلاص أنا بقيت في أمان وكل حاجة شوفتها في الرؤى انتهت؟
قالها بنبرة أمل - كمن يتعلق بقشة - فأجابه الطبيب بلهجة حاول أن يجعلها واثقة:
- أكيد يا «كريم».
لمس «كريم» نبرة توتر في لهجة الطبيب، إلا أنه لم يلتفت لها وقال - وهو يعدل ظهره وقد تذكر أمرا -:
- صحيح يا دكتور، كنت عايز أسألك على حاجة.
- اتفضَّل.
- لما كنت مخطوف الحيوان اللي اسمه «شادي» ده قال لي حاجة مكتوبة في ملفي، إن أنسجة عضلاتي شبه أنسجة عضلات القلب، ولما جه يضربني بالسكينة - ورغم إنه قطع صباعي - لكن أنا لقيت جسمي اتحرك فجأة وبسرعة وقتلته، وقال لي قبل ما يموت إن ده قصده من موضوع الأنسجة دي.. يعني إيه بقى الكلام ده؟
قطَّب الطبيب حاجبيه مفكرًا، ثم طرقع إصبع الإبهام بالوسطى وقد تذكر:
- قصدك الجزء اللي بيقول إن الأنسجة العضلية تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب، والأنسجة العضلية البيضاء اللاإرادية؟!
- أيوه هو ده.. يعني إيه بقى؟
- عمرك حسيت يا «كريم» إن ردود أفعالك أسرع من المعتاد.. في خناقة مثلا؟
- أنا عمري ما اتخانقت.
تبسم الطبيب وهو يقول:
- علشان كده.
ثم أردف باهتمام وهو يميل إلى الأمام قليلاً ويشبك أصابعه:
- بص يا «كريم».. معنى إن أنسجتك العضليَّة تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب، والأنسجة العضلية البيضاء اللاإرادية، إن أنسجتك دي ليها قدرة هائلة على الانقباض والانبساط، وبالتالي قوة بدنية هائلة.. بمعنى تاني إنك هتلاقي نفسك - ومن غير تدريب - ليك ردود أفعال سريعة جدًّا، مهما كانت حالتك، وقدرة احتمال أكتر من غيرك، والدليل على كده إنك - رغم كل اللي عملوه فيك فترة الاختطاف – ما كانش بيُغمى عليك إلا لما يدوك مخدر.
تذكر «كريم» ما لاقاه هناك، فأجفل ثم هز رأسه كأنه ينفض عن ذهنه كل تلك الذكريات ونظر إلى الطبيب بتساؤل:
- طيب ليه ما قولتليش الكلام ده قبل كده؟
- ما حبيتش أشغل بالك بحاجة تانية غير استعادة قدراتك.
صمت «كريم» وشرد ذهنه قليلاً وهو يقول بخفوت:

- استعادة قدراتي؟! هو ده برضه اللي كانوا عاوزينه.
قرأ الطبيب ما يدور بذهن «كريم» فربت على كتفه وهو يبتسم:
- وطلعوا أغبية؛ لأن اللي كانوا بيعملوه عمره ما يجبرك على استعادة قدراتك.. الحاجة الوحيدة اللي تخليك تستعيد قدراتك هو صدمة عكسية بحاجة انت اللي تعملها بنفسك مش حد يجبرك عليها.. إنك تعمل حاجة عمرك ما عملتها وتتعارض مع أفكارك ومبادئك.. حاجة تخليك...
التفت «كريم» بدهشة وتطلع إلى الطبيب الذي أخذ يتكلم بحماسة شديدة كأنه يفرغ ما بعقله، فانتبه الطبيب وقطع حديثه فجأة وابتسم بتوتر:
- آسف آسف.. شكل الحماسة خدتني.
بنفس نظرة الدهشة والاستنكار ظل «كريم» يتطلع إلى الطبيب قبل أن يسأله متعجبًا:
- يعني إيه كلامك ده يا دكتور؟
أشاح الطبيب بوجهه إلى الناحية الأخرى، ثم أراح ظهره على المقعد وأغمض عينيه استعدادًا للنوم:
- قلت لك مفيش يا «كريم»، أنا بس محتاج أنام شوية.. تصبح على خير يا «كريم».
- وأنت من أهله يا دكتور.
قالها ببطء وهو يتطلع إلى وجه الطبيب، وظل هكذا طوال عشر دقائق كأنه يحاول سبر أغوار عقل الطبيب، قبل أن يريح ظهره على الفراش دون أن يغمض عينيه، وظل يفكر في كلام الطبيب والقلق يعتمل في صدره، وهو يحاول اكتشاف ما وراء الكلام.. حتى غلبه النعاس واستسلمت جفونه له فغطّ في نوم عميق.
لم يدرِ بنفسه إلا عندما شعر بهزة خفيفة في كتفه، ففتح عينيه فوجد الطبيب بجانبه يوقظه فعدل ظهره:
- هي الساعة كام؟
- الساعة ١٢ ونص يا بطل.. يلا اجهز علشان نمشي.
أنزل قدميه على الأرض، وظل جالسًا على طرف السرير، وحك رأسه وهو يقول بلهجة لم يفارقها النعاس:
- همَّ كتبوا إني أخرج خلاص؟
- أيوه يا سيدي، أنا اتكلمت مع الدكتور المسئول وقال إن حالتك دلوقتي ممتازة، ومش محتاج تقعد أكتر من كده.
ثم أشار إلى مقعد في أحد الأركان موضوع عليه حلة جديدة في غلافها وأردف:
- دي بدلة على مقاسك بالظبط.. قوم كده ظبط نفسك والبس وأنا هستناك بره.
قام «كريم» من فراشه واتَّجه إلى الحُلَّة يتفحصها:
- كونكريت؟! ده انت عارف ذوقي كمان.. بس كده كتير يا دكتور ولازم أدفع حقها.
اتَّجه الطبيب ناحية الخارج بعد أن رمى «كريم» بنظرة حادة:

- امشي يالا.. أنا مستنيك بره.
انتظر الطبيب في الخارج حتى خرج عليه «كريم» من الحجرة، ووقف أمامه بعد أن اغتسل وصفف شعره وارتدى الحلة الجديدة:
- أنا جاهز.. يلا بقى أحسن أنا بكره جو المستشفيات ده.
ثم نظر إلى مقعد خالٍ بجوار باب الغرفة من الخارج:
- هو فين العسكري اللي كان هنا؟
تقدمه الطبيب فأسرع إليه «كريم» يتأبط ذراعه بود، وسار بجواره والطبيب يجيب:
- مشي من أول امبارح.
- شوف ولاد الذين.. قال والظابط عيشني في جو الحب والأمان، والعسكري هيقف يحميني والحركات دي.

* * *

قاد الطبيب سيارته حتى أوصل «كريم» الذي التفت إليه فور توقفه أمام العمارة التي يقطن فيها:
- يلا بقى نطلع نفطر فوق.
- لا لا.. أنا نفسي أنام.. بصراحة انت تعبتني.
قالها مداعبًا، فصافحه «كريم» وقال وهو يخرج من السيارة:
- يبقى توعدني إنك هتيجي تتغدى عندنا في يوم.. الحاجَّة بتعمل أكل عمرك ما تلاقيه في أي مطعم.
- خلاص أوعدك.. سلام بقى يا أخي عايز أنام.
قالها وهو يبتسم فأشار إليه «كريم» مودعًا، ووقف حتى دخل الطبيب في أول منعطف، ثم انطلق هو إلى العمارة واستقل المصعد إلى الدور الذي تقع فيه شقته التي ما إن دخلها حتى أخذ يصيح بفرحة:
- ماااااماااا.. ماااااماااا.
لم يأتِه رد، فدخل غرفتها فلم يجدها، أخذ يبحث في الشقة كلها وهو يقول بقلق:
- ماااااماااا.
أخرج هاتفه من جيبه وأجرى اتصالا برقمها، فوجده مغلقًا، فارتمى على الأريكة والهاتف ما زال بيده وشيء ما في قلبه يخبره بأن أمرا جللا قد حدث..

* * *

٥ سبتمبر ٢٠٠٨

يوم الجمعة الساعة الثالثة عصرًا..
جلس الطبيب «ألبير» على مقعد خلف مكتبه الخشبي في فيلته الخاصة يرتدي «روب دي شامبر» وهو يطالع ملفًا طبيًّا في أعلاه صورة «كريم» واسمه مكتوب بجانبها، ويبدو - من الكلام المكتوب - أنه تحليل لشخصيته وردود الأفعال المتوقعة منه، وبين الحين والآخر ينظر إلى هاتفه بتوتر، ثم يعود إلى مطالعة الملف، اهتز هاتفه تبعه صوت نغمة فأمسك به وابتسم حينما رأى أن المتصل هو «كريم» فأعاد الهاتف مكانه ولم يرد، وكلما انتهى وقت الانتظار عاد الهاتف مجددًا إلى الاهتزاز من اتصالات «كريم» المتتالية، فقام الطبيب من مكانه وخرج من الغرفة، وترك هاتفه مكانه وترك «كريم» يغلي قلقًا.

نفس اليوم الساعة السادسة مساءً

أمسك الطبيب «ألبير» بهاتفه، ونظر إلى شاشته المكتوب عليها تنبيه بـ٤٥ مكالمة لم يرد عليها، وخمس رسائل كلها من «كريم»، ثم أجرى اتصالا برقمه وانتظر حتى أجاب الهاتف بصوت قلق:
- أنا كلمتك كتير أوي يا دكتور.. ما كنتش بترد ليه؟
بلهجة هادئة أجاب الطبيب:
- معلش يا «كريم» أصل أنا خرجت ونسيت الموبايل في البيت.. مالك كده؟ شكلك متدايق!
- أمي يا دكتور ما وصلتش البيت من ساعة ما سابت المستشفى.. ومش لاقيها عند أي حد من قرايبي.
قالها «كريم» وهو يكاد يبكي، فتصنّع الطبيب القلق:
- إزاي ده؟! طيب انت متأكد إنك دوّرت كويس، سألت عند «تقى»؟
- طبعا سألت، والمصيبة إن تليفونها مقفول.. ولما روحت القسم كل اللي عملوه إنهم كتبوا محضر تغيب وخلاص.. أنا خايف يكونوا وصلوا ليها وخطفوها.
صمت الطبيب للحظات وهو يختبر رد فعل «كريم» الذي صرخ به:
- سكتّ ليه يا دكتور؟
- الاحتمال اللي قلته ده وارد جدًّا يا «كريم».. مش عارف ممكن نعمل إيه في الحالة دي!
صمت للحظات أخرى؛ حتى يتأكد أنه قد حطم البقية الباقية من أعصاب «كريم» ثم أردف:
- بقول لك يا «كريم».. هي مامتك معاها تليفون؟
- أيوه معاها، بس مقفول.

- جميل جدًّا.. هات الرقم وأنا هشوف لو حد ممكن يحدد مكانها عن طريق القمر الصناعي.
- وده ممكن وتليفونها مقفول؟
بلهجة أمل خرجت عباراته، فارتسمت على جانب شفتي الطبيب ابتسامة:
- أعرف ناس ممكن يقدروا يعملوا كده.
- طيب معاك ورقة وقلم ولا أبعتلك الرقم في رسالة؟
- قول الرقم وأنا هكتبه.
أملى «كريم» الرقم والطبيب كما هو لا يدوّن أي شيء، وما إن انتهى «كريم» طمأنه الطبيب:
- خلاص أنا كتبته.. خلي الموبايل دايما جنبك، وأول ما أوصل لحاجة هقول لك.
- هستناك يا دكتور.. سلام.
- سلام.
أغلق الطبيب «ألبير» الهاتف وتطلع إليه قليلاً وهو يفكر، ثم وضعه في جيب الروب، ثم غادر غرفته وصعد إلى الطابق العلوي ودخل غرفة نومه، ثم استلقى على فراشه الوثير وأغمض عينيه مفكرًا في الخطوات المقبلة.

نفس اليوم الساعة العاشرة مساءً

ظل «كريم» يتحرك في صالة الشقة بتوتر وبحركة عصبية وهو ينظر إلى الهاتف كل دقيقة، وهو يتوقع اتصالاً من الطبيب والقلق يعصف بقلبه وعقله، والدموع تترقرق في عينيه، حتى أتاه صوت الهاتف، فهجم عليه ورد بسرعة ولهفة عندما وجد أن الاتصال من الطبيب:
- فيه أخبار؟
- أيوه يا «كريم».. حددت مكان والدتك، أو التليفون بمعنى أصح.
انتظر رد الطبيب، فلم يجد إلا الصمت، فهتف به:
- فين يا دكتور؟
- المكان في «العبور» يا «كريم».. «المنطقة الصناعية».
- أنا هكلم البوليس حالا.
- «كريم».. كل دقيقة بتمر حياة والدتك بتبقى في خطر أكبر.. البوليس هياخد وقت كبير لحد ما يتحرك.
- طيب نعمل إيه؟
قالها بيأس؛ فأجابه الطبيب بسرعة كأنه يعرف مجريات حوار جهّز له الإجابة سلفًا:
- أنا قريب منك يا «كريم».. نص ساعة وابقى عندك ونروح مع بعض ونتأكد بنفسنا، وساعتها

نبقى نشوف هنعمل إيه.
أغلق «كريم» الهاتف وارتدى ملابسه على عجل وجلس في انتظار وصول الطبيب وقدماه تهتزان بحركة متوترة، ثم أمسك بالهاتف وأجرى اتصالا برقم «تقى»، وانتظر حتى أجابت بلهفة:
- إيه يا «كريم».. وصلت لحاجة؟
قص عليها بسرعة كل ما دار بينه وبين الطبيب، انتهاءً بمعرفته مكان وجود والدته، وقراره بالذهاب إلى هناك حتى ينقذ والدته - إن استطاع - فصمتت للحظات، ثم قالت بلهجة باكية:
- أنا خايفة أوي يا «كريم».
- أنا كمان خايف جدًّا، بس دي أمي يا «تقى» ومش هقدر أتخلى عنها.
- طيب ما تكلم البوليس وهو يتصرف.
- يوم البوليس بسنة يا حبيبتي، وأنا مش هقدر أستنى لحد ما تموت.
خيَّم عليهما صمت تام لدقائق، قطعه «كريم» عندما أتته إشارة على الهاتف بأن الطبيب يتصل به.
- «تقى».. أنا لازم أقفل دلوقتي.. الدكتور «ألبير» بيتصل وأكيد هو واقف تحت دلوقتي.
لم ترد فأردف:
- «تقى».. عايزك تعرفي حاجة مهمة.. أنا بحبك.
أجهشت بالبكاء فجأة وهي تجيبه:
- والله وأنا كمان بحبك.. لا إله إلا الله.
- محمد رسول الله.
أنهى الاتصال ووضع هاتفه المحمول في جيبه وانطلق خارج الشقة إلى المصعد، واستقله إلى أسفل ومنه إلى خارج العمارة، فوجد الطبيب يقف بسيارته أمام بابها فركب معه فورًا، وانطلقت السيارة.
بعد ساعة ونصف الساعة كانت السيارة تسير داخل «المنطقة الصناعية» ثم اجتازها إلى طريق خالٍ من المباني، وظلت السيارة تسير حتى تراءى لـ«كريم» مبنى من بعيد كأنه مخزن، فأخرج من جيبه قلمًا وورقة صغيرة وكتب فيها جملة ما ثُم أطبقها في يده، وما إن اقتربت السيارة من المبنى حتى توقفت السيارة على مسافة منها، والطبيب «ألبير» يشير للمبنى وهو يقول بلهجة متوترة:
- همَّ مخبيينها هنا يا «كريم».
انقبض قلب «كريم» فور سماعه الجملة، وببطء أخرج الورقة من يده وفردها أمام وجه الطبيب، الذي قرأ ما فيها بتعجب، فلم يجد سوى ما قاله هو الآن: همَّ مخبيينها هنا يا «كريم». فنظر إلى «كريم» وملامحه المتوترة وسأله:
- مش فاهم.. يعني إيه؟
أطبق «كريم» الورقة وقذفها خارج نافذة السيارة، وهو يقول بعصبية:
- معناه إن الرؤيا التانية اتحققت ومش فاضل غير الأخيرة.. إني أموت.

قاد الطبيب السيارة حتى وصل إلى المخزن المنشود، فدار حوله ووقف بجانب إحدى حوائطه، ثم التفت إلى «كريم» وأمسك كفه وشد عليه وهو يقول بحزم:

- بطّل عبط.. المستقبل بإيدينا إحنا، وإحنا بس اللي نقدر نتحكم فيه.

ثم فتح باب السيارة وأردف وهو ينزل منها:

- خليك هنا، أنا هخرج أتكلم في التليفون، علشان مفيش شبكة هنا.. هحاول أتصل بحد يساعدنا.

ثم أردف مشددًا:

- لتاني مرة يا «كريم».. خليك هنا لحد ما أتكلم وما تتهورش.

ابتعد الطبيب بضعة أمتار، وظل «كريم» مكانه ورفع كفه أمام وجهه يقبضها ويبسطها، وهو يتذكر كلام الطبيب عن قدرة أنسجته العضلية والقوة التي تحتويها، وتجسدت في ذهنه والدته وهي يُفعل بها مثلما فُعل به من تعذيب، وتذكر مشهد الجثث الممزقة، فقبض كفه بقوة وغضب ثم فتح باب السيارة وقفز منها يركض بجوار الحائط نحو باب المخزن كالمجنون، فلما رآه الطبيب هتف به أن يعود دون جدوى.

أمام باب المخزن المعدني العملاق وجده مفتوحًا قليلا، فوقف أمامه والغضب يشعل قلبه، شعر بأنه قادر على تحطيم المبنى كله فضم قبضتيه بغضب وصدره يعلو ويهبط من الانفعال، ثم ضرب الباب بقدمه فانفتح على مصراعيه، وتقدم إلى الداخل بخطوات سريعة يجول بنظره في أرجاء المخزن، ثم علت الدهشة وجهه عندما رأى عدوه - «حازم حديدة» - يجلس على مقعد خشبي هو وزميل له، انتفض «حازم» عندما رأى «كريم»، ثم ابتسم بسخرية وقام وهو يفتح مطواته ويتجه بخطوات بطيئة نحو «كريم» وهو يمسح المطواة في كفه الأخرى:

- «كريم» حبيبي.. اتأخرت ليه؟ ده أنا مستنيك من بدري.

وقف «كريم» مكانه وهو يبحث بنظره عن والدته وهو يتنفس بغضب ثم التفت إلى «حازم» مجددًا:

- فين أمي يا «حازم».

- أمك! أمك في العش ولا طارت.

لم يتمالك «كريم» نفسه واندفع يركض ناحية «حازم» وهو يصرخ بغضب حتى وصل إليه، فشوّح «حازم» بمطواته في وجهه، فتفاداها «كريم» بسرعة ومرونة، ثم أمسك ذراعه وضربها على مفصله، فكسرها بصوت مزعج جعل «حازم» يصرخ كالنساء، فلم يتوقف «كريم» ومد يده إلى حنجرة «حازم» وضغط بشدة حتى حطمها هي الأخرى، فسقط «حازم» أرضا وجلس «كريم» فوق جسده وثبته بيده اليسرى وهو يكيل لكمات سريعة وقوية إلى وجهه بيده اليمنى بلا توقف، حتى أصبح وجه «حازم» كالعجين الأحمر و«كريم» يصرخ بغضب ويكيل اللكمات، فأتته ضربة مؤلمة على ظهره، فالتفت ووجد شريك «حازم» يمسك بعصا خشبية سميكة ويرفع ذراعه إلى أعلى حتى يضربه مجددًا، فرفع «كريم» ذراعه أمامه حتى يحمي وجهه، لكن قبل أن تكتمل ضربة الآخر

فوجئ «كريم» بدوي رصاصة فجّرت رأس ذلك الرجل بشكل مقزز وسقط أرضا، تلفت «كريم» إلى مصدر الرصاصة فوجد الطبيب يقف أمام الباب وهو يمسك المسدس بيده اليمنى ويضع يده الأخرى على صدره وهو ينهج بشدة:

- انت معاك مسدس؟!

قالها بدهشة فأجابه الطبيب بحدة وهو ينهج ويقترب منه:

- أيوه يا زفت.. مش قلت لك تستنى.. افرض كانوا قتلوك دلوقتي؟

تلفت «كريم» في أرجاء المخزن وهو يهتف: «مااااما»، ثم وجد حجرة جانبية فترك الطبيب واندفع إليها يقتحمها، ثم صرخ بالطبيب أن يأتي، فلحقه الطبيب إلى داخل الغرفة، فوجد والدته نائمة على فراش وفي يدها خرطوم موصول ببعض المحاليل، فاندفع إليها وأزاح «كريم» جانبا، ثم فحص نبضها ثم التفت إلى «كريم» مبتسمًا:

- ما تقلقش.. والدتك كويسة جدًّا.. هي بس متخدرة.

تنفس «كريم» براحة ثم اقترب من والدته ومسح على رأسها برفق فقاطعه الطبيب:

- يلا يا «كريم».. مفيش وقت.

ثم نزع الطبيب الخرطوم الموصول بها وحملها «كريم» حتى خرج من المخزن، وتوجه إلى السيارة وأرقدها على الأريكة الخلفية، وانتظر الطبيب للحظات فلما تأخر عاد إليه ووجده واقفا بجوار الجثتين:

- يلا نمشي يا دكتور.

نظر إليه الطبيب بقلق ثم عاد ينظر إلى الجثتين:

- لازم ناخد الجثتين دول معانا يا «كريم» ونخلص منهم.

- ندفنهم يعني؟

- لا يا «كريم» لازم نخلص منهم نهائي؛ لأن اللي أنا قتلته بمسدسي ده ممكن البوليس عن طريق الرصاصة يعرف مين اللي قتله.

ثم عاد ونظر إلى «كريم» بتوسل وأردف:

- وساعتها مستقبلي هينتهي.

سار «كريم» ووقف بجوار الطبيب ثم قال له بقلق:

- انت عملت علشاني كتير.. شوف انت عايز تعمل إيه وأنا هساعدك.

أمسك الطبيب بقدمي جثة «حازم»:

- ساعدني نحط الاتنين دول في شنطة عربيتي، ولما نودي والدتك البيت هقول لك ساعتها نعمل إيه.

على الفور اتَّجه «كريم» ناحية الجثة وأزاح الطبيب وحملها وحده على كتفه وركض بها وألقاها بجوار السيارة، وعاد وحمل الأخرى والطبيب يتبعه، ثم فتح حقيبة السيارة الخلفية وكدس بها

الجثتين وأغلقها، ثم جلس بجوار مقعد السائق وجلس الطبيب «ألبير» خلف مقود السيارة وأدار محركها وانطلق بها.

وفي الشقة دخل «كريم» غرفة نوم والدته وأرقدها برفق على فراشها وجلس على طرف الفراش وهو يمسك بكفها في راحة يده ويتحسس جبينها باليد الأخرى، ثم مال عليها وطبع قبلة على جبينها، قام بعد ذلك وأغلق باب الشقة وانصرف حتى غادر العمارة، فوجد الطبيب «ألبير» يجلس بداخل السيارة وهو يتحدث في الهاتف - الذي أغلقه فور اقتراب «كريم» منه -:

- يلا يا «كريم»؟

جلس «كريم» بجانبه وأغلق الباب وهو شارد الذهن ويتمتم بخفوت:

- يلا يا دكتور.

أتاه صوت هاتفه، فتطلع إلى المتصل فوجدها «تقى»، لم يجد في نفسه رغبة في الحديث، فرفض المكالمة وأغلق الهاتف تمامًا وأعاده إلى جيبه.

* * *

ظل القلق يعصف بـ«تقى» منذ أن انتهت من الحديث مع «كريم».. شيء ما في قلبها يخبرها أن هناك أمرًا غريبًا في كلامه، فإن كان الطبيب «ألبير» يستطيع تحديد المكان عن طريق الهاتف، فلماذا لم يحاول تحديد مكان «كريم» وقت اختطافه؟!

- أنا خايفة عليكي من الجوازة دي يا «تقى».

قطع حبل أفكارها صوت والدتها التي ظلت تردد نفس الكلام منذ اختطاف «كريم» وعودته، فالتفتت إلى والدتها بنظرة شاردة ولم ترد عليها، فأردفت والدتها:

- يا «تقى» ده «كريم» اتخطف وشوفتي حصل له إيه، ودلوقتي أمه كمان اتخطفت.. أنا مش هسكت لحد ما يحصلك كده انتي كمان.

- تصبحي على خير يا ماما.

قالتها بشرود، واتَّجهت إلى غرفتها وأغلقت بابها من الداخل وارتمت على الفراش وكل الأحداث تمر أمام عينيها، وهي تحاول اعتصار خلايا مخها حتى تتوصل إلى ما يقلقها، ظلت هكذا قرابة الأربع ساعات وهي بلا حراك ونظرها مثبت إلى سقف الغرفة تنتزع من ثنايا مخها شيئا ما.

الرؤى التي راودت «كريم»، الطبيب «ألبير»، «المركز العالمي»، «الاختطاف».

- المركز العالمي..

انتفضت من مكانها وهي تهتف باسم المركز، وأسرعت إلى جهاز الكمبيوتر وضغطت زر التشغيل وانتظرت قليلاً ثم ولجت إلى الإنترنت، وفتحت محرك البحث «جوجل» وكتبت بسرعة فيه «المركز العالمي للأبحاث + الدكتور ألبير + اختطاف» ثم ضغطت زر البحث فظهرت أمامها عدة نتائج عن

المركز وعن الكتاب الذي ألفه الطبيب، فتجاهلت تلك النتائج كلها ونزلت إلى آخر القائمة، فوجدت غايتها فضغطت على آخر نتيجة في البحث وأخذت تقرأ الخبر الذي قد نُشر منذ ثلاث سنوات:

زوجة «المهدي المنتظر» المزعوم تتهم أطباء بـ«المركز العالمي» باختطافه والمركز ينفي

كتبه - سعيد علام:

تقدمت السيدة «هدى»، زوجة الرجل الذي أحدث ضجة منذ فترة - عندما ادعى أنه «المهدي المنتظر» - ببلاغ إلى الشرطة تتهم فيه أطباء في «المركز العالمي للأبحاث» باختطاف زوجها الذي كان يتردد على المركز منذ فترة ثم اختفى بعدها، وقد صرح الدكتور «ألبير عياد»، مدير المركز، بأنه لا أساس لصحة ما قالته زوجة الرجل المختل عقليًّا، كما أكد الدكتور «ألبير» أن المريض قد زاره بالفعل مرة بعد أن أصدر الدكتور كتابا يتحدث عن القدرات الخارقة، لكن بعد إجراء الفحوصات تبين أن المريض يعاني خللا عقليا وأنه لا صحة لما ادَّعاه، وقد كانت هذه آخر مرة رآه فيها.. جدير بالذكر، أنه منذ بضع سنوات كان هناك بلاغ من شاب يتهم المركز باختطاف شقيقه الأكبر الذي اختفى من وقتها ولم يظهر حتى الآن.

* * *

امتقع وجهها وهي تقرأ الخبر الذي كانت قد قرأته منذ فترة كبيرة ولم تتذكره إلا الآن، فتمتمت بخفوت: «كريم». وقلبها ينتفض هلعًا، فأسرعت إلى الهاتف وأجرت اتصالاً برقم «كريم»، وانتظرت قليلاً ثم ارتعشت يدها عندما تم رفض المكالمة من الجانب الآخر، فأعادت الاتصال مرة أخرى فوجدت الهاتف مغلقًا، فظلت تعيد المحاولة مرة تلو المرة، ثم أرسلت رسالة صوتية: يا «كريم»، دكتور «ألبير» هو السبب في كل حاجة، في كذا حد قبل كده اتخطف وكان بيروح عنده، يا «كريم» خلي بالك وكلمني أرجوك.. ثم ألقت الهاتف وجلست على طرف الفراش وقلبها يكاد يقفز خارج صدرها من شدة اضطرابه وخوفه..

* * *

أوقف الطبيب «ألبير» سيارته أمام باب «المركز الطبي العالمي» للأبحاث، ثم نظر إلى «كريم» الذي لم يتكلم طوال الوقت:

- إحنا هنشيل الجثتين دول وندخلهم «المركز» في الدور الأرضي.. فيه غرفة تشريح هنحطهم جواها.

- طيب والأمن؟

- مفيش أمن.. أنا كلمت فرد الأمن اللي كان هنا، وبعتّه يجيب حاجة، ومش هيرجع قبل تلات

ساعات.
نزل الطبيب من السيارة بعد أن فتح الحقيبة الخلفية وانتظر «كريم» ثم ذهب إلى جوار النافذة الأخرى وطرق على زجاجها بحدة، فالتفت إليه «كريم» بذهن شارد ووجه ممتقع، ولم يتحرك، ففتح الطبيب الباب بحدة:
- مالك متخشب كده ليه؟ يلا يا «كريم» مفيش وقت.
نزل «كريم» ببطء واتَّجه صوب حقيبة السيارة ووقف أمامها يتطلع إلى الجثتين، فاستحثَّه الطبيب على الإسراع، فحمل جثة «حازم» وسار خلف الطبيب الذي سار بخطوات واسعة إلى داخل «المركز» وقاده إلى غرفة جانبية أضاء أنوارها، فنظر «كريم» إلى محتوياتها، فوجد منضدتي تشريح - كأنها مجهزة لما سيحدث - ثم وضع الجثة على المنضدة، وشرع الطبيب في تجريدها من ملابسها.
- واقف ليه كده؟ هات التانية بسرعة واقفل الشنطة.
تحرك كأنه رجل آلي حتى وصل إلى السيارة، فحمل الجثة الثانية وأغلق الحقيبة، ثم عاد إلى الغرفة، فوجد الطبيب قد انتهى من تجريد الأولى من ملابسها وخلع معطف الحلة التي يرتديها، وشمر كمَّي قميصه، وعلى المنضدة الثانية وضع الجثة الثانية ووقف يراقب الطبيب وهو يجرد الثانية من ملابسها بسرعة:
- «كريم».. اقفل الباب وتعالى.
أطاعه ثم عاد ووقف أمام الطبيب وهو ينظر فيما حوله بنظرات ذاهلة، حتى انتهى الطبيب من الجثة الثانية، وفتح أحد الأدراج وأخرج «ساطورًا» كبيرًا دفعه إليه، فأمسك بـ«الساطور» وأخذ يقلبه أمام وجهه، والطبيب «ألبير» يختلس النظر إلى وجهه بين اللحظة والأخرى، قبل أن يتجه إلى «كريم» ويضع كفه على كتفه:
- يلا يا بطل.. لازم نخلص بسرعة.
- عايزني أعمل إيه؟
- هتقطع الجثتين على ما أجهز أنا البانيو الموجود في الأوضة اللي جنبنا بمواد معينة هتتخلص من البقايا في أقل من ساعة.
- أقطع الجثث؟!
بنبرة حالم منزوع الإرادة ردد الجملة، فمد الطبيب يده وأخذ «الساطور» ووقف أمام جثة «حازم» العارية بعد أن جذب «كريم» من يده وأوقفه بجواره:
- تعالى جنبي.. أنا هوريك تعمل إيه؟
رفع «الساطور» وهوى به بقوة على رأس «حازم» ففصله عن باقي الجسد، وتطايرت الدماء حتى لوثت قميصه وقميص «كريم» الذي سال الدمع من عينه وهو يرى ما يحدث غير مصدق، كأنه في كابوس مزعج يتمنى أن ينتهي، لم ينتزعه من شروده إلا عندما أعطاه الطبيب «الساطور» مجددًا:
- عايزك تبدأ من عند مفاصل الساق وبعد كده الذراعين.. يلا يا «كريم».. بسرعة:

ثم أمسك بذراع «كريم» المتخاذلة وساعده على رفعها، ثم هوى به على مفصل الساق اليمنى، وتركه يضرب بتخاذل:

- بسرعة يا «كريم».. اضرب بسرعة، وبأقوى حاجة عندك.

رفع «كريم» ذراعه وهوى بـ«الساطور» على المفصل يحطمه والطبيب بجواره يستحثه، و«كريم» يضرب ويكرر الضرب، والدماء تتناثر على وجهه وملابسه؛ حتى أصابه الهياج؛ فأخذ يضرب ويضرب ويضرب، حتى إنه لم يشعر بالطبيب الذي انسحب من الغرفة وخرج منها بعد أن أغلق الباب، واتَّجه لحجرة أخرى يتابع ما يفعله «كريم» عن طريق كاميرا المراقبة.

أما «كريم» فقد أخذ يهوي بـ«الساطور» على الجثة في كل مكان بلا تمييز، ثم بدأ بالصراخ والدموع تبلل وجهه وهو مستمر في ما يفعل، حتى انتهى من الأولى، ووقف يتطلع إلى الدماء المتناثرة، ثم اتَّجه إلى الجثة الثانية، وفصل الرأس عن الجسد قبل أن يعود إلى مفاصل الجثة ويبدأ في التقطيع، وكلما زادت الدماء المتناثرة زاد صراخه وزادت قوة ضرباته، حتى انتهى منها، فلم يتوقف واستمر في تقطيع باقي الأجزاء بلا توقف، وقد استحال وجهه إلى الأحمر القاني من الدماء التي التصقت به، دخل الطبيب الغرفة على الفور فالتفت «كريم» إليه بتحفز وهو يرفع «الساطور» أمام وجهه، فأشار له الطبيب بكلتا يديه حتى يهدأ وهو يقترب منه ويمد يده بحذر ويأخذ «الساطور».

- اهدى يا «كريم».. كده انت عملت اللي عليك.

وقف «كريم» وصدره يعلو ويهبط بغضب، فتحرك الطبيب بجانبه بحذر، ثم بدأ في دفع الطاولة الأولى التي ترقد عليها أجزاء جسد «حازم» بعد أن لملم الأجزاء التي سقطت على الأرض، وأشار لـ«كريم» أن يفعل المثل بالجثة الثانية ففعل، ودفع الطاولة وسار خلف الطبيب وفي عينيه نظرة غريبة متحفزة.. أكمل سيره خلف الطبيب حتى وصلا إلى غرفة بها حوض كبير من الرخام به سائل ما.

وما إن بدأ الطبيب في إلقاء الأعضاء المقطعة فيه، حتى فار السائل وبدأ في إذابة الأجزاء، وكلما أسقط الطبيب قطعة حتى زاد الفوران، و«كريم» واقف يشاهد، ثم انسحب وعاد إلى غرفة التشريح وأسند ظهره إلى الحائط المجاور للباب، وجلس على الأرض ثم رفع يديه الملوثتين بالدماء يتطلع إليهما بنفس النظرة الذاهلة، ثم فجأة أجهش بالبكاء بشدة وهو يرجع رأسه إلى الوراء حتى يصدم الحائط، ويكرر ذلك.. ثم أمسك رأسه وأخذ يصرخ بشدة، حتى كادت خلايا مخه أن تشتعل من الألم والتفكير فيما فعل، وقلبه يئز في صدره وقد تحول بكاؤه إلى بكاء طفل صغير، وظل يضغط على جانبي رأسه بقوة وهو يصرخ، فشعر بألم شديد يكاد يعصف بخلايا مخه، جعله يصرخ صرخة أخيرة.. فقد وعيه بعدها.

أما الطبيب «ألبير» فقد كان جالسًا في غرفة أخرى أمام الشاشة يراقب تصرفات «كريم» الذي ما إن فقد وعيه حتى تحرك الطبيب إلى الغرفة التي فيها «كريم» ووقف يتأمله وهو فاقد الوعي، ويتأمل رموشه وهي تهتز بسرعة فائقة لعدة دقائق، حتى هدأت وعادت إلى الثبات، فتقدم نحوه

ومال ناحيته وهو يهزه بشدة حتى يفيقه، ثم انتفض بجزع عندما فتح «كريم» عينيه فجأة ومد يده واعتصر كف الطبيب بقوة مؤلمة والطبيب يحاول تخليص يده من «كريم» باستماتة:

- «كريم».. إيدي يا «كريم».

لم يرد عليه «كريم» ولم يبدُ عليه أنه قد سمعه من الأساس، وظل على نظرته المتصلبة وكفه التي تعتصر كف الطبيب، أما «كريم» نفسه فلم يكن هنا بعقله، فما إن أمسك بيد الطبيب حتى أضاءت الدنيا أمام عينيه بنور ساطع قبل أن ينتقل عقله إلى أماكن أخرى وأزمنة أخرى في رؤى مختلفة متداخلة بسرعة كأنها كانت تحتشد وتنتظر لحظة العودة..

عودة المستبصر.

obeikan.com

obeikan.com

الدم

شريط سريع من المشاهد وومضات مختلفة مرت في عقل «كريم» لمدة طويلة قبل أن تتوقف فجأة ويتغير كل شيء حوله، ليرى نفسه في غرفة طبية بها عدة أطباء يلتفون حول رجل مقيد إلى فراش طبي وتتصل به أجهزة مختلفة تقيس نبضات القلب، وأخرى تقيس نشاط الموجات الدماغية، ويبدو أنهم يستعدون لإجراء جراحة في المخ، وطبيب عجوز يقف عند رأس الرجل المقيد ويحدثه، اقترب «كريم» منهم وتأمل الرجل المقيد قليلا، وجزع عندما تعرف عليه.. فقد كان والده.

- ما تقلقش يا «عبد الله»، إحنا هنعمل لك عملية بسيطة في جزع المخ هتخليك تتحرك وانت نايم ونقدر نشوف كل أحلامك من غير ما نصحيك كل شوية ونسألك انت حلمت بإيه.

بصق «عبد الله» الشاب على وجه الطبيب الذي صفعه بعدها ثم التفت يستدعي طبيبا شابا آخر يقف وراءه.

- «ألبير».

تقدم الطبيب الشاب الذي عرف «كريم» أنه هو هو طبيبه الودود، ثم راجع الأجهزة كما أمر الطبيب العجوز، ثم أشار له بعلامة البدء، فأمسك بمنشار طبي صغير وعاد إلى «عبد الله».

- هفتح جمجمتك من غير تخدير وهبقى أخدرك بعدها.

ثم قرب وجهه من وجه «عبد الله» الذي يرتجف بشدة.

- عايزك تطلق كل قواك العقلية.. عايزك تحس بكل حاجة.

ثم شرع في نشر الجمجمة وأردف غير مبالٍ بالصراخ الشديد أو الدم الذي بدأ يتناثر على معطفه وعلى وجه «عبد الله».

- ونصيحة ليك ما تحاولش تهرب تاني.. العملية دي ممكن تسبب لك شلل تام بعد فترة.

تراجع «كريم» إلى الوراء والصدمة تكاد تقتله قبل أن يتغير المشهد تماما، ليجد نفسه يقف في غرفة بها شاشة مراقبة وأمامها يجلس الطبيب «ألبير» وهو شاب، ويتابع باهتمام ما تعرضه الشاشة، فنظر «كريم» إلى الشاشة ووجد أباه الشاب وقتها يتحرك في غرفة واسعة، ويتكلم بكلام غريب كأنه ليس في وعيه، ثم رآه فجأة يميل ويتحسس شيئا غير موجود وهو يقول:

«انت قلت لي إن الأمر مش شخصي، لكن أنا بقول لك إن الأمر بالنسبة ليَّ شخصي جدًّا».

أما الطبيب «ألبير» الشاب فقد رفع سماعة الهاتف الداخلي وانتظر قليلاً قبل أن يقول بسرعة:

«واضح إنه بيشوف رؤيا يا دكتور.. يا ريت تيجي تتابع بنفسك»، ثم أغلق السماعة وعاد ليتابع

«عبد الله» الذي أصبح يجسد رؤاه بعدما تم استئصال الجزء المسئول عن منع الجسم من الحركة في أثناء النوم، وشاهده يصرخ فجأة باسم ما «فيكتور!»، ثم التفت ووضع كفه اليسرى فجأة على جانب عنقه كأنه أصيب بشيء ما، ثم أخذ يتحرك بخطى متثاقلة ناحية أحد الجدران وهو يزوم بغضب، ثم سقط على الأرض فاقدًا للوعي.

اختفت جدران الحجرة مجددًا ثم تغير المكان، ورأى «كريم» ممرًا يحوي عدة غرف مغلقة، ثم فُتح إحداها وخرج منها أبوه «عبد الله» وهو يتلفت حوله بتوتر، وسار بمحاذاة الجدران، فقابله طبيب حاول منعه، لكن «عبد الله» وضع إصبعيه السبابة والوسطى على جبهة ذلك الطبيب ودفعه برفق فسقط على الأرض فاقدًا للوعي كأنه إنسان آلي فُصل عنده مصدر طاقته، اندفع «عبد الله» بعدها يجري بقوة وسرعة وسط دوي صافرات الإنذار، قابل طبيبًا آخر فقفز قفزة مستحيلة من فوقه، وظل يركض حتى وصل إلى البوابة، فاقتحمها إلى الخارج في ظلام الليل الدامس، وقبل أن يصل إلى السور أصيب برصاصة في كتفه فالتفت ليجد الطبيب «ألبير» يعيد التصويب مجددًا وقبل أن يطلق الرصاصة الثانية توقف عندما ابتسم «عبد الله» بسخرية وهو يمسك كتفه المصابة ويقول: «لا أنا ولا انت هنموت هنا يا ألبير.. أنا عارف مستقبلي وعارف مستقبلك».

ثم تبعها بأن ركض ناحية السور وقفز قفزة تجاوزت السبعة أمتار تجاوز بها السور واختفى، أما الطبيب فقد قفز داخل سيارة بالمركز وانطلق بها على الفور محطما البوابة..

ثم اختفى المكان، وأخذت المشاهد تتغير في لقطات بسيطة، رأى ما فعله الطبيب «عماد» من أجله، ورأى جثته والطبيب «ألبير» يقف أمامها، رأى الطبيب «ألبير» وهو يتفق مع «حازم حديدة» على اختطاف والدته ويعطيه بعض المال، ورآه أخيرًا وهو يشرح لآخرين الترتيبات اللازمة لما حدث اليوم - من جعله يقوم بتقطيع الجثث - حتى يصاب بصدمة عكسية قد تؤدي إلى عودة قدراته.

ثم اختفى كل شيء للحظات، وشعر كأن جسده معلق في العدم، لا نور ولا ظلام، قبل أن يغلق عينيه بشدة ويفتحهما ليجد نفسه وقد عاد إلى غرفة التشريح وهو قابض على كف الطبيب الذي يحاول انتزاعها باستماتة، التفت إليه بدهشة والدموع تنهمر من عينيه ثم أفلت يده:

- مالك يا «كريم»؟

أمسك الطبيب كف يده بالأخرى وهو يتألم، وظل «كريم» على حاله وشفتاه ترتعشان من الصدمة، ثم أسند يده على الحائط ووقف أمام الطبيب صامتًا للحظات قبل أن يتكلم بلهجة غير مصدقة:

- انت يا دكتور؟

تراجع الطبيب خطوات إلى الخلف وهو يقول بحذر:

- أنا إيه يا «كريم»؟

- مبروك يا دكتور.. نظريتك طلعت صح، واللي خلتني أعمله رجَّع قدراتي تاني وعرفت كل حاجة.

ظل الطبيب يتراجع حتى ألصق ظهره بالحائط، و«كريم» يتقدم نحوه بخطوات بطيئة:
- «كريم».. انت شوفت إيه؟
- شوفتك، وشوفت أبويا وانت بتضربه بالرصاص.. شوفت كل حاجة.
أطرق الطبيب برأسه في أسى، ثم رفع رأسه وهو يقول لـ«كريم» بلهجة حزينة:
- صدقني أنا معتبرك زي ابني.. سامحني يا «كريم».
ثم نظر ناحية الباب وهو يصرخ:
- «فيكتور».
تناهى إلى مسامع «كريم» صوت أقدام تركض نحو الغرفة، فالتفت ليجد القادم هو نفس الشخص الذي اختطفه في المرة الأولى وقد وصل إلى باب الغرفة ممسكا بمسدس تخدير ويبتسم:
- Welcome back Mr. Kareem.
ثم رفع يده بسرعة وأطلق رصاصة تخدير استقرت في عنق «كريم» الذي رفع كفه إلى جانب عنقه قبل أن يزوم بغضب ويتقدم بخطوات متثاقلة ناحية «فيكتور» يحاول الإمساك به، ثم يسقط عند قدميه وآخر ما سمعه هو الطبيب «ألبير» وهو يتكلم في الهاتف ويطلب من أحدهم التجهيز لعملية جراحية، ثم أغلق عينيه وفقد وعيه..

* * *

ظلام تام معلق فيه جسد «كريم» ظل يدور في كل الاتجاهات فلم يرَ شيئا، صرخ بلا صوت وشعر بقلبه يضطرب بين أضلعه، وانتابه خوف شديد.. حتى سمع صوتها:
- «كريم».. ما تخافش يا حبيبي.
صرخ باسمها وهو يبحث عنها.. «تقى».
لم يرَها في أي مكان، فظل يصرخ باسمها مرة تلو المرة، حتى شعر بجسده يندفع بقوة، ثم توقف فجأة في غرفة طبية، ورآها تجلس على مقعد بجانب فراش طبي وهي تبكي بشدة وتقول من وسط دموعها: «طول الفترة اللي فاتت كنت دايما بتصل على رقمك.. كنت عارفة إنك مش هتسيبني بالطريقة دي».
اقترب منها، حاول أن يلمس وجنتيها فلم يستطع.
- قياس الموجات الدماغية بيقول إنه بيحلم.
كان الصوت من خارج الحلم، صوت جذبه بعيدا عن «تقى» إلى خارج الغرفة وإلى خارج الحلم كله، ففتح عينيه فجأة فرأى كشافا ضوئيا كبيرا معلقا إلى السقف، وشعر بأقطاب موصولة إلى وجهه المقيد بالفراش وأجزاء مختلفة في صدره وقدميه وذراعيه المقيدة أيضًا بأغلال جلدية.
تحرك بعصبية وهو يحاول انتزاع الأغلال، فأجفل عندما امتدت يد تتحسس شعره وجبهته تبعها

صوت الطبيب «ألبير»:
- اهدى يا «كريم».
ثم تحرك الطبيب حتى وقف في محيط نظره وهو ينظر له بأسى حقيقي:
- لو كنت فعلا شوفت كل حاجة كنت هتعرف إني مش مسئول عن اختطافك أول مرة.
زام «كريم» بغضب وهو يحاول التخلص من القيود ويقول:
- طيب وخطف أمي، واللي هتعمله دلوقتي.. مسئولية مين؟
- مهما بررت ليك يا «كريم» مش هتفهم، صدقني كل ده علشان العلم بس، انت بتقدم خدمة كبيرة جدًا للمستقبل.
ثم مسح على رأس «كريم» مجددًا برفق:
- إحنا مش هنموتك، هي مجرد عملية جراحية بسيطة...
قاطعه «كريم» وأكمل هو بغضب:
- بس ممكن تخليني أعيش باقي عمري مشلول.. زي ما عملت في أبويا زمان.
تنهد الطبيب بحزن، ثم نظر إلى طبيب آخر شاب يتابع أجهزة القياس، وأشار له ولثلاثة أطباء آخرين أن يستعدوا، ثم مد يده إلى طاولة معدنية وأخذ منها منشارا طبيا صغيرا والتفت إلى «كريم» مجددًا ومال عليه:
- صدقني يا «كريم».. الأمر فعلا مش شخصي.
ثم وضع كفه اليسرى على رأس «كريم» ومد يده الأخرى الممسكة بالمنشار ناحية الجبهة، ووضع عليه مقدمة المنشار وبدأ النشر ببطء فصرخ «كريم» وأخذ ينتفض، واثنان من الأطباء يثبّتان جسده بقوة، سال الدم من رأسه حتى أغرق وجهه وعيناه وهو يصرخ بشدة من الألم.
- دكتور «ألبير».. الموجات الدماغية بتزيد حدة بطريقة غريبة.
توقف الطبيب وتطلع بقلق إلى جهازي قياس ضربات القلب والموجات الدماغية، ثم عاد ليكمل عمله - دون أن يلتفت إلى صرخات «كريم» التي ملأت الغرفة - وفجأة أخذ كل شيء يرتج في مكانه بقوة كأن هناك زلزالاً قويًّا يضرب المركز، وكاد الطبيب نفسه يسقط أرضًا، فأسند ذراعه على الطاولة المعدنية، ونظر إلى «كريم» فوجد عينيه تتحركان بسرعة غريبة والدم يسيل من أنفه، فصرخ الطبيب وهو يطلب من أحدهم أن يحقن «كريم» بالمخدر فورًا.
ترددت صرخات «كريم» وصرخت معه خلايا مخه، حتى سال الدم من أنفه، وأمام عينيه كانت تتابع رؤى مختلفة متسارعة، حتى توقف المشهد وهو يرى «تقى» تبكي وهي تقول له:
«طول الفترة اللي فاتت كنت دايما بتصل على رقمك.. كنت عارفة إنك مش هتسيبني بالطريقة دي».
فصرخ صرخة مدوية معبأة بالغضب حتى نفرت عروق وجهه ورقبته.. وفجأة توقف كل شيء.
توقف الألم وتوقف الجميع عن الحركة وشعر بجسده يرتفع في الهواء، جال في الغرفة فوجد جسده

المادي كما هو على الفراش، وفمه مفتوح ومثبَّت، والأطباء جميعهم جامدون في مكانهم كتماثيل الشمع، أو كأنه فيلم تم إيقافه عند هذه اللقطة، طاقة صافية لا حدود لها.. هكذا شعر بنفسه، كأن كل شيء في الغرفة هو جزء لا يتجزأ منه، وبلا ألم ولا خوف شعر بأن طاقته تتمزق وتتداخل مع مكونات الغرفة من زجاج وأدوات معدنية.

- خدّره بسرعة.

اندفع الطبيب الشاب نحو جسد «كريم» بتوتر وهو يحمل المحقن الذي يحوي سائل التخدير، وهمّ أن يغرزه في ذراع «كريم» لكن يده توقفت قبل أن يفعل ذلك.. فصرخ به الطبيب «ألبير» مجددًا، فحاول، لكن شيئًا ما يمنعه، وكأن مخه لم يعد يستطيع التحكم في ذراعه، أجبرته قوة خفية على رفع المحقن ناحية عينه ثم انغرز المحقن فيها وانفجرت دماؤها، فسقط على الأرض يصرخ، فأسرع الطبيب «ألبير» يحضر محقنا آخر به مخدر، وغرزه في الذراع ودفع السائل في العروق، و«كريم» تزداد صرخاته حدة، حتى دوت فرقعة قوية في المكان، تبعها صوت انفجار النافذة الزجاجية للغرفة، وتناثر الزجاج يجرح الأطباء لكنه لم يسقط بعدها وظل عالقا في الهواء وارتفعت بجانب الزجاج كل الأدوات المعدنية في الغرفة وهي تتحرك بهدوء، فابتعد الأطباء جميعهم عن جسد «كريم» الذي توقف عن الصراخ.

تراجع الطبيب «ألبير» مع رفاقه ببطء، وركض أحدهم ناحية باب الغرفة يحاول فتحها فلم يستطع، ثم صرخ فجأة عندما طار نحوه مبضع جراحي اخترق رأسه من الخلف وخرج من الناحية الأخرى واستقر في الباب الخشبي، وبعدها طارت الأدوات الحادة كلها والزجاج لتخترق أجساد الأطباء بسرعة وقوة مرة تلو المرة؛ حتى تحولت أجسادهم إلى ما يشبه المصفاة، وأحشاء بعضهم تتدلى أمامهم فسقطوا جميعا صرعى، عدا الطبيب «ألبير» الذي تجمد في مكانه برعب وفزع وهو يتحسس جسده السليم الذي لم يصبه أي شيء، ويتطلع إلى قيود «كريم» التي بدأت في التمزق وحدها، قام «كريم» من فوق الفراش بعدها بقميص الجراحة الذي يرتديه والدم يسيل على وجهه من جرح رأسه الغائر، وتقدم نحو الطبيب «ألبير» وهو يتطلع إليه بنظرة خاوية لا حياة فيها، حتى توقف أمامه وثبَّت نظراته على عيني الطبيب قبل أن يحرِّك يده حركة خفيفة، فارتفع جسد الطبيب إلى أعلى قليلاً ومعطفه يمسح الحائط، ثم طار فجأة وسقط على الفراش الطبي بعد أن رفع «كريم» ذراعه وأنزله.

لم ينبس الطبيب ببنت شفة من الرعب، لم يحاول حتى أن يحرك جسده المثبت بقوة غير مرئية.. «كريم» يتقدم نحوه بخطوات بطيئة، حتى توقف بجانب رأسه ووضع كف يده يتحسس جبينه:

- مستحيل.. أنا حقنتك بالمخدر.

- طبعا انت عارف أنا هعمل إيه دلوقتي..

طارت الأدوات الجراحية والزجاج حتى توقفت في الهواء فوق جسد الطبيب ومقدمته جاهزة للانقضاض على صدره، بكى بشدة ثم نظر إلى «كريم» بتوسل:

- مش هقول لك سيبني.. بس على الأقل مش بالطريقة دي، أنا كنت بعاملك كويس.
ابتعد الزجاج وباقي الأدوات وتساقطت بعيدا ومال «كريم» على الطبيب يمسح جبهته برفق ويقول:
- انت قلت لي إن الأمر مش شخصي، لكن أنا بقول لك إن الأمر بالنسبة لي شخصي جدًّا.
اتسعت عينا الطبيب هلعًا وقد تذكر الجملة التي قالها والد «كريم» في التسجيل منذ سنوات كثيرة، ولم يفهم معناها وقتها وتذكر جملته الأخرى بأنه يعرف مستقبله، فابتسم «كريم» ورفع يده عن جبين الطبيب:
- افتكرت طبعا.. على العموم أنا هحققلك أمنيتك وهتموت من غير ألم.
ثم أعاد يده ووضعها على صدر الطبيب، ونظر في عينيه قليلاً فشهق الطبيب عندما أحس بقبضة تعتصر قلبه بقوة، فظل يفتح فمه ويغلقه، ثم بدأ الدم يندفع بقوة من فمه وأنفه، و«كريم» ينظر إليه بنفس النظرة الخاوية التي لا حياة فيها، حتى شهق الطبيب بصوت مكتوم قبل أن يميل رأسه جانبًا وقد فارقت روحه جسده..
للحظات لم يتغير الوضع ولم يتحرك «كريم» وظل يحدق في وجه الطبيب الملطخ بالدماء، ثم رفع يده من فوق صدر الطبيب، وتلفت في الحجرة يتأمل الفوضى التي أحدثها والجثث الممزقة المبعثرة في الغرفة.
توجه إلى إحدى الحوائط، ورفع رأسه فرأى كاميرا مراقبة فارتسمت على جانب شفتيه ابتسامة وُئدت سريعًا، ثم تمشّى ببطء حتى خرج من الغرفة، فلمح ملابسه في غرفة مجاورة فدخلها وبدَّل ملابسه، ثم التقط لاصقا طبيا ووضعه على جرح رأسه - بعد أن جفف الدم - ثم خرج، كان في الطابق الثالث فاستقل المصعد إلى أسفل وخرج من المركز فوجد الليل ما زال ينشر أستاره، سار حتى وصل إلى السيارة المرسيدس الخاصة بالطبيب «ألبير» ووجد مفاتيحها لا تزال بالداخل فجلس خلف مقود السيارة وأدار محركها، وانطلق ببطء بهدوء شخص يتنزه لا يهرب.
كان يشعر بالمخدر يسري في دمائه، إلا أن التحكم لم يكن لجسده، بل كان لعقله وحده، حانت منه التفاتة إلى مرآة السيارة الأمامية فشعر كأنه يرى شخصًا آخر غير «كريم» الذي عهده، شعور بالقوة والتحكم والرغبة في التدمير.. شعور بالشر والغضب.
لم يتوجه مباشرة إلى منزله وذهب قبلها إلى حي «بولاق الدكرور» ومر بالمقهى فوجد «زغلول» جالسا كعادته يشرب المعسل فتوقف أمامه، وأشار إليه أن يأتي فهرع إليه على الفور:
- مبروك يا «كيمو» يا حبيبي على العربية الجديدة.. إيه ده؟ فيه دم على وشك.
- اركب يا «زغلول».
أمام اللهجة الحازمة لم يملك «زغلول» إلا الانصياع والركوب في السيارة التي انطلقت على الفور حتى وصلت إلى أمام العمارة التي يقطن فيها «كريم»، الذي التفت إلى «زغلول» وأخرج مفاتيح السيارة ووضعها في كف «زغلول»، تطلع «زغلول» إلى المفاتيح ثم نظر إلى «كريم» بنظرة بلهاء

متسائلة:

- خد العربية دي يا «زغلول» واعتبرها بتاعتك.. عايزها بكرة الصبح تكون اتقطعت وخلصت وحلال عليك الفلوس.

- إيه ده يا «كيمو»؟ انت بقيت ابن كار زينا؟!

قالها بمزاح ثم صمت عندما حدجه «كريم» بنظرة حادة غاضبة قبل أن ينزل من السيارة ويتجه إلى مدخل العمارة ومنها إلى المصعد، فنزل «زغلول» من السيارة ودار حولها واحتل مقعد السائق وهو يتمتم:

- يا حول الله يا رب.. حصل له إيه ده؟

دخل «كريم» شقته وأغلق بابها واتَّجه صوب غرفة والدته ودخلها، حتى توقف أمام فراش أمه التي لم تُفِق بعدُ من المخدر، فتحسس وجنتيها برفق وهو يشعر بالدوار يسيطر على عقله، وأن جسده قد استعاد السيطرة مجددًا، فجثا على ركبتيه أمام الفراش ليسقط بعدها في سبات تام بعد أن تغوَّل المخدر في جسده.

obeikan.com

obeikan.com

الخاتمة

فتح «كريم» عينيه ببطء فصدمته الإضاءة القوية في الغرفة التي دفعته إلى إغلاق عينيه مجددًا، ويعود ليفتح عينيه تدريجيًّا حتى اعتادت عيناه الإضاءة، وجد نفسه كالعادة في غرفة طبية فأدار رأسه ناحية اليمين فوجد «تقى» جالسه بجانبه، عدَّل ظهره وأسنده إلى الخلف، ثم ابتسم عندما أحست «تقى» به والتفتت إليه بلهفة:

- حمدًا لله على السلامة يا «كريم».

- خلاص بقى المفروض تكوني اتعودتي على كده.

لم يكن يشعر بالضعف أو الوهن، مد يده وتحسس مكان الجرح على رأسه فوجد ضمادة عليه، أمال رأسه يمينًا ويسارًا - مطققطا رقبته - قبل أن يقول:

- طبعا أنا في مستشفى «عين شمس التخصصي»، وتقريبا نفس الأوضة اللي كنت فيها من فترة.. صح؟

أومأت برأسها إيجابا، فضحك ومال عليها:

- طيب إيه رأيك أحجز الأوضة دي ونتجوز فيها، وأهه بدل ما تتعبي معايا كل ما اتخطف وتفضلي تنقليني للمستشفى؟

- نعم يا حبيبي؟! انت هتستحلى الموضوع ولا إيه؟

همَّ أن يرد على دعابتها بأخرى، إلا أنه قطّب حاجبيه ثم تلفت بنظره في أرجاء الغرفة:

- فين ماما؟

- مامتك عندنا في البيت.. يا عيني طلع عينيها معاك الخمس تيام اللي فاتوا، وبابا خدها الصبح تنام عندنا شوية و....

قاطعها بدهشة:

- الخمس تيام اللي فاتوا؟! هو النهارده كام؟

- النهارده ٩/١١.. إحنا الخميس يا عم انت.

- يعني أنا بقالي ٦ أيام في غيبوبة! إزاي؟ أنا ما شوفتش أي حاجة.

قالها بدهشة فردت عليه بمثلها:

- يعني إيه ما شوفتش حاجة؟! مش انت فقدت الحاجات دي اللي كنت بتشوفها.

obeikan.com

لم يرد عليها، ومد يده يمسك يدها وقبض عليها برفق للحظات، وثبت في مكانه للحظات، ثم أفلت يدها وابتسم وسط دهشتها من رد فعله، فعادت لتسأله:

- «كريم».. مش انت فقدت الأحلام دي اللي كنت بتشوفها؟

لم يبدُ عليه أنه قد سمعها، ورأته يتحسس الفراش ويغمض عينيه وهو يرهف السمع:

- «كريم»!

انتبه ونظر إليها مبتسمًا وهو ينظر لها نظرة حالم:

- ما اسمهاش أحلام.. اسمها «استبصار».. قولي ورايا: «استبصار».

- لا إله إلا الله.. همَّ عملوا حاجة في دماغك ولا إيه؟

- طبعا عملوا.. ده أنا نفسي أروح أبوسهم واحد واحد.

خيَّم عليهما صمت تام وهي تنظر إلى الناحية الأخرى، ثم التفتت له مجددًا وتقول بحنان:

- المرة اللي فاتت لما اتخطفت أنا ما رضيتش أسألك عن أي حاجة واستنيت إنك تقول لي لوحدك، بس طبعا حصل اللي حصل.. ودلوقتي أنا مش عايزة أسألك، بس مش قادرة أمنع نفسي يا «كريم».

- هتعرفي كل حاجة صدقيني، بس إديني فترة أجمع فيها نفسي يا «تقى».. أنا مش قادر أفكر في اللي حصل.

أشاح بنظره إلى الناحية الأخرى بأسى وألم وأردف:

- انتي بجد مش متخيلة اللي حصل لي يا «تقى».. أنا حاسس إني بقيت واحد تاني.

ربتت على كتفه بحنان:

- معلش يا حبيبي.. أنا آسفة إني سألتك.

لكن فضولها الأنثوي طفا على السطح، فأردفت باهتمام:

- كان الدكتور «ألبير» هو اللي ورا كل حاجة.. صح؟

نظر إليها بدهشة، فابتسمت ورفعت يديها وهي تضحك:

- آسفة آسفة.. البنات ودماغهم بقى.

وبعد أن انتهت من الضحك أردفت:

- على العموم أنا بلغت البوليس فعلا ولما راحوا المركز ما لقوش أي حاجة والدكتور «ألبير» مختفي من ساعتها.

- يعني إيه ما لقوش أي حاجة؟!

- يعني المركز كان طبيعي جدًّا وكل اللي هناك قالوا إنهم ما يعرفوش الدكتور فين.

هز رأسه متفهما ثم ابتسم وأشار لها:

- طيب يلا اطلعي بره.. عايز أغير هدومي علشان نمشي.

- تمشي ده إيه؟ استنى لما الدكتور هو اللي يقول.

قفز من على الفراش ووقف أمامها:

- يا بنتي أنا زي الفل أهه ومش حاسس بأي تعب.
- طيب استنى هنا لحد ما أجيب الدكتور واجي.
لم تنتظر منه ردا وقامت وخرجت من الغرفة على الفور، وقف «كريم» مكانه ينظر إلى الباب المفتوح ثم مد يده وحرك إصبعيه السبابة والوسطى فتحرك الباب وأغلق.
تلفت في الحجرة فوجد كوبا بلاستيكيا به بقايا شاي فمد يده نحوه فطار إلى كف يده وأطبق عليه، كاد يصيح فرحًا، وشعور النشوة وغرور القوة يسيطران عليه، لولا أن تناهى إلى مسامعه صوت خطوات قادمة فأعاد الكوب مكانه، وجلس على طرف الفراش حتى فُتح الباب ودخلت «تقى» وتبعها طبيب بدين في أواخر العقد الرابع وتقدم نحوه:
- إيه يا أستاذ «كريم»؟ لحقت زهقت مننا وانت لسه فايق من شوية؟
قالها الطبيب وهو يدفع صدر «كريم» برفق ويعيده إلى الفراش فأطاعه، وضع الطبيب طرفي السماعة الطبية في أذنه ووضع طرفها الآخر على صدر «كريم» يستمع إلى ضربات قلبه، ثم رفعها وأخرج كشافا صغيرا من جيبه وسلّطه على حدقتي العين قبل أن يعيده إلى جيب المعطف وهو يقول بلهجة هي مزيج من الدهشة والمزاح:
- غريبة جدًا.. أول مرة أشوف واحد يفوق من غيبوبة بالصحة دي.
تبسم «كريم» عندما رأى «تقى» التي تقف خلف الطبيب وهي - وعلى الرغم من تدينها وعدم إيمانها بالخرافات المنتشرة - ترفع كفها وتُخمس خلف الطبيب حتى تمنع الحسد.
- على العموم يا أستاذ «كريم»، انت كده ممكن تخرج، بس الجرح في راسك شكله مش ظريف وسايب أثر، ولو تحب فيه جراح تجميل يقدر يمحيه بدون أي أثر.
قام «كريم» واتَّجه نحو مرآة موجودة بالغرفة ووقف أمامها، ثم انتزع الضمادة التي على جبهته ومد يده يتحسس أثر الجرح الذي يصل إلى نصف جبهته ثم التفت إلى الطبيب:
- لا يا دكتور.. مش عايز أشيله.
مط الطبيب شفتيه امتعاضًا:
- زي ما تحب.
ثم مد يده إلى «كريم» يصافحه وأردف:
- حمدًا لله على السلامة يا أستاذ «كريم».
مد «كريم» يده بدوره، وما إن لامست يده يد الطبيب حتى أغلق عينيه قليلاً ثم أفلت يده وقال بلهجة ذات معنى:
- صحيح يا دكتور.. عم «عبده» مات من فترة؟
- عم «عبده»!
- آه الراجل اللي جالك وباع كليته.. الراجل الكبير ده اللي عملتله العملية.
اضطرب وجه الطبيب، ثم اتَّجه ناحية الخارج وهو يقول بتوتر:

- إيه الكلام ده يا أستاذ.. المتاجرة بالأعضاء البشرية مجرّمة أساسًا.
ثم غمغم وهو يخرج:
- أنا هكتبلك تصريح الخروج.
التفتت «تقى» إلى «كريم» واقتربت منه وهي تثبت عينيها الواسعتين إلى عينيه:
- إيه حكاية عم «عبده» ده؟ موضوع «الاستبصار» ده رجع لك يا «كريم».. صح؟
تراجع وهو يضحك:
- بالله عليكي بلاش النظرة دي.. أنا مش بقدر أقاومك وممكن قدامها أعترف بكل حاجة من ساعة ما اتولدت.
- قل لي يا «كريم»، رجعت ولا لأ؟
- بصراحة آه.. بس اوعديني ما تقوليش حاجة.
- أكيد طبعا، ده أنا أصلا لو حكيت حاجة زي دي الناس هتقول عليَّ هبلة.
ثم اتَّجهت ناحية الباب وأردفت:
- البدلة بتاعتك متعلقة ورا الباب.. البس لحد ما أشوف تصريح الخروج ده، وأكلم بابا ييجي ياخدنا.
- وبابا ليه بس؟
التفتت إليه:
- علشان عربيتك عند البيت، وعلشان هتيجي معانا البيت.
ثم أشارت له بإصبع السبابة محذرة بشكل مضحك:
- واعمل حسابك إن لما الدنيا تروق كده هقعدك قدامي وهخليك تحكي لي كل حاجة.
- انت تؤمر يا معلمي.
خرجت من الغرفة وأغلق الباب خلفها، عاد إلى المرآة يتأمل وجهه ويفكر في أمر الطبيب الذي تسبب في موت عم «عبده» والصدفة التي جمعته به، ربما لم تكن صدفة وأن الله أوقفه في طريقه حتى يحقق الانتقام منه، هكذا حدث نفسه.. فابتسم وقد راقت له الفكرة..
بعد ساعة خرج من الغرفة وقد أنهى ارتداء ملابسه وسار بجوار «تقى» التي كانت في انتظاره.
- هي الأوضة بتاعة الدكتور ده فين؟
- مش عارفة، بس هو دلوقتي دخل الحمام ده تقريبا.
- طيب ثواني بعد إذنك.
دخل الحمام فوجد الطبيب يتبول فأشار له مودعًا وهو يبتسم في سخرية:
- سلام يا دكتور.
ثم خرج على الفور، وعاد ليسير بجوار «تقى» ويده اليمنى بجانب جسده ويقبض كفه معتصرًا الهواء من غير أن تلاحظ «تقى» ما يفعله، أما الطبيب فقد شعر فجأة بقبضة تعتصر قلبه وهو

يتبول فرفع كفه وضغط على صدره قبل أن يبدأ الدم يسيل من أنفه وفمه بغزارة، ليسقط بعدها ويصطدم رأسه بالمبولة، ويستقر جسده على الأرض وقد فارق الحياة.

في الخارج وجد «كريم» والد «تقى» ينتظرهما في سيارته، فسار الاثنان ناحية السيارة، وركبت هي في الخلف ودخل «كريم» بجانبها وهو يقول لوالدها متحججا:

- معلش يا عمي مش قادر أقعد قدام علشان ضهري.

نظر له والدها في مرآة السيارة الأمامية وابتسم:

- آه طبعا ما أنا واخد بالي.. حمدًا لله على السلامة يا «كريم».

- الله يسلمك يا أبو المفهومية.

ابتسمت «تقى» في خجل وأدار أبوها السيارة وانطلق بها وهو يقول مداعبا:

- لو ناوي تتخطف تاني قل لي من دلوقتي علشان نفركش الجوازة دي ونخلص.. دي بنتي الوحيدة يا «كريم».

- لا يا عمي والله.. أوعدك دي آخر مرة.

قالها ضاحكًا، ثم ساد الصمت بعدها وفي خلسة من أبيها مد «كريم» يده وتحسس يد «تقى» التي اتسعت عيناها من الذهول، وخشيت أن تأتي بأي رد فعل؛ حتى لا يلحظ أبوها ما يحدث، وضع «كريم» يده على يدها فسطع نور أبيض أمام عينيه ورأى «تقى» مستلقية على فراش طبي وهو بجانبها ويمسك بطفل صغير ويقول: إيه رأيك نسميه «يوسف»؟

انتهت الرؤيا القصيرة فتنهد في ارتياح، وارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه، ونظرت «تقى» إليه، ثم مالت عليه هامسة:

- شوفت إيه؟

- شوفت «يوسف».

- «يوسف»!

هز رأسه فرحًا وهو يهمس:

- أيوه «يوسف».. ابننا يا «تقى».

فهمت ما يقصده، فأطبقت كفها الرقيقة على كفه، وقلبها يختلج بين أضلعها حبًّا، وأراحت رأسها على مسند الأريكة وأغمضت عينيها وهي تؤمن من كل قلبها أن الخطر أخيرًا قد زال تمامًا وإلى الأبد.. أو هكذا ظنت.

سرى في أوصاله إكسير الحب، ودار عقله من كئوس النشوة، حانت منه التفاتة إلى مرآة السيارة الجانبية اليمنى، فَلاحَ على شفتيه شبح ابتسامة اختفت سريعًا.

رأى سيارة «BMW» تسير وراءهم، نفس السيارة التي كانت تقف خلف سيارة والدة «تقى» أمام المستشفى، أرجع رأسه هو الآخر وأسنده إلى الوراء وأغمض عينيه، كاد يستسلم للنوم لولا توقف السيارة أمام العمارة التي تقطن فيها حبيبة قلبه، نزل معهما وتوجهوا إلى مدخل العمارة،

وتأخر هو عنهما خطوات قليلة، والتفت ورأى السيارة التي كانت تتبعهم وهي تقف بدورها على الجانب الآخر من الشارع.

أخفى جسده في باب العمارة وارتكن إلى الحائط وأغمض عينيه وأخذت رموشه تتحرك بسرعة واضطراب.

على الجانب الآخر وفي السيارة كان «فيكتور» جالسًا ينظر إلى المدخل الذي اختفى فيه «كريم»، رفع هاتفه وأرسل رسالة نصية وانتظر قليلاً فأتته رسالة من رقم دولي قرأها والغضب يرتسم على وجهه «It›s not your mission any more،come back asap»، تحسس مسدسه بحنق، وتمنى لو استطاع أن ينهي حياة «كريم» في الحال، لكن الأوامر واضحة والمهمة لم تعد له، فضلا عن أنهم أصلا لا يرغبون في قتله وحاجتهم إليه حيًّا فقط، فهو الحالة الوحيدة المتوافرة الآن، وأول حالة يقابلونها تتمتع بعدة قدرات في آن واحد، همَّ أن ينطلق بالسيارة حتى يجمع متعلقاته ويعود إلى «كندا».. شعر فجأة بتيار بارد يجتاح خلايا مخه للحظات، فنظر بحدة إلى مدخل العمارة فلم يجد شيئًا، انطلق من فوره وبسرعة بالسيارة.

- واقف عندك ليه يا «كريم»؟!

انتبه على صوت «تقى» التي عادت من أجله عندما تأخر عنها، ولم تجده بجانبها، وراود القلق قلبها لما رأته في وضعيته مغمضًا عينيه، نظر في ساعته فوجدها تمام الثانية ظهرًا، نظر إلى «تقى» وابتسم لها ولحق بها بخطوات سريعة رشيقة:

- لا مفيش.. يلا بقى أحسن أنا جعان جدًّا.

مد يده يلتقط يدها، فأجفلت ثم رسمت ابتسامة مصطنعة متوترة على شفتيها، وسارت معه على درجات السلم، وخوف مبهم يسيطر عليها، خوف عليه أو خوف منه.. لم تعد تستطيع التمييز، لأول مرة تشعر بالقلق وهي تسير معه، حبه في قلبها قد بنى قلاعًا يستحيل أن يهدمها أي شيء، لكن شعورا خفيا بأن الذي بجانبها ليس «كريم» الذي عرفته وألفته وأحبته، نظرة عينيه الحالمة غدت نظرة نمر قد أُطلق من قفصه وخرج ليرتوي بالدماء ولن يوقفه أي شيء.

- غلط يا «تقى».

قالها وهما يقتربان من باب الشقة ثم توقف أمامها فتطلعت إليه للحظات:

- غلط إيه يا «كريم»؟

- اللي بتفكري فيه مش صح؟

- وانت عرفت منين؟ هو انت...؟

قاطعها مبتسما:

- مش محتاج إني أقرأ أفكارك علشان أفهم اللي انتي حاسة بيه.. يا «تقى» صحيح أنا بضحك وبهزر لكن اللي أنا شوفته عمرك ما تتخيليه، ومحتاج وقت كبير علشان أنساه.. وأنا منتظر منك تقدري ده.

- مقدرة يا «كريم».. مقدرة.

قالتها باضطراب فغمز لها بعينه وهو يبتسم مجددا:

- وعلشان تخرجي من مود الكآبة ده أنا عازمكم النهارده على العشا في مطعم تحفة في جاردن سيتي.

- اشمعنى جاردن سيتي؟

- واشمعنى مش جاردن سيتي؟ بلاش الأسئلة الفلسفية دي وتعالي ندخل جوه أحسن حماتي تخرج وتقول حاجة.

ثم تحركا معًا حتى دخلا إلى الشقة فاحتضن أمه وأخذ يطلق ضحكاته وهو يداعب أباها وأمها ويطلق النكات، كأنه عاد من رحلة ترفيهية لا من اختطاف ثم أنبأهم بقراره الخروج للعشاء ليلا، انسلت من وسطهم ودخلت غرفتها وأغلقت بابها والدمع ينساب على وجنتيها، وصوت يتردد في ذهنها بأن «كريم» قد اختُطف ولن يعود مجددًا، أو عاد جسدًا.. بلا روح.

* * *

- إيه رأيكم في المطعم ده؟

لم تفلح محاولاتهم إثناءه عن طلبه الخروج للعشاء وفي آخر الأمر خرجوا معًا حتى وصلوا إلى مطعم في جاردن سيتي يقدم الطعام المكسيكي، على الرغم من تلميح والد «تقى» أنه غير معتاد على مثل هذه الأطعمة:

- أيوه يا ابني هو المطعم حلو.. بس الأكل مكسيكي.

- ده المكسيكي ده أحلى حاجة.. لما تجرب مش بعيد تجيب حماتي هنا على طول.

فتدخلت والدة «تقى» في الحوار وهي تضحك:

- قل له يا «كريم».. ده آخر مرة عزمني كان من ييجي ١٠ سنين.

- أديك هتفتح عليَّ فتحة أهه.

ظلت «تقى» صامتة طوال الوقت وهي تتابع الحوار الدائر بينهم، فمال عليها «كريم» وهو يهمس:

- مالك بس؟ مش قولنا تسيبك من الشيطان ده؟

نظرت إليه ومر على شفتيها شبح ابتسامة تلاشت سريعا وهي تهز رأسها وتغمغم بكلمات غير مفهومة، فلم يحاول أن يقول أي شيء ثم حانت منه التفاتة إلى ساعة يده فوجدها ٧,٤٥، فانتفض واقفا فجأة:

- عن إذنكم دقيقتين.

- رايح فين يا «كريم»؟

- عيب السؤال ده على فكرة يا «تقى».

عدل وضع جاكيت البدلة وارتدى القفازين الأسودين ثم انطلق ناحية دورة المياه، وما إن تأكد أنهم لا ينظرون إليه حتى خرج من المطعم ودخل إلى مدخل العمارة واستقل المصعد إلى الطابق الثالث وهو يتنفس بهدوء وابتسامة جانبية ترتسم على شفتيه.

* * *

اليوم نفسه في الثامنة مساءً

- I›m going to airport right now.

حمل «فيكتور» حقيبة جلدية صغيرة وسار بهدوء وهو يحدِّث أحدهم في الهاتف ويتجه صوب باب الشقة التي استأجرها في حي «جاردن سيتي»، وما إن فتح الباب حتى شعر بقوة هائلة تدفعه إلى الخلف وتلصقه بالحائط المقابل للباب، وجسده مرفوع عن الأرض بقوة خفية، تناهى إلى مسامعه صوت خطوات تقترب من الباب، وابتسم بهدوء حينما رأى «كريم» يدخل وهو يرتدي بدلة سوداء وعلى يديه قفازان أسودان، همَّ أن يتكلم فرفع «كريم» يده وأشار في الهواء وهو يطبق إصبعيه السبابة والوسطى على الإبهام فأُغلقت شفتاه ببعضهما البعض، فأخذ يهمهم وهو يحاول فتحهما مجددًا وصوت يخرج من الهاتف بانزعاج «Victor.. Victor»، و«كريم» يتقدم نحوه بخطوات بطيئة ويمد يده وينتزع الهاتف من يده ويضعه على أذنه يستمع إلى صوت المتكلم قبل أن يعقب بسخرية:

- Victor is busy right now and I don›t think that he can speak any more.

خيَّم صمت تام للحظات وتمشى «كريم» في الغرفة مبتعدا عن «فيكتور» حتى أتاه صوت من الهاتف:

- Mr. Kareem?

- Yep.

لحظات صمت أخرى أعقبها صوت هادئ من المتصل:

- I hope we meet soon ..we can help you to Improve Your abilities.

- No thanks.

- Mr. Kareem ..you won›t able to control your abilities without our help otherwise your brain will fall.

- I think you are wrong ..and you are not in my choices.

- Mr. Kareem ..In the end you will come and stand in front of me Cooperate

.with us or i›m gonna have go back to the wrong tactics

.Here is my answer -

ثم ابتسم بسخرية:

.What about to try my tactics -

ثم ضغط زر «Speaker» في الهاتف ووجهه ناحية «فيكتور» المعلق كما هو في الهواء، وبيده الأخرى أشار فانفتحت شفتا «فيكتور» وأعقبها بأن أشار بإصبع السبابة في الهواء كأنه يرسم خطا مستقيما فبدأت جبهة «فيكتور» في التمزق كأن منشارا كهربائيا يقطعها، وسال الدم حتى لطَّخ وجهه، فجزَّ على أسنانه ومنع نفسه من الصراخ وهو يحدج «كريم» بنظرة حادة غاضبة، فابتسم «كريم» وتوقف عمَّا يفعله وقرب فمه إلى الهاتف بلهجة معلق رياضي:

.Oh my god، your man is strong ..let›s see if he will stay strong till the end -

ثم رفع يده مجددًا بالهاتف، وبيده الأخرى فتح كفه وفرد أصابع يده ناحية «فيكتور» قبل أن يقبضها ببطء وقوة ووجهه يرتعش وخيط من الدماء يسيل من أنفه لم يشعر به، أما «فيكتور» فقد شعر بقبضة باردة تعتصر قلبه، وألم حاد في عينيه أنهى مقاومته وصلابته، فانطلقت صرخاته تدوِّي في المكان، حتى بدأ الدم يسيل من فمه وأنفه والألم في عينيه يزداد حدة، حتى انفجرتا فجأة واندفع الدم يخرج منهما في منظر بشع جدير بأفلام الرعب قبل أن يسقط رأسه على صدره ميتًا، فأنزل «كريم» يده وسقط «فيكتور» على الأرض.

قرب «كريم» الهاتف من فمه مجددًا وقال بهدوء:

.I hope you enjoy the show -

طوَّح الهاتف بعيدًا وسار ناحية باب الشقة، فمر أمام مرآة وقف أمامها وهو ينظر إلى انعكاس صورته، أو إلى انعكاس رجل آخر منه، رأى دماء تسيل من أنفه، فأخرج منديلا ومسحه قبل أن يعيد المنديل إلى جيبه مجددًا، مد يده يتحسس أثر جرح جبهته ببطء وهو ينظر إليه وإلى نظرة عينيه الغريبة عنه، ثم استدار وخرج من الشقة، وهو يشعر أنه قبل ذلك كله قد خرج من نفسه.

زال الخطر أو لا يزال قائمًا، هل اكتفوا منه أم سيعودون إلى مطاردته مجددًا؟ لم يعد يبالي، الصدمة العكسية الأخيرة لم تُعِد له قدراته فقط، لكنها - بطريقة ما - جعلته متكيفًا معها ومسيطرًا عليها بشكل لم يتخيله أو يحلم به يومًا، كل ما حدث له جعله يخرج بعقيدة جديدة عليه، يؤمن بها ويشعر بها تسري في أوصاله، أفكار ومبادئ لو سمعها من أحد قبل ذلك لاعتبره مجنونًا أو مريضًا نفسيًّا.

أصبح الآن يؤمن بأن الطريق إلى حماية الأرواح لن يكون إلا بإزهاق أرواح أخرى، وأن الحل الوحيد لمنع إراقة الدماء لن يكون إلا بإراقة دماء أخرى.. وأن يريق دم ألف شخص آخر خير من أن يراق دمه هو.

تمت

obeikan.com